بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد : فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[١].

[١] هذه خطبة الحاجة التي كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يستفتح بها بعض خطبه، وقد روى حديثها أبو داود، رقم (٢١١٨)، في النكاح، باب خطبة النكاح، والترمذي، رقم (١١٠٥)، في النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، والنسائي، رقم (٣٢٧٧)، في النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، وابن ماجه، رقم (١٨٩٢)، في النكاح، باب في خطبة النكاح، وقد حكم عليه الألباني بالصحة في رسالة له لطيفة بعنوان: خطبة الحاجة التي كان رسول الله —صلى الله عليه وسلم- يعلمها أصحابه.

لقد كان المسلمون حتى وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم– ، وصدر من عصر الصحابة – رضي الله عنهم– على منهاج واحد في الاعتقادات والأحكام؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يفارق أمته حتى أكمل الله على يديه الدين، فبيّنه لأصحابه أتم بيان، ولاسيما الأصول التي يقوم عليها هذا الدين، فظلّت الأمة من بعده على عقيدة نقيّة صافية.

وما حلّ بالمسلمين بعد ذلك من تفرّق في الدين، ووقوع في مخالفات علمية وعملية، إنما هو ناتجٌ عن البعد عن مصادر هذا الدين الأصلية، التي هي الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، بظهور بعض الاتجاهات المنحرفة التي حادت عن المنهج القويم، فالتمست سبل الغي لاستقاء عقائدها، وبناء دينها؛ فانحرفوا بذلك عما كان عليه سلف الأمة من أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم–، وسلكوا طريق الذين لا يعقلون، فضلوا وأضلوا.

وقد قال النبي–صلى الله عليه وسلم– : (تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي)[١].

فكانت السنّة هي المصدر الثاني من مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد، إذ أنها وحي من الله تعالى، شأنها في ذلك شأن القرآن.

وكان للقصص النبوي مكانته في السنة النبوية، ودلالته على الشرائع والعقائد مما لا يمكن إغفاله أو تجاهله، ولما يحويه من دلالات مهمة على المسائل العقدية.

فعقدت العزم أن أجعل موضوع رسالتي العلمية لنيل درجة العالمية (الماجستير) عن ((المسائل العقدية الواردة في القصص النبوي عن الأمم الماضية من خلال الكتب الستة)).

---

[١] أخرجه مالك في الموطأ (٨٩٩/٢)، والحاكم (١٧١/١)، وحسن إسناده الألباني في منزلة السنة، ص١٨.

والله أسأل أن يبارك لي في عملي، وأن يرزقني فيه الإخلاص، والسداد، والتوفيق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تتلخص أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياري له في النقاط التالية:

١-أهمية القصص النبوي، فهو يقع في المرتبة الثانية بعد القصص القرآني، وكلاهما وحي من عند الله، وقد اشتركا في المصدر والغاية.

٢-كثير من الناس يرون الحق ويعرفونه من خلال الواقع العملي أكثر مما يعرفونه من خلال التعاليم المجردة، ولذا فإن المستقيم من الناس قد يؤثر مسلكه في الناس أكثر مما تؤثر أقواله فيهم.

٣-إن دراسة العقيدة من خلال القصص النبوي فيه ربط بين الناحية النظرية والناحية العملية، ولا شك في الأثر التربوي المتميز عند دراسة العقيدة لما يرتبط هذا التعليم بالجانب العملي.

٤-إن دراسة العقيدة واستنتاجها من مصادرها الأصلية يربّي في متلقيها ملكة تجعله قادراً على الاستنتاج والتحليل واستحضار الدليل.

٥-إن القصص النبوي الذي جاء في الكتب الستة عن الأمم الماضية قد تجلّى فيه كثير من مسائل الاعتقاد، وفيه معظم أبواب العقيدة.

فلأجل ذلك أحببت أن أكتب في هذا الموضوع، سائلا الله تعالى التوفيق، والسداد، إنه جواد كريم.

الدراسات السابقة

لم أجد من تناول هذا الموضوع بالبحث، إلا أني قد وجدت دراسات مشابهة لهذا الموضوع، وهي ما يلي:

أولا: دلائل القصص القرآني على أصول العقيدة الإسلامية، لسامية بنت حسن ظافر هادي حكمي[1].

والفرق بين هذا البحث وموضوع رسالتي واضح، إذ أن هذا البحث تناول القصص القرآني بالدراسة العقدية، بخلاف موضوع بحثي فإنه تناول القصص الذي جاء في السنة النبوية.

والقصص في السنة على أنواع منها :

النوع الأول: قصص الأنبياء، بذكر شيء مما وقع لهم من الحوادث، وهذا النوع لاشك وأن القرآن قد جاء حافلا به؛ إلا أن بحثي لم يتناول هذا النوع من القصص بالدراسة.

النوع الثاني: قصص تتعلق بالحوادث الغابرة، والأخبار الماضية ، كقصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، ومن كان يتجاوز عن الناس، ويخفف عن المعسر ، وجريج العابد، والمتألي على الله، وغير ذلك، وقد اقتصر بحثي على دراسة هذا النوع من القصص النبوي دون التعرض إلى غيره من أنواع القصص النبوي، ولم يرد في القرآن من هذه القصص والتي سأتعرض —إن شاء الله– إلى دراستها إلا قصتين أشير إليهما في القرآن، وجاء التفصيل فيهما في السنة النبوية، وهما قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الغار.

---

[1] رسالة علمية قدمت لنيل درجة العالمية (الماجستير) بجامعة الملك خالد.

ثانيا: المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام، لألطاف الرحمن بن ثناء الله[1].

ثالثا: مسائل الاعتقاد في قصة الخليل إبراهيم-عليه السلام- في ضوء الكتاب والسنة، لبنيه بنت محمد إبراهيم الأهدل[2].

رابعا: مسائل العقيدة في قصة نبي الله موسى-عليه السلام- في القرآن والسنة، جمعا ودراسة، للطيفة بنت محمد الفايز[3].

وهذه الدراسات الثلاثة لم تتناول إلا دراسة قصص الأنبياء.

[1] رسالة علمية قدمت لنيل درجة العالمية (الماجستير) بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.

[2] رسالة علمية قدمت لنيل درجة العالمية (الماجستير) بكلية البنات/ الرياض.

[3] رسالة علمية قدمت لنيل درجة العالمية (الماجستير) بجامعة الإمام محمد بن سعود.

خطة البحث

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على: بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، منهج البحث.

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالقصص النبوي.

المبحث الثاني: مكانة القصص النبوي في التشريع.

المبحث الثالث: أحاديث القصص النبوي عن الأمم الماضية، ودرجتها.

الباب الأول : المسائل العقدية المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الربوبية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: بيان وقوع الشرك في الربوبية، وأنه وجد من الملوك الجبابرة من ادعى الربوبية لنفسه من دون الله تعالى.

المبحث الثالث: بيان أن من شرك الربوبية جحد النعمة، ونسبتها إلى غير الله تعالى.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية.

وفيه سبعة عشر مبحثا:

المبحث الأول: بيان معنى توحيد الألوهية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: فضل كلمة التوحيد.

المبحث الثالث: الإخلاص.

المبحث الرابع: التوكل.

المبحث الخامس: حسن الظن بالله.

المبحث السادس: الخشية والخوف.

المبحث السابع: الصبر.

المبحث الثامن: التوبة.

المبحث التاسع: الدعاء.

المبحث العاشر: التوسل في الدعاء.

المبحث الحادي عشر: التألي على الله.

المبحث الثاني عشر: السحر.

المبحث السابع: ثبوت صفة الرضا لله تعالى.

المبحث الثامن: ثبوت صفة المغفرة لله تعالى.

المبحث التاسع: ثبوت صفة الرحمة لله تعالى.

المبحث العاشر: ثبوت صفة الشكر لله تعالى.

المبحث الحادي عشر: ثبوت صفة الشفاء لله تعالى.

المبحث الثاني عشر: ثبوت صفة القدرة لله تعالى.

المبحث الثالث عشر: ثبوت اسم الشهيد لله تعالى.

المبحث الرابع عشر: ثبوت اسم الكفيل لله تعالى.

المبحث الخامس عشر: بيان أن صفتي الكبرياء والعظمة من الصفات التي تفرد الله بها لنفسه، ومن نازعه فيها استحق من الله العقوبة.

الباب الثاني: المسائل العقدية المتعلقة ببقية أركان الإيمان، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة.

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالملائكة.

المبحث الثاني: الإيمان بوجود الملائكة.

المبحث الثالث: الإيمان بجبريل -عليه السلام-، وبيان أن مهمته ليست قاصرة على الوحي.

المبحث الرابع: الإيمان بالملك الموكل بالموت.

المبحث الخامس: الإيمان بملائكة الرحمة، وملائكة العذاب.

المبحث السادس: الإيمان بالملك الموكل بالسحاب.

المبحث السابع: بيان أنه من أعمال الملائكة أنهم سفراء الله إلى خلقه.

المبحث الثامن: بيان أنه ليس كل من جاءه ملك فهو رسول أو نبي.

المبحث التاسع: بيان أن من أعمال الملائكة ابتلاء بني آدم واختبارهم.

المبحث العاشر: بيان قدرة الملائكة على التشكل في صورة البشر.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أن التوراة والإنجيل نزلا من عند الله نورا وهداية.

المبحث الثاني: بيان أن شريعة القرآن ناسخة لجميع الشرائع، وأن جميع الأنبياء اتفقوا على أصل الدين؛ وهو التوحيد.

المبحث الثالث: بيان أن الكتب السماوية السابقة قد أصابها التحريف والتبديل.

المبحث الرابع: بيان أن أهل الجاه من الفساق هم مصدر تحريف الدين غالبا.

المبحث الخامس: بيان أن بعض أهل الكتاب بقوا على الدين الحق لحين بعثة النبي–صلى الله عليه وسلم–.

المبحث السادس: بيان السبب الذي أدى بالنصارى الأوائل إلى الرهبنة، واعتزال مجتمعاتهم.

المبحث السابع: بيان أن الرهبانية بدعة منكرة.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفرق بين الآيات والمعجزات التي يؤيد الله تعالى بها أنبيائه ورسله، وبين كرامات الأولياء.

المبحث الثاني: بيان نماذج من كرامات الأولياء؛ والتي جاء ذكرها في القصص النبوي.

المبحث الثالث: بيان عظم ثواب من اتبع رسالة محمد–صلى الله عليه وسلم– ؛ وخاصة أهل الكتاب.

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الموت وقبض الروح.

المبحث الثاني: ثبوت عذاب القبر.

المبحث الثالث: من علامات الساعة تكليم السباع للإنس.

المبحث الرابع: قدرة الله على البعث والإحياء بعد الموت.

المبحث الخامس: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما موجودتان الآن.

الفصل الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالقدر .

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أن العلم من مراتب الإيمان بالقدر، ونقض عقيدة الرافضة في البداء.

المبحث الثاني: بيان أن العمل سبب لدخول الجنة؛ وأنه ليس بمثابة العوض والثمن لها.

المبحث الثالث: بيان وجوب التسليم لقضاء الله وقدره.

المبحث الرابع: من منازل الإيمان الصبر على أقدار الله.

الباب الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالأسماء والأحكام والصحابة.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالأسماء والأحكام.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان.

المبحث الثاني: بيان أن الإيمان يزيد وينقص.

المبحث الثالث: بيان ما جاء من التفاضل في الإيمان.

المبحث الرابع: بيان حكم مرتكب الكبيرة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: كل ذنب حتى الشرك فهو قابل للتوبة.

المطلب الثاني: بيان عدم قبول التوبة عند حلول العذاب، وعند الغرغرة.

المطلب الثالث: من قامت به شعبة من شعب الكفر؛ فإنه لا يزيل عنه مسمى الإسلام، ولا يستحق مسمى الإيمان المطلق.

المطلب الرابع: صاحب الكبيرة إن مات عليها دون توبة فهو تحت المشيئة.

المبحث الخامس: بيان أن الجهل من موانع التكفير.

المبحث السادس: بيان أن الخطأ من موانع التكفير.

المبحث السابع: حكم إنفاذ نصوص الوعد والوعيد.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالصحابة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مجمل عقيدة أهل السنة في الصحابة.

المبحث الثاني: فضل الشيخين أبي بكر وعمر، وقوة إيمانهما، وعظيم يقينهما.

الخاتمة: وفيها عرض أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على ما يلي:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس غريب الألفاظ.
- فهرس الفرق.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث

سرت في بحثي على المنهج التالي:

١. جرد الكتب الستة وإخراج الأحاديث النبوية المشتملة على قصص الأمم الماضية، وأذكر صحتها من ضعفها إن كانت في غير الصحيحين.

٢. اعتمدت المنهج الاستنباطي، القائم على استنباط مسائل العقيدة من النصوص المتعلقة بالقصص النبوي في الكتب الستة، ودراستها على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

٣. أقوم بجمع جميع طرق الحديث الواحد، فربما كان في أحدها زيادة مفيدة للبحث لم تذكر في رواية أخرى.

٤. لم أتناول بالدراسة القصص الواردة عن الأنبياء، كما لم أتناول أخبار السابقين مما ليس بقصة، فهناك أخبار كثيرة تتحدث عن خلق السموات والأرض، وخلق الملائكة والإنس، وعن الرسل والصالحين، ولكنها لا تشكل قصة.

٥. قمت باستنباط المسائل العقدية المستفادة من القصص، ثم رتبتها على الترتيب المعروف لأبواب العقيدة.

٦. أذكر المسألة العقدية، ثم أذكر الشاهد عليها من القصص النبوي، ثم أقوم بدراسة المسألة دراسة علمية.

٧. ألتزم في تقرير المسائل العقدية منهج أهل السنة دون تعرض لخلاف أصحاب الفرق والأهواء.

٨. لا أعتمد على النصوص الضعيفة، ولا أستدل بها على مسائل العقيدة، وإنما أذكرها من باب الاستئناس، إن كان ما دلت عليه قد ثبت بنصوص أخرى صحيحة، وأشير إلى ضعفها.

٩. عزو الآيات القرآنية.

١٠. تخريج الأحاديث من كتب السنة، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بهما، وإن لم يخرجاه فإني أجتهد في تخريجه من المصادر المعتمدة، ثم أنقل حكم أهل الحديث على النص، وذلك في حالة عدم وروده في الصحيحين، أو في أحدهما.

١١. توثيق الأقوال، والرجوع إلى مصادرها الأصيلة قدر الإمكان.

١٢. أترجم للأعلام الذين وردت أسماؤهم في الرسالة، ممن تدعوا الحاجة للترجمة لهم[١].

١٣. أفسر الغريب من الألفاظ.

١٤. أضع فهارس علمية في نهاية الرسالة؛ لتسهيل الاستفادة منها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

---

[١] قصدت ممن تدعوا الحاجة للترجمة لهم الأعلام غير المشهورين، فخرج منهم الخلفاء الأربعة، والصحابة المكثرون لرواية الحديث، والأئمة الأربعة، ونحوهم ممن لا يخفى على كثير من الناس معرفتهم.

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالقصص النبوي.

المبحث الثاني: مكانة القصص النبوي في التشريع.

المبحث الثالث: أحاديث القصص النبوي عن الأمم الماضية، ودرجتها.

المبحث الأول: التعريف بالقصص النبوي:

القصص لغة: جمع، واحده قصة، والقاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ ﴾ الكهف: ٦٤، أي: رجعا يتتبعان آثارهما، ليعودا من نفس الطريق الذي قدما منه.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾القصص: ١١، أي: تتبعي أثره.

ومنه قيل لما يبقى من الكلإ فيتتبع أثره: قصيص، ومن نفس الباب القصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر، فسميت حكاية الأخبار المتتابعة قصصا؛ لأن القاص يتتبع أحداث القصة كما وقعت، ويتتبع ألفاظها ومعانيها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ ﴾آل عمران: ٦٢ ، ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾يوسف: ١١١، ﴿ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ ﴾ القصص: ٢٥ ، ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ يوسف: ٣، ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖ ﴾الأعراف: ٧ ، ﴿ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ النمل: ٧٦ ، ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ ﴾ الأعراف: ١٧٦)[1].

وتعد القصة فن من الفنون النثرية، وأسلوب من الأساليب الأدبية، وتعرف القصة بأنها (فن طبعي قديم، صاحب الأمم من عهد البداوة إلى ذروة الحضارة، ولا يزال إلى اليوم يمثل مكانة ممتازة بين الفنون الأدبية الأخرى؛ لاتصاله بحياة الناس الماضية أو الحاضرة، ولمرونته واتساعه للأغراض المختلفة، ولجمال أسلوبه وخفته على النفوس)[2]، وقد استخدمت القصة في نصوص

---

[1] انظر معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (١١/٥)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (٦٧١-٦٧٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٧١/٤)، ولسان العرب، لابن منظور، (٧٣/٧-٧٤).

[2] الأسلوب، أحمد الشايب، (ص١١١).

الوحيين، فبلغت فيهما أسمى درجة، بأبلغ أسلوب وأفصح بيان، وقد كان للسنة النبوية نصيب ليس بالقليل من ذكر القصص عن الأنبياء والمرسلين، وكذلك عن أممهم.

(والقصة: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها)[1]، (فالقصة تروي خبرا، ولكن لا يمكن أن نعد كل خبر أو مجموعة من الأخبار قصة. فلأجل أن يصبح الخبر قصة يجب أن تتوافر فيه خصائص معينة، أولها أن يكون له أثر كلي.

وهذا يعني أن مجموعة الأخبار التي تروى ينبغي أن يتصل بعضها مع البعض الآخر ليحدث أثرا كليا.

وهذه الأخبار -التي تحدث أثرًا كليا- تكون حول موضوع واحد، له بداية، ووسط، ونهاية)[2].

(والعرب تجعل حكاية كل خبر قصة، إلا أن المتأمل فيما تعارف عليه أهل العلم والأدب أن القصة لون خاص من الأخبار ذو طبيعة خاصة، وعلى ذلك فكل قصة خبر، وليس كل خبر قصة، فما حدثنا الله -عز وجل- به عن خلق السموات والأرض وخلق الملائكة والجن أخبار، ولكنها ليست بقصص، وما حدثنا به عن أسماء رسله وأنبيائه وأسماء آبائهم أخبار، وليست بقصص، أما أخبار الرسل مع أقوامهم، والصراع بين الأخيار والفجار فهو قصص كما أنه أخبار)[3].

[1] التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١/٦٤).

[2] التحرير الأدبي، د/ حسين علي محمد حسين، (ص٢٩٠).

[3] صحيح القصص النبوي، د/ عمر سليمان الأشقر، (ص١٢).

المبحث الثاني: مكانة القصص النبوي في التشريع:

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، فالسنة وحي من الله كما أن القرآن وحي، والعقيدة توقيفية لا مجال للرأي فيها، لأنه لا أحد أعلم بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلم بالله من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فينبغي الاقتصار في أخذها على ما جاء في نصوص الوحيين.

والقصص النبوي جزء من السنة النبوية فيكون ما فيها مصدر من مصادر تلقي العقيدة الإسلامية، والمتأمل للقصص النبوي يجد أنها اشتملت على أصول العقيدة الإسلامية، فقد دلت على أصول الإيمان الستة، وكثير من التفصيلات في كل أصل من هذه الأصول.

وقد حظيت القصص بمكانة كبيرة في نصوص الوحيين؛ إذ أن للقصص أسلوب بديع في الوصول بالنفس البشرية عن طريق الإثارة والتشويق إلى أهداف تلك القصص، وما اشتملت عليه من عقائد وتشريعات وأخلاق سامية، فالقصة هي من أقصر الطرق لعرض الحقائق، وإيصالها إلى القلوب، وذلك لأنها تقوم بتمثيل هذه الحقائق في صورة واقعية، فتترسخ تلك الحقائق في عقول البشر وقلوبهم.

(فالقصة كانت ولا تزال مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات والهداة والقادة إلى الناس، وإلى عقولهم وقلوبهم؛ ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه من آراء ومعتقدات وأعمال)[١].

---

[١] القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم خطيب، (ص٧).

المبحث الثالث: أحاديث القصص النبوي عن الأمم الماضية، ودرجتها.

(١) قصة الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة فسدت عليهم الغار:

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت[١] إلى غار، فدخلوه، فانحدرت[٢] صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى[٣] بي طلب شجر يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لها غبوقهما[٤]، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما، حتى برق[٥] الفجر-زاد بعض الرواة: والصبية يتضاغون[٦] عند قدمي- فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: قال الآخر: اللهم كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها على نفسها، وامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة[٧] من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم[٨] إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت

---

[١] أوى إلى كذا: انضمّ إليه يأوي أويّا ومأوى، (المفردات في غريب القرآن، ص١٠٣).

[٢] (انحدرت): الهبوط والسقوط، (انظر مقاييس اللغة، (٣٢/٢).

[٣] (نأى) أي: بعد. (انظر النهاية، ١٢٣/٥).

[٤] (الغبوق) : شراب آخر النهار. (النهاية، ٣٤١/٣).

[٥] (برق الفجر) أي: طلع، (انظر مقاييس اللغة، (٢٢١/١).

[٦] (يتضاغون) أي: يضجون ويصيحون من الجوع. (انظر النهاية، ٩٢/٣).

[٧] (السنة) : الجدب والقحط. (انظر النهاية، ٤١٣/٢).

[٨] (تفض الخاتم) : كناية عن الجماع والوطء. (انظر النهاية، ٤٥٤/٣).

ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء، وأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمرت[1] أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أد إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون)[2] .

وفي رواية: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (بينما ثلاثة نفر ممن قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار، فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق[3] من أرز، فذهب وتركه، وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره إلى أن اشتريت منه بقرا، وإنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من ذلك الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت[4] عنهم الصخرة ...)[5].

---

[1] (ثَمَّرَ) أي : كَثَّرَ، انظر مختار الصحاح، (ص٥٠).

[2] رواه البخاري، رقم (٢٢٧٢)، في الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد، ومسلم، رقم (٢٧٤٣)، في الذكر، باب قصة أصحاب الغار الثلاث.

[3] (فرق): مكيال يسع ستة عشر رِطلا. (انظر النهاية، ٤٣٧/٣).

[4] (فانساحت) بالحاء المهملة، أي: انفسحت وتنحت. (انظر النهاية، ٤٣٣/٢).

[5] رواه البخاري، رقم (٣٤٦٥)، في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٢) قصة الرجل الذي قتل مائة نفس:

عن أبي سعيد الخدري[١] – رضي الله عنه –، أن نبي الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها ناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق، أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا، مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة)[٢] .

وفي رواية نحوه، وفيه: (فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فناء بصدره[٣] نحوها. وفيه: فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر، فجعل من أهلها)[٤] .

وفي أخرى نحوه، وزاد: (فأوحى الله إلى هذه: أن تباعدي، وإلى هذه: أن تقربي)[٥].

---

[١] هو الصحابي الجليل سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، استصغر بأحد، واستشهد أبوه بها، وغزا ما بعدها، روى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– الكثير، مات سنة ٧٤هـ. (انظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر،٣/٦٥-٦٦).

[٢] رواه البخاري، رقم (٣٤٧٠) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم، واللفظ له، رقم (٢٧٦٦) في التوبة، باب قبول توبة القاتل.

[٣] (ناء بصدره) ناء بالشيء: إذا نهض به، والمراد: أنه مال بصدره وأنهض نفسه، حتى قرب من الأرض الأخرى. (انظر النهاية، ٥/١٢٣).

[٤] رواه البخاري، رقم (٣٤٧٠) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

[٥] رواه مسلم، رقم (٢٧٦٦) في التوبة، باب قبول توبة القاتل.

(٣) قصة أصحاب الأخدود:

عن صهيب[١] -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب[٢]، فقعد إليه وسمع كلامه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك، فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم: الساحر أفضل، أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها، فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، وقد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ[٣] الأكمه[٤] والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك -كان قد عمي- فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن به، فشفاه الله، فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ ، قال: ربي وربك الله، فأخذه، فلم يزل يعذبه، حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل؟ قال: فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فأخذه، فلم يزل يعذبه، حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار،

---

[١] هو الصحابي الجليل صهيب بن سنان بن مالك أبو يحيى، وهو الرومي، قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيرا، مات في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين. (انظر الإصابة، ٣٦٤/٣).

[٢] (الراهب): هو العابد، وهو من الرهبة: الخوف، كانوا يترهبون بالتخلى من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها، (انظر النهاية، ٢٨٠/٢).

[٣] البرء هو السلامة من السقم، (مقاييس اللغة، ٢٣٦/١).

[٤] (الأكمه) الذي يولد أعمى، (انظر مختار الصحاح، ص٢٧٣).

فوضع المنشار على مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته[1]، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به، فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[2]، وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس[3]، ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارم، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، وأخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه[4]، في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتي الملك، فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود[5] بأفواه السكك، فخدت، وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه

---

[1] (ذروته) ذروة كل شيء أعلاه، (النهاية، ٢/١٥٩).

[2] (القرقور): السفينة العظيمة. (انظر النهاية، ٤/٤٨).

[3] (كبد القوس): كبد كل شيء: وسطه، (انظر النهاية، ٤/١٣٩).

[4] (الصدغ): هو ما بين العين إلى شحمة الأذن. (انظر النهاية، ٣/١٧).

[5] (الأخدود): الشق في الأرض، وجمعه الأخاديد. (انظر النهاية، ٢/١٣).

فأقحموه فيها – أو قيل له: اقتحم – ففعلوا، حتى جاءت امرأة، ومعها صبي لها، فتقاعست[1] أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه، اصبري، فإنك على الحق)[2].

وفي رواية: (كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن[3] يكهن له، فقال الكاهن: انظروا لي غلاما فهما – أو قال: فطنا – لقنا فأعلمه علمي هذا، فإني أخاف أن أموت، فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه، قال: فنظروا له على ما وصف، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن، وأن يختلف إليه، فجعل يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة[4] –قال معمر[5]: أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين – قال: فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به، فلم يزل حتى أخبره، فقال: إنما أعبد الله، قال: فجعل الغلام يمكث عند الراهب، ويبطئ عن الكاهن، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام: أنه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغلام الراهب بذلك، فقال له الراهب: أين كنت؟ فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن، قال: فبينما الغلام على ذلك، إذ مر بجماعة من الناس كثير، قد حبستهم دابة –فقال بعضهم: إن تلك الدابة كانت أسدا–، فأخذ الغلام حجرا، فقال: اللهم إن كان ما يقول الراهب حقا، فأسألك أن أقتله، ثم رمى به، فقتل الدابة، فقال الناس: من قتلها؟ فقالوا: الغلام، ففزع الناس، وقالوا: قد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد، قال: فسمع به أعمى، فقال له: إن أنت رددت بصري، فلك كذا وكذا، قال: لا أريد منك هذا، ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك أتؤمن بالذي رده عليك؟ قال: نعم، قال: فدعا الله، فرد عليه بصره، فآمن الأعمى، فبلغ الملك أمرهم، فدعاهم،

---

[1] (التقاعس): التأخر والمشي إلى وراء. (انظر النهاية، ٤/٨٧).

[2] رواه مسلم رقم (٣٠٠٥) في الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام.

[3] الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، النهاية، ٤/٢١٤).

[4] (الصومعة): كل بناء متصمع الرأس، أي: متلاصقه، وجمعها صوامع، (المفردات في غريب القرآن، ص٤٩٣).

[5] هو معمر بن راشد الأزدي الحداني، أبو عروة البصري ثم اليماني، قال العجلي: ثقة صالح، وقال النسائي: ثقة مأمون، وضعفه ابن معين في ثابت، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة. (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر، ١٠/٢٤٣-٢٤٥).

فأتي بهم، فقال: لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه، فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى، فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله، وقتل الآخر بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام، فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا، فألقوه من رأسه، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه، جعلوا يتهافتون[1] من ذلك الجبل، ويتردون، حتى لم يبق منهم إلا الغلام، ثم رجع، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه، فانطلقوا به إلى البحر، فغرق الله الذين كانوا معه، وأنجاه، فقال الغلام للملك: إنك لا تقتلني حتى تصلبني وترميني، وتقول إذا رميتني: بسم الله رب هذا الغلام، قال: فأمر به فصلب، ثم رماه فقال: بسم الله رب هذا الغلام، قال: فوضع الغلام يده على صدغه حين رمي، ثم مات، فقال الناس: لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد، فإنا نؤمن برب هذا الغلام، قال: فقيل للملك: أجزعت أن خالفك ثلاثة؟ فهذا العالم كلهم قد خالفوك، قال: فخد أخدودا ثم ألقى فيها الحطب والنار، ثم جمع الناس، فقال: من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في النار، فجعل يلقيهم في تلك الأخدود، قال: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ – حتى بلغ –ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ البروج: ٤ - ٨ ، قال: فأما الغلام، فإنه دفن، قال: فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وإصبعه على صدغه، كما وضعها حين قتل)[2].

(٤) قصة الأبرص والأقرع والأعمى الذين ابتلاهم الله:

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنه سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لونا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل –أو

[1] (يتهافتون) أي: يتساقطون، (انظر النهاية: ٥/٢٦٦).

[2] أخرجه الترمذي، رقم (٣٣٤٠)، في التفسير، باب ومن سورة البروج، وصححه الألباني، في صحيح سنن الترمذي، (٣/٣٦٩).

قال: البقر شك الراوى-، فأعطي ناقة عشراء[1]، فقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قذرني[2] الناس. فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرة حاملا، وقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر الناس. فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: أي المال أحب إليك؟ قال:

الغنم، فأعطي شاة والدا[3]، فأُنْتِجَ[4] هذان، وَوَلَّدَ هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال[5] في سفري، فلا بلاغ[6] لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرا أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأني أعرفك، ألم تك أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر[7]، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفرى؟.

---

[1] (ناقة عشراء) إذا كانت حاملا، وقيل: إذا أتى عليها لحملها عشرة أشهر. (انظر النهاية، ٣/٢٤٠).

[2] (قذرني): قذرت الشيء أقذره إذا كرهته واجتنبته. (انظر النهاية: ٤/٢٨).

[3] (شاة والدا): أي عرف منها كثرة النتاج. (انظر النهاية، ٥/٢٢٥)

[4] (فأُنْتِجَ): نُتِجَتِ الناقةُ، إِذَا وَلَدتْ، فَهِيَ مَنْتُوجَةٌ. وأَنْتَجَتْ، إِذَا حَملتْ، فهي نَتُوجٌ. ولا يقال: مُنْتِج. ونَتَجْتُ الناقةَ أَنْتِجُهَا، إِذَا ولَّدتها. والنَّاتِجُ للإبل كالقابِلة للنساء. (انظر النهاية، ٥/١٢).

[5] (الحبال): أي الأسباب، من الحبل: السبب. (انظر النهاية، ١/٣٣٣).

[6] (فلا بلاغ) أي ليس لي ما أبلغ به غرضي. (جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، ١٠/٣٢١).

[7] (كابرا عن كابر) أي: ورثته عن آبائي وأجدادي. (انظر النهاية، ٤/١٤٢).

فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله ما أجهدك[1] اليوم بشيء أخذته لله عز وجل فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضى الله عنك، وسخط على صاحبيك)[2].

وفي رواية: (إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله عز وجل أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا)[3].

(٥) قصة من غفر الله له لسقايته كلب من العطش:

عن أبي هريرة –ضي الله عنه –، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث[4]، يأكل الثرى[5] من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه، حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: في كل كبد رطبة[6] أجر) [7].

وفي رواية: (أن رجلا رأى كلبا يأكل الثرى من العطش، فأخذ الرجل خفه، فجعل يغرف له به حتى أرواه، فشكر الله له، فأدخله الجنة)[8].

---

[1] (لا أجهدك) أي: لا أشق عليك وأردك في شيء تأخذه من مالي لله تعالى. (النهاية، ١/٣٢٠).

[2] رواه البخاري، رقم (٦٦٥٣)، في الأيمان والنذور، باب لا يقول ما شاء الله وشئت، ومسلم، رقم (٢٩٦٤)، في الزهد، في فاتحته.

[3] رواه البخاري، رقم (٣٤٦٤)، في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

[4] (يلهث) : لهث الكلب وغيره: إذا أخرج لسانه من شدة العطش والحر. (انظر النهاية، ٤/٢٨١).

[5] (الثرى) : التراب الندي. (انظر النهاية، ١/٢١١).

[6] (كبد رطبة) : أراد بالكبد الرطبة كل ذات روح، لأن الكبد لا تكون رطبة إلا وصاحبها حي. (انظر النهاية، ١/٣٦٤).

[7] رواه البخاري، رقم (٦٠٠٩)، في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم رقم (٢٢٤٤) في السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها.

[8] رواه البخاري، رقم (١٧٣)، في الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان.

وفي رواية: (بينما كلب يطيف بركية[1]، قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغية من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها[2]، فاستقت له به، فسقته إياه، فغفر لها به)[3].

(٦) قصة الرجل الذي استلف ألف دينار:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إن رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، فقال: ائتني بالكفيل، قال: كفى بالله وكيلا، قال: صدقت. قال: فدفعها إلى أجل مسمى، فخرج إلى البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه، للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبا. فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها[4]، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا، فقلت: كفى بالله وكيلا، فرضي بك وسألني شهيدا، فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه بالذي له، فلم أجد، وإني أستودعكها. فرمى بها إلى البحر، حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعل مركبا قد جاءه بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، وقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إلي شيئا؟! قال: ألم أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدا)[5].

---

[1] الركية: البئر. (انظر تاج العروس، ١٧٨/٣٨).

[2] (الموق): الخف. (انظر النهاية، ٣٧٢/٤).

[3] رواه البخاري، رقم (٣٤٦٧)، في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم رقم (٢٢٤٥) في السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها.

[4] (زجج موضعها)، أي: سوى موضع النقر وأصلحه، (انظر النهاية، ٢٩٦/٢).

[5] رواه البخاري، رقم (٢٢٩١)، في الكفالة، باب الكفالة في القرض، والديون بالأبدان، وغيرها.

(٧) قصة الرجل الذي أبعد الأذى عن طريق الناس:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخره، فشكر الله له، فغفر له)[١].

وفي رواية: (لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من طريق المسلمين، كانت تؤذي الناس)[٢].

وفي رواية: (نزع رجل لم يعمل خيرا قط غصن شوك عن الطريق، إما كان في شجرة فقطعه وألقاه، وإما كان موضوعا فأماطه، فشكر الله له بها، فأدخله الجنة)[٣].

(٨) قصة الرجل الذي كان جرح فقتل نفسه:

عن جندب بن عبد الله[٤] -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينا فحز بها يده، فما رقأ[٥] الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة)[٦].

---

[١] رواه البخاري، رقم (٢٤٧٢)، في المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به، ورواه مسلم، رقم (١٩١٤) في البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم.

[٢] رواه مسلم، رقم (١٩١٤) في البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم.

[٣] رواه أبو داود، رقم (٥٢٤٥)، في الأدب، باب في إماطة الأذى عن الطريق، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (١١٤٤/٢)، رقم (٦٧٥٥).

[٤] هو الصحابي الجليل جندب بن عبد اللَّه بن سفيان البجلي ثم العلقي، أبو عبد اللَّه، وقد ينسب إلى جده فيقال: جندب بن سفيان، سكن الكوفة ثم البصرة، ومات في فتنة ابن الزبير. (انظر الإصابة، ٦١٣/١-٦١٤).

[٥] (رقأ) أي: سكن وانقطع، (انظر النهاية، ٢٤٨/٢).

[٦] رواه البخاري، رقم (٣٤٦٣)، في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم رقم (١١٣)، في الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٩) قصة من أمر أولاده بحرقه إذا مات:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت، قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله، لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات فُعِل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك فغفر له بذلك)[١].

وفي رواية: (قال رجل لم يعمل خيرا قط: فإذا مات فحرقوه واذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه، ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلت؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم، فغفر له)[٢].

وفي رواية: (قال رجل لم يعمل حسنة قط، لأهله: إذا مات فحرقوه.....)[٣].

(١٠) قصة الرجل الذي كان يتجاوز عن المعسر:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس، فإن رأى معسرا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه)[٤].

وفي رواية: (تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن ينظروا المعسر، ويتجوزوا عن الموسر، قال: قال الله عز وجل: تجوزوا عنه)[٥].

---

[١] رواه البخاري، رقم (٣٤٨١) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي الرقاق، باب الخوف من الله تعالى، ومسلم رقم (٢٧٥٦) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

[٢] رواه البخاري، رقم (٧٥٠٦) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾

[٣] رواه مسلم رقم (٢٧٥٦) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

[٤] رواه البخاري، رقم (٢٠٧٨) في البيوع، باب من أنظر معسرا.

[٥] رواه مسلم، رقم (١٥٦٢) في المساقاة، باب فضل إنظار المعسر.

وفي رواية: (إن رجلا كان فيمن كان قبلكم، أتاه الملك ليقبض روحه، فقيل له: هل عملت من خير؟ قال: ما أعلم، قيل له: انظر، قال: ما أعلم شيئا غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم، فأنظر الموسر، وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الله الجنة)[1].

وفي رواية: (إن رجلا لم يعمل خيرا قط، كان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك، قال الله له: هل عملت خيرا قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته ليتقاضى، قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا. قال الله: قد تجاوزت عنك)[2].

وفي رواية: (حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه)[3].

(١١) قصة المتألي على الله:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: (كان في بني إسرائيل رجلان متواخيان، أحدهما مذنب، والآخر في العبادة مجتهد، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوما على ذنب، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبا؟ فقال له: والله، لا يغفر الله لك – أو قال: لا يدخلك الجنة – فقبض الله أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال الرب تعالى للمجتهد: أكنت على ما في يدي قادرا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة:

---

[1] رواه البخاري، رقم (٣٤٥١)، في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

[2] رواه النسائي، رقم (٤٦٩٤)، في البيوع، باب حسن المعاملة والرفق في المطالبة، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١/٤١٧-٤١٨)، رقم (٢٠٧٨).

[3] رواه مسلم رقم (١٥٦١) في المساقاة، باب فضل إنظار المعسر.

تكلم والله بكلمة أوبقت[1] دنياه، وآخرته)[2].

وفي رواية عن جندب بن عبد الله -رضي الله عنه-: (أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدث: أن رجلا قال: والله، لا يغفر الله لفلان، وأن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى[3] علي أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت له، وأحبطت عملك)[4].

(١٢) قصة المرأة التي عذبت هرة فدخلت بها النار:

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: (عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض[5])[6].

وفي رواية أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى هذه المرأة التي عذبت الهرة في النار، وذلك عندما رأى الجنة والنار في صلاة الكسوف، فقال: (قد دنت مني الجنة، حتى لو اجترأت عليها، لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت مني النار حتى قلت: أي رب، وأنا معهم؟ فإذا امرأة - حسبت أنه قال - تخدشها[7] هرة، قلت: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعا، لا

---

[1] (أوبقت)، أي: أهلكت. (انظر النهاية، ١٤٦/٥).

[2] رواه أبو داود، رقم (٤٩٠١) في الأدب، باب في النهي عن البغي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٢٠٢/٣).

[3] (التألي): الحلف واليمين، (انظر النهاية، ٦٢/١).

[4] رواه مسلم، رقم (٢٦٢١) في البر والصلة، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى.

[5] (خشاش الأرض) أي: هوامها وحشراتها، الواحدة خشاشة. (انظر النهاية، ٣٣/٢).

[6] رواه البخاري، رقم (٣٤٨٢)، في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم، رقم (٢٢٤٢)، في السلام، باب تحريم قتل الهرة.

[7] (تخدشها) أي: تقشر جلدها وتجرحها، وخدش الجلد: قشره بعود أو نحوه. (انظر النهاية، ١٤/٢).

أطعمتها، ولا أرسلتها تأكل - قال نافع[1]: حسبت أنه قال: من خشيش - أو خشاش الأرض)[2].

(١٣) قصة البقرة التي كلمت راكبها والذئب الذي كلم الراعي:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس، فقال: (بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث) فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم، فقال: (فإني أومن بهذا، أنا وأبو بكر، وعمر، -وما هما ثم- وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب، فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب هذا: استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع[3]، يوم لا راعي لها غيري) فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم، قال: (فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، - وما هما ثم -)[4].

(١٤) قصة المتصدق الذي وضع الصدقة في غير موضعها:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على

---

[1] هو نافع بن عمر بن عبد الله الجمحي المكي الحافظ ، وثقه أبو حاتم وجماعة، مات سنة تسع وستين ومائة. (انظر تهذيب التهذيب، ٤٠٩/١٠).

[2] رواه البخاري، رقم (٧٤٥)، في الأذان، باب ما يقول بعد التكبير.

[3] (يوم السبع) قال ابن الأعرابي: السبع، بسكون الباء: الموضع الذي يحبس الناس فيه يوم القيامة، أراد: من لها يوم القيامة؟ وهذا التأويل يفسد بقول الذئب: (يوم لا راعي لها غيري)، والذئب لا يكون لها راعيا يوم القيامة، وقيل: السبع: الشدة والذعر، يقال: سبعت الأسد: إذا ذعرته، والمعنى: من لها يوم الفزع؟ وقيل: من لها عند الفتن حين يتركها الناس هملا لا راعي لها، نهبة للذئاب والسباع؟ فجعل السبع لها راعيا، إذ هو منفرد بها ويكون حينئذ بضم الباء، وهذا إنذار بما يكون من الشدائد والفتن التي يهمل الناس فيها أنعامهم ومواشيهم فتستمكن منها السباع بلا مانع. (انظر النهاية، ٣٣٦/٢).

[4] رواه البخاري، رقم (٣٤٧١)، في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم رقم (٢٣٨٨) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-.

سارق، فقال: اللهم لك الحمد على سارق، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق، وزانية، وغني، فأتي، فقيل له: أما صدقتك على سارق: فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية: فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني: فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله)[1].

وفي رواية: (فأُتِي فقيل له: أما صدقتك فقد تُقُبِّلَتْ)[2].

(١٥) قصة الذين دخلوا القرية يزحفون على أدبارهم:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (قيل لبني إسرائيل: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾البقرة: ٥٨، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم[3]، وقالوا: حبة في شعرة)[4].

وفي رواية: (﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ البقرة: ٥٨، قال: (دخلوا متزحفين على أوراكهم) أي منحرفين[5].

(١٦) قصة السحابة التي أمرت أن تسقي حديقة الرجل الصالح:

---

[1] رواه البخاري، رقم (١٤٢١)، في الزكاة، باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلمه، ومسلم، رقم (١٠٢٢)، في الزكاة، باب ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها.

[2] رواه النسائي، رقم (٢٥٢٣)، في الزكاة، باب إذا أعطاها غنيا وهو لا يشعر، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، (٢٠١/٢).

[3] (أستاهم) أي: أدبارهم. (انظر النهاية، ٤٢٩/٢).

[4] رواه البخاري، رقم (٣٤٠٣)، في الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ورواه مسلم، رقم (٣٠١٥) في التفسير، في فاتحته.

[5] رواه الترمذي، رقم (٢٩٥٦)، في التفسير، باب ومن سورة البقرة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (١٨٤/٣).

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: (بينا رجل في فلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة[1]، فإذا شرجة[2] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته، فقال له : يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان – للاسم الذي سمع في السحابة – فقال له: يا عبد الله لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان – لاسمك – فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثا، وأرد فيها ثلثه)[3].

(١٧) قصة دس جبريل –عليه السلام– الطين في فم فرعون:

عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (لما أغرق الله فرعون، قال: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يونس: ٩٠) قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر[4] فأدسه في فيه، مخافة أن تدركه الرحمة)[5].

وفي رواية أنه ذكر: (أن جبريل جعل يدس في فِي فرعون الطين خشية أن يقول: لا إله إلا الله، فيرحمه الله ، أو خشية أن يرحمه الله)[6].

(١٨) قصة الرجل المتكبر الذي خسف الله به الأرض:

عن أبي هريرة رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (إن

---

[1] (الحرة) : الأرض ذات الحجارة السود. (انظر النهاية، ٢٠١/٤).

[2] (الشرجة) واحدة الشراج: وهي مسيل الماء من الحرة إلى السهل. (انظر النهاية، ٤٥٦/٢).

[3] رواه مسلم، رقم (٢٩٨٤) في الزهد، باب الصدقة في المساكين.

[4] (حال البحر) الطين الأسود الذي يكون في أرضه. (انظر النهاية، ٤٦٤/١).

[5] رواه الترمذي، رقم (٣١٠٧) في التفسير، باب ومن سورة يونس، وصححه الألباني، في صحيح الجامع الصغير، رقم (٤٣٥٣).

[6] رواه الترمذي، رقم (٣١٠٨)، في التفسير، باب ومن سورة يونس، وصحح إسناده الألباني، في صحيح سنن الترمذي، (٢٥٦/٣).

رجلا ممن كان قبلكم يتبختر في حلة، تعجبه نفسه، مرجل[1] رأسه، يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل[2] في الأرض إلى يوم القيامة)[3].

(١٩) قصة وافد عاد:

عن أبي وائل[4] –رحمه الله– عن رجل من ربيعة[5]، قال: (قدمت المدينة، فدخلت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والمسجد غاص بأهله، وإذا رايات سود تخفق، وإذا بلال متقلد السيف بين يدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يريد أن يبعث عمرو بن العاص[6] نحو ربيعة، فقلت: أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: وما وافد عاد؟ فقلت: على الخبير سقطت، إن عادا لما أقحطت بعثت قَيْلاً[7] يستسقي لها، فنزل على بكر بن معاوية، فسقاه الخمر، وغنته

---

[1] (مرجل) شعر مرجل: أي مسرح. (جامع الأصول، ١٠/٦٢٠).

[2] (يتجلجل)، أي: يغوص في الأرض حين يخسف به. والجلجلة: حركة مع صوت. (انظر النهاية، ١/٢٨٤).

[3] رواه البخاري، رقم (٣٤٨٥) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم رقم (٢٠٨٨)، في اللباس، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه.

[4] هو شقيق بن سلمة، أبو وائل، صاحب ابن مسعود، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وأدرك النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولم يره، ولم يسمع منه، مات زمن الحجاج، وقيل: في أيام عمر بن عبد العزيز، وقيل: سنة سبع وتسعين. (انظر الاستيعاب، ٢/٧١٠، وسير أعلام النبلاء، ٤/١٦١-١٦٢).

[5] هو الحارث بن حسان بن كلدة البكري، ويقال الربعي والذهلي. من بني ذهل بن شيبان. ويقال الحارث بن يزيد بن حسان، والأكثر يقولون: الحارث بن حسان البكري، وهو الصحيح، قليل الحديث. روى عنه: أبو وائل شقيق بن سلمة. (انظر الاستيعاب، ١/٢٨٥).

[6] هو الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله، أمير مصر، أسلم قبل الفتح ، ولما أسلم كان النبي –صلى اللّه عليه وسلم– يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته، وولاه إمرة جيش ذات السلاسل، مات سنة ٤٣هـ، وهو ابن تسعين سنة. (انظر الإصابة، ٤/٥٤٠-٥٤١).

[7](قَيْلٌ): اسم الرجل الذي بعثته عاد ليستسقي لها.

الجرادتان[1]، ثم خرج يريد جبال مَهْرَة ، فقال: اللهم إني لم آتك لمرض فأداويه، ولا لأسير فأفاديه فاسق عبدك ما كنت مسقيه، واسق معه بكر بن معاوية -يشكر له الخمر الذي سقاه- فرُفعَ له ثلاث سحائب: حمراء، وبيضاء، وسوداء، فقيل له: اختر إحداهن، فاختار السوداء منهن، فقيل له: خذها رَماداً رِمْدِداً [2]، لا تذر من عاد أحدا، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: إنه لم يرسل من الريح إلا مقدار هذه الحلقة – يعني حلقة الخاتم – ثم قرأ ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ الذاريات: ٤١ – ٤٢)[3].

(٢٠) قصة جرة الذهب:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اشترى رجل من رجل عقارا له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة[4] فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال: الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه، وتصدقا)[5].

(٢١) قصة من أحبه الله لحبه لأخيه:

---

[1] (وغنته الجرادتان) هما مغنيتان كانتا بمكة في الزمن الأول مشهورتان بحسن الصوت والغناء. (النهاية، ٢٥٧/١).

[2] راماد رمدد،: الرمدد بالكسر. المتناهي في الاحتراق والدقة، كما يقال ليل أليل ويوم أيوم إذا أرادوا المبالغة. (انظر النهاية، ٢٦٢/٢).

[3] أخرجه الترمذي، رقم (٣٢٧٣) في التفسير، باب ومن سورة الذاريات، وحسنه الألباني في الضعيفة تحت الحديث رقم (١٢٢٨)، (٣٧٢/٣-٣٧٣).

[4] (جرة) : الإناء المعروف من الفخار. (انظر النهاية، ٢٦٠/١).

[5] رواه البخاري، رقم (٣٤٧٢)، في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم، رقم (١٧٢١)، في الأقضية، باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: (أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكا[١]، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها[٢]؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[٣].

(٢٢) قصة الرجل الذي فقد ناقته التي عليها طعامه وشرابه في أرض فلاة:

عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية[٤] مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده)[٥].

وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة[٦]، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو

---

[١] (فأرصد الله على مدرجته ملكا) أي: وكله بحفظ المدرجة، وهي الطريق، وجعله رصدا: أي حافظا معدا. (انظر النهاية، ٢/٢٢٦).

[٢] (تربها) أي: تحفظها وتراعيها وتربيها كما يربي الرجل ولده. (انظر النهاية، ٢/١٨٠).

[٣] رواه مسلم، رقم (٢٥٦٧) في البر والصلة، باب في فضل الحب في الله.

[٤] (دوية): الدو: الصحراء التي لا نبات بها، والدوية منسوبة إليها، وقد تبدل من إحدى الواوين ألف، فيقال داوية على غير قياس، نحو طائي في النسب إلى طي. (انظر النهاية، ٢/١٤٣).

[٥] رواه البخاري، رقم (٦٣٠٨)، في الدعوات، باب التوبة، ومسلم، رقم (٢٧٤٤) في التوبة، باب في الحض على التوبة.

[٦] (الفلاة): المفازة والأرض القفر التي لا ماء بها ولا أنيس، (انظر لسان العرب، ١٥/١٦٤).

كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها[1]، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)[2].

(٢٣، ٢٤) قصة جريج العابد، وقصة الرضيع الذي دعا الله ألا يجعله كالجبار:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

(لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وكان جريج رجلا عابدا، فاتخذ صومعة فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي، فقالت: يا جريج!، فقال: يارب! أمي وصلاتي؟، فأقبل على صلاته، فانصرفت. فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج!، فقال: أي رب! أمي وصلاتي؟، فأقبل على صلاته، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت؟ يا جريج! فقال: أي رب! أمي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات[3]. فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته، وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه! فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها فوقع عليها، فحملت. فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟، قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك. قال: أين الصبي؟! فجاؤوا به فقال: دعوني حتى أصلي، فصلى، فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام! من أبوك؟! قال: فلان الراعي!!، فأقبلوا على جريج يقبلونه، ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا.وبينا صبي يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة، وشارة حسنة[4]، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا! فترك الثدي، وأقبل إليه، فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه

---

[1] خطام البعير أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل في أحد طرفيه حلقة ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يقاد البعير، ثم يثنى على مخطمه. (النهاية: ٢/٥٠).

[2] رواه البخاري، رقم (٦٣٠٩)، في الدعوات، باب التوبة، ومسلم رقم (٢٧٤٧) في التوبة، باب في الحض على التوبة.

[3] (المومسات) : الزواني، جمع مومسة، وهي الفاجرة، والمياميس كذلك. (انظر النهاية، ٤/٣٧٣).

[4] (شارة حسنة): جمال الظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك. (انظر النهاية، ٢/٥٠٨).

فجعل يرتضع"، فكأني انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه، فجعل يمصها، قال: "ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت! وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل. فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها وقال: اللهم اجعلني مثلها، فهنالك تراجعا الحديث، فقالت: مر رجل حسن الهيئة، فقلت: اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله. ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللهم اجعلني مثلها؟! قال: إن ذلك الرجل كان جبارا، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيت، ولم تزن، وسرقت ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها) [1].

(٢٥) قصة الخمر أم الخبائث:

عن عثمان -رضي الله عنه- قال: (اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد، فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها، فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة[2] عندها غلام وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي، أو تشرب من هذه الخمرة كأسا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأسا، فسقته كأسا، قال: زيدوني فلم يَرِمْ[3] حتى وقع عليها، وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان،

---

[1] رواه البخاري، رقم (٢٤٨٢) في المظالم والغصب، باب إذا هدم حائطا فليبن مثله، ومسلم واللفظ له، رقم (٢٥٥٠)، في البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

[2] (وضيئة)أي: جميلة حسنة. (انظر النهاية، ١٩٥/٥).

[3] (فلم يرم) : لم يرم فلان عن موضعه، أي: لم يبرح. (انظر لسان العرب، ٢٥٩/١٢).

وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه)[٢١].

(٢٦) قصة الرهبانية عند النصارى:

عن ابن عباس –رضي الله عنهما– ، قال: (كانت ملوك بعد عيسى بن مريم –عليه الصلاة والسلام– بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة قيل لملوكهم: ما نجد شتما أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤، وهؤلاء الآيات مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم، فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم[٣] ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دورا في الفيافي[٤]، ونحتفر الآبار، ونحترث البقول فلا نرد عليكم، ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا

---

[١] رواه النسائي، رقم (٥٦٦٦)، في الأشربة، باب ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر، من ترك الصلوات، ومن قتل النفس التي حرم الله، ومن وقوع على المحارم، وصححه الألباني موقوفا في صحيح سنن النسائي، (٥١٧/٣).

[٢] هذه القصة والقصتان اللتان بعدها من الأحاديث الموقوفة على الصحابة، لكن قول الصحابي إذا حدث عن الأمور الغيبية وعن الأخبار الماضية يأخذ حكم الرفع، خاصة إذا لم يعرف هذا الصحابي بالأخذ عن أهل الكتاب، وقد أوردت هذه القصص التي وردت عن الصحابة لاحتمال أن يكونوا سمعوها من النبي –صلى الله عليه وسلم–. (انظر: شرح التبصرة والتذكرة (١ / ١٩٨–١٩٩) ، النكت لابن حجر (٢ / ٥٣٠)).

[٣] (نهيم) هام: إذا ذهب لوجهه على غير جادة، ولا طالب مقصد. (انظر النهاية، ٢٧٦/٥).

[٤] (الفيافي): هي البراري الواسعة، جمع فيفاء. (انظر النهاية، ٤٨٥/٣).

﴿ حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ الحديد: ٢٧، والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دورا كما اتخذ فلان، وهم على شركهم، لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا به فلما بُعِث النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يبق منهم إلا قليل، انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير[1] من ديره، فآمنوا به وصدقوه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ الحديد: ٢٨: أجرين، بإيمانهم بعيسى عليه السلام، وبالتوراة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمد –صلى الله عليه وسلم– وتصديقهم، وقال: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ الحديد: ٢٨: القرآن، واتباعهم النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الحديد: ٢٩ الذين يتشبهون بكم ﴿ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾... الآية.)[2].

(٢٧) قصة أول قسامة في الجاهلية:

عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– قال: (إن أول قسامة[3] كانت في الجاهلية: لفينا بني هاشم، كان رجل من بني هاشم استأجره رجل من قريش من فخذ[4] أخرى، فانطلق معه في إبله،

---

[1] (الدير): أماكن سكنى الرهبان من النصارى. (انظر القاموس المحيط، ١/٣٩٥).

[2] رواه النسائي رقم (٥٤٠٠)، في القضاء، باب تأويل قول الله عز وجل: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ، وصححه الألباني موقوفا على ابن عباس في صحيح سنن النسائي، (٣/٤٣٩).

[3] (القسامة) : القسامة بالفتح: اليمين، كالقسم. وحقيقتها أن يقسم من أولياء الدم خمسون نفرا على استحقاقهم دم صاحبهم، إذا وجدوه قتيلا بين قوم ولم يعرف قاتله، فإن لم يكونوا خمسين أقسم الموجودون خمسين يمينا، ولا يكون فيهم صبي، ولا امرأة، ولا مجنون، ولا عبد، أو يقسم بها المتهمون على نفي القتل عنهم، فإن حلف المدعون استحقوا الدية، وإن حلف المتهمون لم تلزمهم الدية. (النهاية، ٤/٦٢).

[4] (الفخذ): دون القبيلة. (انظر النهاية، ٣/٤١٨).

فمر به رجل من بني هاشم، قد انقطعت عروة جوالقه[1]، فقال: أغثني بعقال أشد به عروة جوالقي، لا تنفر الإبل، فأعطاه عقالا، فشد به عروة جوالقه، فلما نزلوا عقلت الإبل إلا بعيرا واحدا، فقال الذي استأجره: ما بال هذا البعير لم يعقل من بين الإبل؟ قال: ليس له عقال، قال: فأين عقاله؟ قال: فحذفه[2] بعصا كان فيها أجله، فمر به رجل من أهل اليمن، فقال: أتشهد الموسم؟ قال: ما أشهد، وربما شهدته، قال: هل أنت مبلغ عني رسالة مرة من الدهر؟ قال: نعم، قال: فإذا شهدت الموسم فناد: يا آل قريش، فإذا أجابوك، فناد: يا آل بني هاشم، فإن أجابوك، فسل عن أبي طالب، فأخبره أن فلانا قتلني في عقال، ومات المستأجر، فلما قدم الذي استأجره، أتاه أبو طالب، فقال: ما فعل صاحبنا؟ قال: مرض، فأحسنت القيام عليه ووليت دفنه، قال: قد كان أهل ذاك منك، فمكث حينا، ثم إن الرجل الذي أوصى إليه أن يبلغ عنه وافى الموسم، فقال: يا آل قريش، قالوا: هذه قريش، قال: يا آل بني هاشم، قالوا: هذه بنو هاشم، قال: أين أبو طالب؟ قالوا: هذا أبو طالب، قال: أمرني فلان أن أبلغك رسالة: أن فلانا قتله في عقال، فأتاه أبو طالب، فقال: اختر منا إحدى ثلاث: إن شئت أن تؤدي مائة من الإبل، فإنك قتلت صاحبنا، وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتله، فإن أبيت قتلناك به، فأتى قومه فأخبرهم، فقالوا: نحلف، فأتته امرأة من بني هاشم –كانت تحت رجل منهم قد ولدت منه– فقالت: يا أبا طالب، أحب أن تجير ابني[3] هذا برجل من الخمسين، ولا تصبر يمينه حيث تصبر الأيمان، ففعل، فأتاه رجل منهم، فقال: يا أبا طالب، أردت منا خمسين

---

[1] (الجوالق): بضم الجيم وفتح اللام، الوعاء من جلود وثياب وغيرها. (انظر تاج العروس، ١٢٩/٢٥).

[2] (حذفه) أي: رماه، (انظر النهاية، ٣٥٦/١).

[3] (تجير ابني) معناه: أن تجيره باليمين، أي: تؤمنه منها، ولا تستحلفه وتحول بينه وبينها. وبعضهم يرويه بالزاي: أي تأذن له في ترك اليمين وتجيزه. (انظر النهاية، ٣١٣/١).

رجلا أن يحلفوا مكان مائة من الإبل، يصيب كل رجل منهم بعيران، هذان بعيران، فاقبلهما مني، ولا تصبر يميني[1] حيث تصبر الأيمان، فقبلهما، وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا.

قال ابن عباس: والذي نفسي بيده، ما حال الحول، ومن الثمانية وأربعين عين تطرف)[2].

ويجدر بالذكر هنا أن هناك قصتين عن الأمم الماضية وردتا في الكتب الستة؛ إلا أنهما ضعيفتان؛ وهما قصة الكفل من بني إسرائيل[3]، وقصة ماشطة ابنة فرعون[4]، ولم أوردهما لكوني اقتصرت في بحثي على ما ورد في الكتب الستة من القصص الصحيحة.

---

[1] (تصبر يمينه): يمين الصبر هي التي يلزمها المأمور بها ويكره عليها، ويحكم عليه بها، وقيل لها مصبورة وإن كان صاحبها في الحقيقة هو المصبور، لأنه إنما صبر من أجلها: أي حبس، فوصفت بالصبر، وأضيفت إليه مجازا. (انظر النهاية، ٣/٨).

[2] رواه البخاري، رقم (٣٨٤٥)، في مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية.

[3] رواه الترمذي، رقم (٢٤٩٨) في صفة القيامة، باب رقم (٤٩)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، (٨٣/٩)، رقم (٤٠٨٣).

[4] رواه ابن ماجه، رقم (٤٠٣٠)، في الفتن، باب الصبر على البلاء، وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، (ص٣٢٨).

الباب الأول : المسائل العقدية المتعلقة بأنواع التوحيد الثلاثة.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الربوبية.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات.

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الربوبية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: بيان وقوع الشرك في الربوبية، وأنه وجد من الملوك الجبابرة من ادعى الربوبية لنفسه من دون الله تعالى.

المبحث الثالث: بيان أن من شرك الربوبية جحد النعمة، ونسبتها إلى غير الله تعالى.

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية في اللغة والاصطلاح:

أولا: توحيد الربوبية في اللغة:

_ التوحيد لغة:

يقول ابن فارس[١]: ((وحد) الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد)[٢].

-الرب لغة:

-يقول ابن فارس: ((رب) الراء والباء يدل على أصول. فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه. فالرب: المالك، والخالق، والصاحب)[٣].

-وذكر الطبري -رحمه الله- في تفسيره لسورة الفاتحة أن الرب في كلام العرب منصرف على معان: فالسيد المطاع فيها يدعى ربا، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة[٤]:

وأهلكن يوما رب كندة وابنه ------------------ ورب معد، بين خبت وعرعر

يعني برب كندة: سيد كندة.

والرجل المصلح للشيء يدعى ربا، والمالك للشيء يدعى ربه. وقد يتصرف أيضا معنى "الرب" في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة[٥].

---

[١]هو أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، له من التصانيف: كتاب المجمل، كتاب فقه اللغة، كتاب غريب إعراب القرآن، كتاب مقاييس اللغة، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله، مات سنة ٣٦٩هـ. (انظر معجم الأدباء، ١/٤١٠-٤١٢).

[٢] مقاييس اللغة، (٦/٩٠-٩١).

[٣]المصدر نفسه، (٢/٣٨١).

[٤] هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامري: أحد الشعراء في الجاهلية، أدرك الإسلام، ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، أحد أصحاب المعلقات؛ إلا أنه ترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا، وتوفي سنة ٤١هـ. (انظر الإصابة، ٥/٥٠٠).

[٥]انظر تفسير الطبري، (١/١٤١-١٤٢).

- وقال ابن الأثير[1]: (الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم)[2].

-معنى كلمة الرب من حيث هي اسم لله تعالى

-قال ابن جرير في معنى اسم (الرب) لله سبحانه وتعالى: (فربنا جل ثناؤه: السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر)[3].

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (والرب هو الذى يربى عبده، فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله، من العبادة وغيرها)[4].

-وقال أيضا: (فإن الرب - سبحانه - هو المالك، المدبر، المعطي، المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعز، المذل)[5].

-ويقول ابن القيم - رحمه الله -: (والرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح، والله - تعالى - هو الرب بهذه الاعتبارات كلها)[6].

-وقال ابن كثير - رحمه الله -: (والرب هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله، ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة تقول: رب الدار، رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل، وقد قيل إنه الاسم الأعظم)[7].

---

[1] هو المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، المحدث اللغوي الأصولي، ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ، ومن كتبه: النهاية في غريب الحديث والأثر، وجامع الأصول في أحاديث الرسول ، والإنصاف في التفسير. (انظر سير أعلام النبلاء، ٢١/٤٨٨-٤٩١).

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢/١٧٩).

[3] تفسير الطبري، (١/١٤٣).

[4] مجموع الفتاوى، (١/٢٢).

[5] المصدر نفسه (١/٩٢).

[6] بدائع الفوائد، (٤/١٣٢).

[7] تفسير القرآن العظيم، (١/٤٤).

ومصدر رب يرب الربوبية والربابة، إلا أن الربابة لا تقال في الله، وإنما في غيره، قال الراغب[1]: (والربوبية مصدر يقال في الله عز وجل، والربابة تقال في غيره)[2].

ثانيا: توحيد الربوبية في الاصطلاح:

تنوعت عبارات أهل العلم في تعريف توحيد الربوبية، إلا إنها تدور حول معنى واحد، وهو: (إفراد الله تعالى بأفعاله المختصة به من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة وسائر خصائص الربوبية).

-قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في توحيد الربوبية بأنه يعني: (أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه)[3].

-وقال في موضع آخر: (توحيد الربوبية وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه)[4].

-ويقول ابن القيم – رحمه الله –: (توحيد الربوبية المتضمن أنه وحده الرب، الخالق، الفاطر)[5].

-ويقول ابن أبي العز[6] – رحمه الله –: (وأما الثاني وهو توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال)[7].

---

[1] هو الحسين بن محمد الراغب أبو القاسم الأصبهاني، أحد أعلام العلم، من تصانيفه: كتاب جامع التفاسير، وكتاب أحداق عيون الشعر، وكتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة،، وكتاب المفردات في غريب القرآن، توفي سنة ٥٠٢هـ. (انظر معجم الأدباء، ١١٥٦/٣).

[2] المفردات في غريب القرآن، (ص٣٣٧).

[3] الاستقامة لابن تيمية، (١٧٩/١).

[4] منهاج السنة، (٢٨٩/٣).

[5] بدائع الفوائد، (١٣٢/٤).

[6] هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي: فقيه، ولد سنة ٧٣١ هـ، وكان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، له كتب، منها: التنبيه على مشكلات الهداية، والنور اللامع فيما يعمل به في الجامع، وشرح عقيدة الطحاوي، وتوفي سنة ٧٩٢ هـ. (انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، ١٠٣/٤).

[7] شرح العقيدة الطحاوية، (٢٨/١).

-وقال الشيخ حافظ حكمي[1] -رحمه الله-: (توحيد الربوبية: هو الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، ولا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له ولا مماثل، ولا سمي له ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته، ومقتضيات أسمائه وصفاته)[2].

[1] هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ولد سنة ١٣٤٢ هـ، من أشهر مؤلفاته: "سلم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد الله واتباع الرسول أرجوزة في أصول الدين، وشرحها في كتاب أسماه: معارج القبول، ، وكتاب أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، والسبل السوية لفقه السنن المروية، وتوفي سنة ١٣٧٧هـ. (انظر مقدمة معارج القبول، نبذة عن مؤلف الكتاب بقلم ابنه الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي، ١/١١).

[2] أعلام السنة المنشورة، (ص٢٣).

المبحث الثاني: بيان وقوع الشرك في الربوبية، وأنه وجد من الملوك الجبابرة من ادعى الربوبية لنفسه من دون الله تعالى:

أولا: إقرار الخلق بتوحيد الربوبية:

من المعلوم أن الله فطر الخلق على أشياء كثيرة؛ ومن ضمن ما فطرهم عليه الإقرار له بالربوبية؛ ولذلك نكاد أن نقول إن البشر مجمعون على الإقرار بالربوبية، ولم يخالف في هذا إلا طائفة من شذاذ البشر كفرعون على نحو ما سيأتي بيانه -إن شاء الله-.

ومن الأدلة التي جاءت على أن الخلق مفطورون على هذا الأمر ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣

ولأهل العلم -رحمهم الله- في هذه الآية قولان:

الأول: أن الله استخرج ذرية آدم من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم، وهذا المعنى هو المعنى المذكور في حديث ابن عباس في أخذ الميثاق عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان - يوم عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرها بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا[1]، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾)[2].

---

[1] (قبلا): أي عيانا ومقابلة، لا من وراء حجاب، ومن غير أن يولي أمره أو كلامه أحدا من ملائكته. (النهاية: ٤/٨).

[2] أخرجه أحمد، (٤/٢٦٧)، رقم (٢٤٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١/٣٤٩)، رقم (١٧٠١).

الثاني: أن الاستخراج هنا ليس المقصود أنه من ظهر آدم، وإنما المقصود أن الله نصب لهم الأدلة على ربوبيته، ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم التي ركبها الله فيهم[1].

وعلى أي من القولين فإن الآية دليل على أن الإقرار بالربوبية مرتكز في فطرة البشر، وأصل خلقتهم.

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. كما تنتج البيهمة بهيمة جمعاء[2]. هل تحسون فيها من جدعاء[3]؟). ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث: واقرءوا إن شئتم: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾الروم: ٣٠[4].

والأدلة على هذا كثيرة، وليس المقصود استقصاؤها، ولكن ذكر طرف منها.

وفيما ذكر دلالة واضحة على أن الإقرار بالربوبية أمر فطري مرتكز في نفوس البشر؛ ولذلك تجد أن كل ما في العالم يقر بأن الله ربه وخالقه ورازقه ولو توجه بالعبادة لغيره؛ كما قال تعالى﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ يونس: ٣١ ، وقال

---

[1] انظر تفسير الطبري، (١٣/٢٢٢–٢٥٠)، وتفسير القرطبي، (٧/٣١٤–٣١٨)، وانظر شرح الطحاوية، لابن أبي العز، (ص٢١٧–٢٢١).

[2] (جمعاء): أي سليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها فلا جدع بها ولا كي. (انظر النهاية، ١/٢٩٦).

[3] (جدعاء): أي مقطوعة الأطراف، أو واحدها. (انظر النهاية، ١/٢٤٧).

[4] أخرجه البخاري، رقم (١٣٥٨)، في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، وأخرجه مسلم، رقم (٢٦٥٨) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

تعـــالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ العنكبـــوت: ٦١، وقـــال تعـــالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الزخرف: ٨٧.

فالفطرة تدل على توحيد الربوبية، كما أن الآيات الكونية الظاهرة الباهرة دليل واضح صريح بين على ربوبية الله لخلقه؛ ولذلك لم يحتج السلف –رحمهم الله– إلى الإكثار من الحجج، والأدلة في هذا الباب؛ لأنه واضح بين مرتكز في الفطر، ولا يحتاج إلى تكلف دليل أو برهان.

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على وقوع الشرك في الربوبية:

جاء في قصة أصحاب الأخدود قول الملك لجليسه الأعمى لما رآه قد شفي من عماه: (من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك رب غيرى؟!. قال: ربي وربك الله)[1].

وجه الدلالة: فيه دلالة واضحة على إنكار هذا الملك المتجبر لربوبية الله تعالى، بل وادعائه لنفسه الربوبية، وحمله للناس على هذا الاعتقاد الفاسد، إذ أنه بذل ما في وسعه ليتخلص ممن لا يعتقد فيه هذا الاعتقاد.

وهذا الذي كان من الملك هو نوع من أنواع شرك الربوبية؛ فالشرك في الربوبية هو صرف خصائص الربوبية—كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة– ، أو شيء منها لغير الله تعالى، أو تعطيله عنها بالكلية[2].

وهو ينقسم إلى نوعين:[3]

النوع الأول: شرك التعطيل، وهو تعطيل الصانع عن أفعاله؛ ويكون ذلك بتعطيل خصائص الربوبية، وإنكار أن الله رب العالمين، وهو أقبح أنواع الشرك.

ولم ينكر أحد من البشر توحيد الربوبية إلا طائفة من الشذاذ المكابرين المعاندين المنكرين لما تقرر في فطرهم؛ ومن أمثلتهم:

-شرك هذا الملك المتجبر الذي تقدم ذكره في قصة غلام الأخدود، الذي ادعى لنفسه الربوبية من دون الله لما قال لجليسه: (ولك رب غيري)، وهو شبيه بشرك فرعون: إذ قال: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الشعراء: ٢٣ ، وقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ القصص: ٣٨، وقال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ النازعات: ٢٤

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٧).

[2] المفيد في مهمات التوحيد، (ص١١٣).

[3] انظر الجواب الكافي، (١٣٠-١٣١)، وتيسير العزيز الحميد، (ص٢٦)، والمفيد في مهمات التوحيد، (ص١١٣).

وإن كان هو في نفسه غير مؤمن بما يقول، فقد أنكر وتظاهر بإنكار الصانع، ولكنه مستيقن به في الباطن، وأخبر ــعز وجلــ وهو العليم بذات الصدور أن كلام فرعون ودعواه لم يكن عن عقيدة ويقين، وإنما هو مكابرة وعناد، قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ١٤.

– ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدومًا أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، يسمونها: العقول، والنفوس.

– ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود، كابن عربي[١]، وابن سبعين[٢]، ونحوهم من الملاحدة الذين كسوا الإلحاد حلية الإسلام، ومزجوه بشيء من الحق، حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر.

– ومن هذا شرك من عطّل أسماء الرب وأوصافه، من غلاة الجهمية، والقرامطة.

النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهًا آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته، وهو شرك التمثيل: أي التسوية بين الله وخلقه في شيء من خصائص الربوبية، أو نسبتها إل غير الله –عز وجل–.

ومن أمثلته ما يلي:

–شرك النصارى الذين اتخذوا معه أربابا، فجعلوه ثالث ثلاثة.

–شرك المجوس القائلين بأن للعالم ربين أحدهما خالق للخير، والآخر خالق للشر.

–شرك الصابئة الذين زعموا أن الكواكب هي المدبرة لأمر العالم.

---

[١] هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي، من أئمة فلاسفة الصوفية، قدوة القائلين بوحدة الوجود، من أشهر كتبه: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، ولد بالأندلس عام ٥٦٠هـ، وتوفي بدمشق عام ٦٣٨هـ. (انظر شذرات الذهب، ٣٣٢/٧).

[٢] هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين. يُعدّ من فلاسفة الصوفية، ومن القائلين بوحدة الوجود. ولد سنة ٦١٣، ومات سنة ٦٦٩ بمكة. انظر شذرات الذهب، ٥٧٣/٧).

- شرك القدرية "مجوس هذه الأمة"[1] القائلين بأن كل إنسان يخلق فعل نفسه.

ـ شرك عباد القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فتقضى الحاجات، وتفرج الكربات، وتنصر من دعاها، وتحفظ من لاذ بحماها. ومثلهم مزاعم غلاة الصوفية في الأولياء: أنهم ينفعون، ويضرون، ويتصرفون في الأكوان.

[1] رواه أبو داود، رقم (٤٦٩١)، في السنة، باب في القدر، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، (٣٨/١).

المبحث الثالث: بيان أن من شرك الربوبية جحد النعمة، ونسبتها إلى غير الله:

أولا: بيان أن الله وحده هو المنعم حقيقة، وهو المستحق لإضافة النعم إليه:

إن الله هو المنعم على عباده حقيقة؛ فهو المستحق وحده لشكر نعمه، وأول شيء يفعله العبد لشكر نعمة الله عليه إنما يكون بالاعتراف بالنعمة ونسبتها إلى المنعم حقيقة.

وقطع إضافة النعمة إلى من لولاه لم تكن، وإضافتها إلى السبب -مع نسيان المنعم- لا شك أن هذا جحود للمنعم.

فإن الله هو خالق النعم ومعطيها، وجريان النعمة بهذا السبب ليس معناه أن السبب هو من استقل بالإيجاد لهذه النعمة؛ وإنما الله هو المنعم بالسبب والمسبب، وقد ينعم الله بهذا السبب، وقد ينعم بدونه.

قال شيخ الإسلام: (والأسباب التي جعلها الله أسبابا لا تُجعَل مع الله شركاء، وأندادا، وأعوانا)[1]

وقد عاب الله على المشركين أنهم يعرفون أن النعم التي يتقلبون فيها إنما هي من عند الله، ثم هم يجحدونها بإضافتها لغير الله مع نسيان المنعم حقيقة، قال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ النحل: ٨٣

(قال مجاهد[2]: (يعرفون أنها من عند الله، وينكرونها بقولهم إنهم ورثوا ذلك عن آبائهم)[3].

---

[1] مجموع الفتاوى (٢٧/٩٥).

[2] هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، تابعي، مفسر من أهل مكة، ولد سنة ٢١هـ، قال عنه الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟، توفي سنة ١٠٤هـ. (انظر تهذيب الكمال، ٢٧-٢٢٨، وسير أعلام النبلاء، ٤/٤٤٩).

[3] تفسير الطبري، (١٧/٢٧٣).

وقال عون بن عبد الله[1]: (هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا، ولولا فلان ما أصبت كذا، وهم يعرفون النفع والضر من عند الله)[2].

وقيل: يعرفونها بقلوبهم، ويجحدونها بألسنتهم)[3].

وقال أبو العباس ابن تيمية –رحمه الله– بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: أن الله تعالى قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)[4].

(وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقا)[5].

---

[1] هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، كان من آدب أهل المدينة، وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة، وكان يقول بالإرجاء ثم رجع، وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب، وصحب عمر بن عبد العزيز في خلافته، توفي: سنة بضع عشرة ومائة. (انظر سير أعلام النبلاء، ١٠٣/٥).

[2] تفسير الطبري، (٢٧٣/١٧).

[3] تفسير القرطبي، (٣٣/٨).

[4] أخرجه البخاري (٨٤٦)، في الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، ومسلم، رقم (٧١)، في الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء.

[5] مجموع الفتاوى، (٣٣/٨).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن نسبة النعم لغير الله من الجحود والنكران، وأنها من شرك الربوبية:

جاء في قصة الأبرص والأقرع والأعمى الذين ابتلاهم الله قول الأبرص والأقرع للملك لما ذكرهما بنعمة الله عليهما: (إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر)، بينما كان رد الأعمى عليه بأن قال له: (قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله ما أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل)[1].

وجه الدلالة: بين النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الله أراد أن يختبر هؤلاء الثلاثة، فأعطاهم من نعمه، فأزال عنهم ما كانوا يكرهونه، وأعطاهم ما يحبونه، وزيادة، فما كان من الأول والثاني إلا أنهما نسبا النعم التي حصلت لهما لغير الله، فكانا جاحدين، ناكرين لنعمة الله تعالى، فاستحقا بفعلهما سخط الله عليهما.

وكان الثالث شاكرا لنعمة الله عليه، متذكرا لها، متحدثا بها، مقرا، ومعترفا لله بها، فاستحق رضا الله عليه.

قال ابن القيم –رحمه الله–: (لما أضافوا النعمة إلى غير الله فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلى غيره، فإن الذي قال إنما كان هذا لآبائنا ورثناه كابرا عن كابر جاحدا لنعمة الله عليه غير معترف بها، وهو كالأبرص والأقرع اللذين ذكرهما الملك بنعم الله عليهما فأنكرا، وقالا: إنما ورثنا هذا كابرا عن كابر، فقال إن كنتما كاذبين فصيركما الله إلى ما كنتما، وكونها موروثة عن الآباء أبلغ في إنعام الله عليهم؛ إذ أنعم بها على آبائهم، ثم ورثهم إياها، فتمتعوا هم وآباؤهم بنعمه)[2].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ[3]: (وهذا الحديث عظيم، وفيه معتبر: فإن الأولين جحدا نعمة الله، فما أقرا لله بنعمة، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله فيها فحل

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[2] شفاء العليل، (ص٣٦).

[3] هو العلامة عبد الرحمن بن حسن حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فقيه حنبلي، من علماء نجد، مولده في الدرعية، سنة ١١٩٣ هـ، تفقه بنجد ثم بمصر، وكان قد نقله إليها إبراهيم باشا بعد استيلائه

عليهما السخط. وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق الله فيها، فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها. وهي الإقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم وبذلها فيما يجب)[1].

وهنا ينبغي أن يعلم أن إضافة النعم إلى سببها ليست واحدة في الحكم، وإنما لها صور وحالات؛ لكل حالة منها حكم خاص بها، على النحو التالي:

الصورة الأولى: أن تكون إضافة النعمة إلى سبب خفي لا تأثير له إطلاقا، كأن يقول: لولا الولي الفلاني ما حصل كذا وكذا، فهذا شرك أكبر؛ لأنه يعتقد بهذا القول أن لهذا الولي تصرفا في الكون مع أنه ميت، فهو تصرف سري خفي.[2]

الصورة الثانية: أن يضيفها إلى سبب صحيح ثابت شرعا أو حسا؛ لكنه يعتقد أن هذا السبب هو المؤثر بنفسه، وهو المنعم بذاته استقلالا من دون الله، وهذا شرك أكبر في الربوبية[3]

الصورة الثالثة: أن يضيفها إلى سبب ظاهر، مع اعتقاده أن الله هو الفاعل، ولكنه لم يثبت كونه سببا لا شرعا، ولا حسا، وذلك مثل: القلائد والتمائم التي يقال عنها أنها تمنع العين، وما أشبه ذلك، فهذا شرك أصغر في الربوبية، لأنه أثبت سببا لم يجعله الله سببا، فكان مشاركا لله في إثبات الأسباب.[4]

الصورة الرابعة: أن يضيفها إلى سبب صحيح ثابت شرعا أو حسا، مع اعتقاده أن السبب غير مؤثر بذاته، لكنه يتناسى المنعم الحقيقي، فهذا من كفر النعمة، وجحودها.

على الدرعية، وتوفي سنة ١٢٨٥ هـ، ومن مؤلفاته: الإيمان والرد على أهل البدع، ومجموعة رسائل وفتاوى، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد. (انظر الأعلام للزركلي، ٣/٣٠٤).

[1]فتح المجيد، (ص٤٤٠).

[2]القول المفيد، ٢(/٢٠٢).

٤ انظر شرح النووي لمسلم، (٢/٦٠)، والتمهيد، لابن عبد البر، (١٦/٢٨٦)، وفتح الباري لابن رجب، (٩/٢٦٠)، وتيسير العزيز الحميد، (ص٣٩٠)، والقول المفيد، (٢/٢٠٢).

[4]انظر القول المفيد، (٢/٢٠٢).

الصورة الخامسة: أن يضيفها إلى سبب صحيح ثابت شرعا أو حسا، بشرط أن لا يعتقد أن السبب مؤثر بنفسه، ولا يتناسى المنعم الحقيقي وهو الله –عز وجل–، ولأهل العلم في ذلك قولان بين الجواز والمنع.

فممن ذهب لمنع ذلك، ودخوله في نصوص النهي، وأنه من كفر النعمة الشيخ سليمان بن عبد الله التميمي[1] –رحمه الله– في التيسير، وقد أشار –رحمه الله– إلى الخلاف في المسألة عند أهل السنة، فقال عند شرحه لحديث: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن.....)الحديث[2] : (الاستسقاء بالنجوم نوعان:

أحدهما: أن يعتقد أن المنَزل للمطر هو النجم، فهذا كفر ظاهر، إذ لا خالق إلا الله، وما كان المشركون هكذا، بل كانوا يعلمون أن الله هو المنزل للمطر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾العنكبوت: ٦٣. وليس هذا معنى الحديث، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– أخبر أن هذا لا يزال في أمته، ومن اعتقد أن النجم ينَزل المطر، فهو كافر.

الثاني: أن ينسب إنزال المطر إلى النجم، مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفاعل لذلك المنَزل له، إلا أنه سبحانه وتعالى أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم، فحكى ابن مفلح خلافا في مذهب أحمد في تحريمه وكراهته، وصرح أصحاب الشافعي بجوازه، والصحيح أنه محرم)[3].

وهناك من أهل العلم من يرى جواز ذلك، وأنه لا يدخل في عموم النهي، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ الأحزاب: ٣٧ فهنا أضاف النعمة

---

[1] هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، فقيه من أهل نجد، من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مولده بالدرعية سنة ١٢٠٠ هـ، كان بارعا في التفسير والحديث والفقه. قتله إبراهيم باشا ابن محمد علي، بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، سنة ١٢٣٣هـ، من أشهر مؤلفاته: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. (انظر الأعلام للزركلي، ١٢٩/٣).

[2] أخرجه مسلم، رقم (٩٣٤) في الجنائز، باب التشديد في النياحة.

[3] تيسير العزيز الحميد، (٣٩٠-٣٩١).

لرسول الله –صلى الله عيه وسلم–، وكذلك جاء عن العباس[1] –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال في عمه أبي طالب: (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)[2]، فأضاف النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه النعمة إلى نفسه، وهو سبب حقيقي؛ فدل على الجواز[3].

[1] هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد بدرا مع المشركين مكرها، فأسر فافتدى نفسه، ورجع إلى مكة، فيقال: إنه أسلم سرا، ثم هاجر قبل الفتح بقليل، وشهد الفتح، وثبت يوم حنين، ومات بالمدينة سنة ٣٢هـ. (انظر الإصابة، ٣/٥١١–٥١٢).

[2] أخرجه البخاري، رقم (٣٨٨٣)، في فضائل أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–، باب قصة أبي طالب، ومسلم، رقم (٢٠٩)، في الإيمان، باب شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه.

[3] انظر القول المفيد، (ص٢٠٥).

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية

وفيه سبعة عشر مبحثا:

المبحث الأول: بيان معنى توحيد الألوهية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: فضل كلمة التوحيد.

المبحث الثالث: الإخلاص.

المبحث الرابع: التوكل.

المبحث الخامس: حسن الظن بالله.

المبحث السادس: الخشية والخوف.

المبحث السابع: الصبر.

المبحث الثامن: التوبة.

المبحث التاسع: الدعاء.

المبحث العاشر: التوسل في الدعاء.

المبحث الحادي عشر: التألي على الله.

المبحث الثاني عشر: السحر.

المبحث الثالث عشر: الاستعاذة.

المبحث الرابع عشر: الاستغاثة.

المبحث الخامس عشر: التحاكم إلى شريعة الله.

المبحث السادس عشر: بيان أن الاستكبار عن سبيل التوحيد هو سبب هلاك أكثر الكافرين.

المبحث السابع عشر: بيان مشروعية الهجرة حين لا يجد المرء سبيلا لإقامة دينه.

المبحث الأول: بيان معنى توحيد الألوهية في اللغة والاصطلاح:

أولا: توحيد الألوهية لغة:

-المعنى اللغوي لكلمة (الإله):

الإله لغة: هو المعبود، والألوهية هي مصدر أله يأله، قال الجوهري[1]: (أله بالفتح إلاهة، أي عبد عبادة. ومنه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما: (ويذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة. قال. وعبادتك. وكان يقول: إن فرعون كان يعبد في الارض، ومنه قولنا " الله " وأصله إلاه على فعال، بمعنى مفعول، لأنه مألوه أي معبود، كقولنا: إمام فعال بمعنى مفعول، لأنه مؤتم به)[2]

ويقول ابن فارس: ((أَلَهَ) الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التَّعَبُّد. فَالْإِلَه اللَّه تعالى، وَسمي بذلك لأنه معبود. ويقال: تَأَلَّهَ الرجل: إذا تَعَبَّدَ. قال رُؤْبَةُ:

لِلَّهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّهِ ... سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي)[3].

وعلى هذا فإن الألوهية صفة لله تعالى تعني استحقاقه جل وعلا للعبادة بما له من الأسماء والصفات والمحامد العظيمة [4]، ولذلك قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين) [5].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (" الإله " هو المألوه أي المستحق لأن يؤله أي يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل)[6].

---

[1] هو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي، إمام في علم اللغة والأدب، أشهر كتبه الصحاح، وله كتاب في العروض، ومقدمته في النحو، توفي سنة ٣٩٣ هـ. (انظر معجم الأدباء، ٢/٦٥٦-٦١٦).

[2] الصحاح، للجوهري (٦/ ٢٢٢٣).

[3] مقاييس اللغة، (١/١٢٧).

[4] انظر تيسير العزيز الحميد، (ص١٠).

[5] تفسير الطبري، (١/١٢٤).

[6] مجموع الفتاوى، (١٣/٢٠٢)

ثانيا: توحيد الألوهية اصطلاحا:

تعددت الأقوال التي جاءت عن السلف في تعريف توحيد الألوهية؛ إلا أن جميعها يدور حول معنى واحد، وهو: (إفراد الله بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، ونفي العبادة عن كل من سوى الله كائنا من كان)

يقول ابن القيم –رحمه الله– في تعريفه لتوحيد الألوهية: (عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه، والرضى به ربا وإلها ووليا وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء)[1].

ويقول سليمان التميمي –رحمه الله– : (توحيد الإلهية: المبني على إخلاص التأله لله تعالى، من المحبة والخوف، والرجاء والتوكل، والرغبة والرهبة، والدعاء لله وحده. وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئا لغيره، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، فضلا عن غيرهما)[2].

ويقول ابن سعدي[3] –رحمه الله–: (توحيد الإلهية، ويقال له: توحيد العبادة: وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده)[4].

ويقول ابن عثيمين –رحمه الله– :(توحيد الألوهية: ويقال له: توحيد العبادة باعتبارين؛ فباعتبار إضافته إلى الله يسمى: توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة. وهو

---

[1] اجتماع الجيوش الإسلامية، (ص٩٣).

[2] تيسير العزيز الحميد، (ص١٩–٢٠).

[3] هو العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي ، ولد سنة ١٣٠٧هـ، من مؤلفاته: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، والقول السديد في مقاصد التوحيد، ومنهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، وتوفي سنة ١٣٧٦هـ. (انظر مشاهير علماء نجد، ص٢٥٦–٢٦٠).

[4] القول السديد، (ص١٧).

إفراد الله- عز وجل- بالعبادة. فالمستحق للعبادة هو الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ لقمان: ٣٠ .

والعبادة تطلق على شيئين:

الأول: التعبد بمعنى التذلل لله- عز وجل- بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ محبة وتعظيما.

الثاني: المتعبد به؛ فمعناها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

مثال ذلك: الصلاة؛ ففعلها عبادة، وهو التعبد.

ونفس الصلاة عبادة، وهو المتعبد به.

فإفراد الله بهذا التوحيد: أن تكون عبدا لله وحده تفرده بالتذلل؛ محبة وتعظيما، وتعبده بما شرع)[1].

---

[1] القول المفيد، (١/١٤-١٥).

المبحث الثاني: فضل كلمة التوحيد

أولا: فضل كلمة التوحيد

إن فضل (لا إله إلا الله) لا يُحيط به فكر، ولا يحصيه قلم، (فهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي المنشور الذي لا يدخل الجنة إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة، و من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[1].

والنصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها.

(-فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٥

-ولأجلها خُلِق الإنس والجن، والدنيا والآخرة، والجنة والنار، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦

-وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها، مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها.

[1] الداء والدواء، (ص١٩٦).

قال النبي –صلى الله عليه وسلم– : (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)[1].

–وهي أعلى جميع شعب الإيمان، كما في الصحيحين عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (الإيمان بضع وسبعون –أو بضع وستون– شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق)[2].

–وهي أول ما يؤمر به من الدين، لأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لما بعث معاذا[3] إلى اليمن، قال له: (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ....)[4]

–وهي أعظم نعمة أنعم الله –عز وجل– بها على عباده أن هداهم إليها؛ ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدمها أولا قبل كل نعمة، فقال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ النحل: ٢ .

---

[1] رواه البخاري، رقم (٨)، في الإيمان: باب قول النبي بني الإسلام على خمس، ومسلم، رقم (١٦)، في الإيمان، باب أركان الإسلام .

[2] رواه البخاري في الإيمان: باب أمور الإيمان، رقم (٩) ، ومسلم في الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان رقم (٣٥).

[3] هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، أعلم الأمة بالحلال والحرام، شهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وبعثه رسول الله، على أهل اليمن، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة ١٨هـ. (انظر الإصابة، ١٠٧/٦–١٠٩).

[4] رواه البخاري، رقم (١٤٥٨)، في الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ومسلم رقم (١٩) في الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

-وهي العروة الوثقى التي قال الله عز وجل: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾البقرة: ٢٥٦، قاله سعيد بن جبير[١] والضحاك[٢][٣].

-وهي العهد الذي ذكر الله -عز وجل- إذ يقول: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ مريم: ٨٧، قال ذلك عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- والضحاك[٤].

-وهي الحسنى التي قال الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ الليل: ٥ - ٧، قاله أبو عبد الرحمن السلمي[٥] والضحاك[٦].

-وهي كلمة الحق التي ذكر الله -عز وجل- إذ يقول تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الزخرف: ٨٦ [٧].

---

[١] هو سعيد بن جبير بن هشام الوالبي مولاهم، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، ولد سنة ٤٥هـ، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدا. خرج في فتنة ابن الأشعث، وقتله الحجاج بواسط سنة ٩٥هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٣٢١/٤).

[٢] هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ،أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب (التفسير)، كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، حدث عن: ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك، توفي بخراسان سنة ١٠٥ هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٥٩٨/٤).

[٣] انظر تفسير ابن كثير، (٥٢٣/١).

[٤] انظر تفسير ابن كثير، (٢٣١/٥).

[٥] هو أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب، مقرئ الكوفة، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، قرأ القرآن، وجوده، ومهر فيه، وعرضه على عثمان وعلى وابن مسعود، وحدث عن: عمر، وعثمان، وطائفة، وتوفي سنة ٧٤هـ، وقيل غير ذلك. (انظر سير أعلام النبلاء، ٢٦٧/٤).

[٦] انظر تفسير ابن كثير،(٤٠٤/٨).

[٧] انظر تفسير البغوي، (٢٢٤/٧).

-وهي كلمة التقوى التي ذكر الله -عز وجل- إذ يقول: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾الفتح: ٢٦ ، وقد روي ذلك عن علي وابن عباس وابن عمر ومجاهد وغيرهم من السلف والخلف[١].

-وهي القول الثابت الذي ذكر الله -عز وجل- إذ يقول تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾إبراهيم: ٢٧. كما جاء في حديث البراء بن عازب[٢] -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾إبراهيم: ٢٧)[٣]

-وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلا قبل ذلك، إذ يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٤ قاله ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير ومجاهد وغير واحد[٤].

---

[١] انظر تفسير الطبري، (٢٢/٢٥٣-٢٥٦)، وتفسير ابن كثير، (٧/٣٢٠-٣٢١).

[٢] هو البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، له ولأبيه صحبة، وروي عنه أنه غزا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أربع عشرة غزوة، وفي رواية خمس عشرة، وقد روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم -جملة من الأحاديث، توفي سنة ٧١ هـ. (انظر الإصابة، ١/٤١١).

[٣] رواه البخاري، رقم (٤٦٩٩)، في تفسير سورة إبراهيم، باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ إبراهيم: ٢٧، ومسلم رقم (٢٨٧١) في صفة الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

[٤] انظر تفسير ابن كثير، (٤/٤٢٢).

-وهي الحسنة التي ذكر الله -عز وجل- إذ يقول: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾ الأنعام: ١٦٠. وقال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النمل: ٨٩ قال ذلك ابن عباس ومجاهد وجماعة من السلف[1].

-وهي المثل الأعلى الذي ذكر الله -عز وجل- إذ يقول: ﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ الروم: ٢٧ قال ذلك قتادة ومحمد بن جرير[2].

-وهي سبب عصمة الدم والمال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله)[3]

-وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق، إذ يقول تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الحجر: ٩٢ - ٩٣ ، وقال تعالى: ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الأعراف: ٦ ، فأما سؤاله تعالى الذين أرسل إليهم يوم القيامة فمنه قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ القصص: ٦٥ والآيات قبلها وبعدها وغير ذلك. وأما سؤاله المرسلين فمنه قوله تعالى: ﴿ ۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ المائدة: ١٠٩ وغير ذلك من الآيات.

---

[1] انظر تفسير الطبري، (١٢/٢٧٦-٢٧٨)، وتفسير ابن كثير، (٦/١٩٦).

[2] انظر تفسير الطبري، (١٧/٢٢٩-٢٣٠).

[3] رواه البخاري، رقم (٦٩٢٤)، في استتابة المرتدين، باب قتل من أبي قبول الفرائض، ومسلم رقم (٢٠) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

-وهي سبب دخول الجنة، كما جاء عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق؛ أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء)[1]. وفي رواية: (أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)[2].

-وهي أفضل ما ذُكِر الله -عز وجل- به ، لقول النبي —صلى الله عليه وسلم-: (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)[3].

-وهي أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب

---

[1] رواه البخاري، رقم (٣٤٣٥)، في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾، ومسلم، رقم (٢٨) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

[2] رواه البخاري، رقم (٣٤٣٥)، في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٨) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

[3] رواه الترمذي رقم (٣٥٨٥) في الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (٢٤٨/١)، رقم (١١٠٢).

ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء)[1].

- وهي التي تجعل صاحبها أسعد الناس بشفاعة النبي —صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة، قال —صلى الله عليه وسلم-: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه)[2][3].

---

[1] رواه الترمذي، رقم (٢٦٣٩) في الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وابن ماجه، رقم (٤٣٠٠)، في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، وأحمد في مسنده، (٥٧١/١١)، رقم (٦٩٩٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (٢٦٢/١)، رقم (١٣٥).

[2] رواه البخاري، رقم (٩٩)، في العلم، باب الحرص على الحديث.

[3] انظر معارج القبول، (٤١٠/٢-٤١٦)، وانظر شهادة أن لا إله إلا الله، د.صالح السندي، (ص٢٦-٤٠).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على فضل كلمة التوحيد:

جاء في قصة دس جبريل –عليه السلام الطين في فم فرعون): قول جبريل –عليه السلام–: (فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه، مخافة أن تدركه الرحمة) [1]، وذلك لما نطق فرعون بكلمة التوحيد وهو في حال الغرق.

وجه الدلالة: دل هذا الحديث على فضل كلمة التوحيد، فإن جبريل خشي أن يرحم الله بها فرعون الكافر عندما نطق بها في حال غرقه، فكيف إذا قالها في حال العافية موقنا بها، لا شك أن في ذلك أجرا عظيما وثوابا جزيلا[2].

ففي هذا القصة دلالة على أن كلمة التوحيد سبب لحصول صاحبها على رحمة الله والنجاة من عذابه، وبعدم التزامها يستحق عذاب الله تعالى، كما جاء أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سمع مؤذنا يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله" فقال –صلى الله عليه وسلم–: (خرجت من النار)[3].

وعن عبادة بن الصامت[4] –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، حرم الله عليه النار)[5].

وفي حديث الشفاعة: (أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)[6].

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٨).

[2] صحيح القصص النبوي، للأشقر، ص٣٦١).

[3] رواه مسلم رقم (٣٨٢) في الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة إذا سمع فيهم الآذان.

[4] هو الصحابي الجليل عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، شهد بدرا والمشاهد كلها، وكان أحد النقباء بالعقبة، وروى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– كثيرا، ومات بالرملة سنة ٣٤هـ، وقيل: إنه عاش إلى سنة خمس وأربعين. (انظر الإصابة، ٥٠٧/٣).

[5] رواه ومسلم رقم (٢٩) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

[6] رواه البخاري، رقم (٧٤٣٩)، في التوحيد، باب ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾، ومسلم رقم (١٨٣) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

ولكن ينبغي أن يعلم أن الإنسان لا ينتفع بقول لا الله إلا الله إلا إذا حقق أركانها وشروطها، ومات على ذلك ولم يرتكب ناقضا من نواقضها.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: (لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط لا تنفع قائلها إلا باجتماعها: أحدها: العلم المنافي للجهل. الثاني: اليقين المنافي للشك. الثالث: القبول المنافي للرد. الرابع: الانقياد المنافي للترك. الخامس: الإخلاص المنافي للشرك. السادس: الصدق المنافي للكذب. السابع: المحبة المنافية لضدها.)[١].

---

[١] فتح المجيد، (ص٨٣).

المبحث الثالث: الإخلاص

أولا: الإخلاص لغة وشرعا

الإخلاص لغة: تصفية الشيء وتنقيته وتهذيبه، قال ابن فارس: ((خلص) الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه)[1].

وفي المصباح المنير: (خلص الشيء من التلف خلوصا من باب قعد وخلاصا ومخلصا سلم ونجا، وخلص الماء من الكدر صفا، وخلصته بالتثقيل ميزته من غيره)[2].

الإخلاص شرعا: تعددت عبارات السلف وتعريفاتهم للإخلاص، إلا أن أقوالهم فيه متقاربة، ومدارها على (إخلاص الاعتقاد والتوجه والقول والعمل لله تعالى وحده؛ وذلك بتمحيص النيات والأقوال والأعمال لله تعالى؛ بأن تكون صادرة عن نية يراد بها وجه الله تعالى)[3].

قال ابن القيم: -رحمه الله-: (وقد تنوعت عبارتهم في الإخلاص والصدق، والقصد واحد.

فقيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة.

وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين.

وقيل: التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك. والصدق التنقي من مطالعة النفس. فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له. ولا يتم الإخلاص إلا بالصدق، ولا الصدق إلا بالإخلاص. ولا يتمان إلا بالصبر.

وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن. والرياء: أن يكون ظاهره خيرا من باطنه. والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق. ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله)[1].

---

[1] مقاييس اللغة، (٢٠٨/٢).

[2] المصباح المنير، (١٧٧/١).

[3] طريقك إلى الإخلاص والفقه في الدين، لعبد الله بن ضيف الله الرحيلي،(ص١٣).

وقصد الرب بالإخلاص في العمل له صور عدة، فمن العباد من يعبد الله تعظيما له وتوقيرا، ومنهم الذي يقصد الدخول في طاعته وعبادته، ومنهم من يطلب بالعبادة التنعم برؤيته يوم لقائه، ومنهم من يطلب ثوابه، ومنهم من يعبده خوفا من عقابه، وكل ذلك من الإخلاص، وتعني أن العبد يريد الله سبحانه، ولا يريد سواه.[٢]

---

[١] انظر مدارج السالكين، لابن القيم، (٢/٩١- ٩٢).

[٢] مقاصد المكلفين، للأشقر، (ص٤٠٩).

ثانيا: منزلة الإخلاص:

-الإخلاص حقيقة الدين، وقد أمر الله تعالى به عباده، وهو الأمر الذي لا يسع أحد تجاهله، أو مخالفته، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥ ، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ الزمر: ١١ ،وقال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾الزمر: ٢ - ٣ .

-أساس دعوة المرسلين، وأهم الأصول التي جاءوا بها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾النحل: ٣٦ ، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٥

-الإخلاص أصل أعمال القلوب، وعمل القلب هو روح العبودية ولبها، يقول ابن القيم: (فعمل القلوب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح، والنية هي عمل القلب)[1].

-أحد شرطي قبول العمل، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾الملك: ٢.

قال الفضيل بن عياض[2]: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: (إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم

[1] بدائع الفوائد، (١٩٢/٣)

[2] هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، ولد سنة ١٠٥ هـ، وكان من أكابر العباد الصلحاء، كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها، ثم سكن مكة، وتوفي بها سنة ١٨٧ هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٤٢١/٨).

قرأ قوله تعالى: قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠)[1].

وعن أبي أمامة الباهلي[2] –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه)[3].

– أعلى الله ذكر من اتصف به، وأثنى عليهم، فقال عن موسى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ مريم: ٥١، وقال عن يوسف: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يوسف: ٢٤، وقال عن محمد –صلى الله عليه وسلم–: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ البقرة: ١٣٩.

[1] تفسير الثعلبي، (٩/٣٥٥-٣٥٦).

[2] هو صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو أمامة: صحابي. كان مع علي في (صفين) وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص. وهو آخر من مات من الصحابة بالشام، سنة ٨١هـ، له في الصحيحين ٢٥٠ حديثا. (انظر الإصابة، ٣/٣٣٩-٣٤١).

[3] أخرجه النسائى (رقم ٣١٤٠)، في الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي، (٢/٣٨٤).

ثالثا: ما يضاد الإخلاص وينافيه:

الرياء ينافي الإخلاص ويضاده، ولا يجتمع معه في عمل واحد، والرياء هو: (إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء؛ لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر)[1].

وقد جاء الوعيد الشديد لمن تخلى عن الإخلاص ووقع فيما ينافيه، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨ .

وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣

يقول ابن القيم بعد إيراده لهذه الآية: (وهي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله)[2].

وقد ذم الله تعالى الرياء، وجعله من صفات المنافقين في قوله: ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء: ١٤٢

وقال: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الماعون: ٤ - ٦

وجاءت الأحاديث الكثيرة التي فيها ذم الرياء وبيان عقوبته، فمن ذلك الحديث القدسي الذي جاء عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)[3] .

---

[1] فتح الباري، لابن حجر، (٣٣٦/١١).

[2] مدارج السالكين، (٨٩/٢).

[3] أخرجه مسلم، رقم (٢٩٨٥) في الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله.

يقول ابن القيم –رحمه الله-: (فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أُمِر به، بل الذي أتى به شيء غير المأمور به، فلا يصح ولا يقبل منه)[1].

- وللرياء عند مخالطة العمل أحوال؛ وهي:[2]

١- الرياء المحض، وذلك بأن يكون الرياء هو سبب العمل والحامل عليه، وهذا النوع من العمل لا شك في بطلانه.

٢- أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء؛ وهذا فيه حالاتان:

الحالة الأولى: أن تكون مشاركة الرياء له من الأصل، والنصوص تدل على بطلانه، قال ابن رجب[3] –رحمه الله- : (وممن روي عنه هذا المعنى، وأن العمل إذا خالطه شيء من الرياء كان باطلا: طائفة من السلف، منهم عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء[4]، والحسن[5]، وسعيد بن

---

[1] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص١٣٢).

[2] انظر جامع العلوم والحكم، (١/٧٩-٨٣)، وانظر إعلام الموقعين، (٢/١٢٤-١٢٥).

[3] هو الحافظ المحدث الفقيه زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، ولد في بغداد سنة ٧٠٦هـ، وصنف شرح الترمذي، وشرح علل الترمذي، وشرح قطعة من البخاري، وطبقات الحنابلة، وغيرها، مات سنة ٧٩٥هـ. (انظر ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي، ص٢٤٣).

[4] هو الصحابي الجليل عويمر، واختلف في اسم أبيه، فقيل: عامر، وقيل غير ذلك، وأبوه ابن قيس بن أمية بن عامر الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر، وشهد أحدا ، وروى عن النبي –صلى الله عليه وسلم-، وعن زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي أمامة، وفضالة بن عبيد، ومات في خلافة عثمان. (انظر الإصابة، ٤/٦٢١).

[5] هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وكان أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، و توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٤/٥٦٣-٥٨٨).

المسيب[1]، وغيرهم.) إلى أن قال: (ولا نعرف عن السلف في هذا خلافا، وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين)[2].

الحالة الثانية: أن يكون أصل العمل لله والمشاركة للرياء طرأت عليه، فإن دفع هذا الخاطر فإنه لا يضره، وإن استرسل معه يخشى عليه من بطلا العمل، ومن أهل العلم من قال يثاب ويجازى على أصل نيته، قال ابن رجب : (وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء، فإن كان خاطرا ودفعه، فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط به عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروي عن الحسن البصري وغيره)[3].

ثم قال: (وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوله، كالصلاة والصيام والحج، فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نية)[4].

---

[1] هو سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ولد: لسنتين مضتا من خلافة عمر -رضي الله عنه- سنة ١٣هـ ، وكان زوج بنت أبي هريرة، وأعلم الناس بحديثه، وتوفي سنة ٩٤ هـ بالمدينة. (انظر سير أعلام النبلاء، ٢١٧/٤).

[2] جامع العلوم والحكم، (٨١/١).

[3] المصدر نفسه، (٨١/١-٨٢).

[4] المصدر نفسه،(٨٢/١).

رابعا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على الإخلاص:

القصة الأولى: قصة الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار:
وفيها أن كل واحد منهم قال وهو يتوسل إلى ربه بعمله: (اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه)[1].

وجه الدلالة: (أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– ركز على أمر مهم، وكرره مع كل عمل من هذه الأعمال الصالحة التي جاء بها كل منهم، من بر الوالدين، والعفة عن الزنى مع قوة الدافع، وتهيؤ الأسباب، وحفظ أجرة الأجير وتنميتها ثم أدائها مع ثمرتها دون أن يأخذ مقابلا على ذلك.، ليبين أنه السبب في صلاحها، ووقوعها ذلك الموقع الحسن عند الله حتى أثمرت لهم تلك العناية الفائقة.

هذا الأمر هو الإخلاص وقصد الله وحده، بفعل الجميل وترك القبيح، بين ذلك بقول كل واحد منهم: (اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه)

ففي هذا الحديث يقص النبي –صلى الله عليه وسلم– على أمته قصة نفر تولاهم الله، مبينا مظاهر ولاية الله لهم، وهي أنه قبل دعاءهم، وفرج ما هم فيه من الشدة، فأزاح الصخرة عن فم الغار، فخرجوا يمشون، وبين سبب هذه الولاية وهي الأعمال الصالحة التي حققوا فيها الإخلاص)[2].

فيؤخذ من هذه القصة أن الإخلاص سبب لقبول الأعمال الصالحة، وكذلك هو سبب لعناية الله –عز وجل– بعبده، وأنه سبب لتفريج الكربات وإزالة الشدة.

القصة الثانية: قصة الرجل الذي وضع الصدقة في غير موضعها، وفيها أن الرجل الذي تصدق فوقعت صدقته في يد سارق وزانية وغني قيل له: (أما صدقتك على سارق: فلعله أن يستعف

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٣).

[2] انظر أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، (٢٤٦/١).

عن سرقته، وأما الزانية: فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني: فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله)[1].

وجه الدلالة:

(في هذا الحديث دلالة على فضيلة الإخلاص؛ فقد دلت القصة أن نية المتصدق إذا كانت صالحة خالصة لله تعالى قبلت صدقته ولو لم تقع الموقع، وفيه فضل صدقة السر)[2].

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٧).

[2] انظر فتح الباري، (٣/٢٩١).

المبحث الرابع: التوكل.

أولا: تعريف التوكل لغة، وشرعا:

تعريف التوكل لغة:

قال ابن فارس: ((وَكَل) الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك. من ذلك الْوُكَلَةُ، وَالْوَكَلُ: الرجل الضعيف. يقولون وُكَلَةٌ تُكَلَةٌ. وَالتَّوَكُّلُ منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك)[1]

وفي القاموس المحيط: (التوكل: إظهار العجز، والاعتماد على الغير، والاسم: التكلان.)[2]

تعريف التوكل في الشرع:

تنوعت تعريفات العلماء للتوكل، وقد نقل ابن القيم عددا منها في كتابه مدارج السالكين.

ومما ذكره –رحمه الله– في ذلك : (قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب. ومعنى ذلك أنه عمل قلبي. ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول: هو علم القلب بكفاية الرب للعبد.

ومنهم من يفسره بالسكون، وخمود حركة القلب. فيقول: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب، كانطراح الميت بين يدي الغاسل بقلبه كيف يشاء. وهو ترك الاختيار، والاسترسال مع مجاري الأقدار.

ومنهم من يفسره بالرضا. فيقول: هو الرضا بالمقدور.

ومنهم من يفسره بالثقة بالله، والطمأنينة إليه. والسكون إليه)[3].

---

[1] معجم مقاييس اللغة، (١٣٦/٦).

[2] القاموس المحيط، (ص١٠٦٩).

[3] مدارج السالكين، (١١٤/٢).

وقال ابن رجب –رحمه الله- : (وحقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه.)[١]

ومن أجمع التعريفات للتوكل، وأشملها ما عرفه به الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله- بقوله:

(والتوكل: هو الاعتماد على الله- سبحانه وتعالى- في حصول المطلوب، ودفع المكروه، مع الثقة به، وفعل الأسباب المأذون فيها، ولا بد من أمرين:

الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتمادا صادقا حقيقيا.

الثاني: فعل الأسباب المأذون فيها)[٢].

---

[١] جامع العلوم والحكم، (٤٩٧/٢).

[٢] القول المفيد على كتاب التوحيد، (٨٧/٢).

ثانيا: التوكل عبادة لا تصرف إلا لله:

التوكل على الله عبادة من أجل وأعظم العبادات، وهو من عبادات القلوب التي لا يجوز أن تصرف لأحد إلا الله.

بل وذكر أهل العلم في منزلة التوكل، ومكانته، أنه نصف الدين، والنصف الثاني هو العبادة، ولذلك كثيرا ما يقرن الله بينهما في كتابه، كما في سورة الفاتحة :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة: ٥ ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥ ﴾ مريم: ٦٥

قال ابن القيم: (التوكل نصف الدين. والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة.)[1]

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣ ﴾ المائدة: ٢٣ ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٢٢ ﴾ آل عمران: ١٢٢ ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤ ﴾ يونس: ٨٤ ،فأمر الله سبحانه بالتوكل عليه وحده؛ بل وجعل التوكل شرطا لصحة الإيمان، فدلت هذه الآيات وغيرها على أن التوكل عبادة لا تصرف إلا لله، وأن صرفها لغير الله شرك، قال شيخ الإسلام –رحمه الله– :(وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١ ﴾ الحج: ٣١)[2]

والتوكل على غير الله له أحوال، ولكل حال منها حكمه، (فالتوكل على غير الله قسمان: أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات، والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر، والحفظ، والرزق، والشفاعة، فهذا شرك أكبر؛ فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى.

---

[1] مدارج السالكين، (١١٣/٢).

[2] مجموع الفتاوى، (٢٧٥/١٠).

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة العادية، كمن يتوكل على أمير، أو سلطان، فيما جعله الله بيده من الرزق، أو دفع الأذى ونحو ذلك. فهذا نوع شرك خفي، والوكالة الجائزة هي توكل الإنسان في فعل مقدور عليه. ولكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله، بل يتوكل على الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه)[1].

---

[1] تيسير العزيز الحميد، (٤٢٩-٤٣٠).

ثالثا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على التوكل:

وردت عدة قصص نبوية عن الأمم الماضية فيها دلالة على التوكل؛ وهي:

- القصة الأولى: قصة الرجل الذي استلف ألف دينار، وفيها أن الرجل الذي أسلف المال قال لصاحبه الذي أراد أن يقترض منه: (ائتني بشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، فقال: ائتني بالكفيل، قال: كفى بالله وكيلا، قال: صدقت. قال: فدفعها إلى أجل مسمى)، وأن الرجل المقترض لما حان وقت سداد دينه التمس مركبا ليأتي صاحبه الذي اقترض منه فلم يجد، (فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا، فقلت: كفى بالله وكيلا، فرضي بك وسألني شهيدا، فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه بالذي له، فلم أجد، وإني أستودعكها. فرمى بها إلى البحر، حتى ولجت فيه)[1].

وجه الدلالة:

أن الذى نقر الخشبة توكل على الله، ووثق به فى تبليغها وحفظها، والذى أسلف وطلب الكفيل صح منه أيضًا التوكل؛ لأنه قنع بالله كفيلاً وشهيدا، فوصل إليه ماله[2]، وجاء في رواية: (وقدم الآخر بعد ذلك، فأتاه رب المال، فقال يا فلان مالي، قد طالت النظرة، قال أما مالك فقد دفعته إلى وكيلي الذي توكل به، وأما أنت فهذا مالك فخذه، قال وكيلك قد وفاني) قال أبو هريرة: قد رأيتنا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر مراؤنا ولغطنا أيهما آمن[3]

فهذه الرواية تبين فضيلة كلا الرجلين، وعظيم ما حصل منهما من حسن التوكل على الله.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣١).

[2] انظر شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (٦/٤٢٤).

[3] انظر تغليق التعليق، لابن حجر، (٥/١٢٧).

قال ابن حجر[1] -رحمه الله- :(وفيه فضل التوكل على الله، وأن من صح توكله تكفل الله بنصره وعونه)[2].

فهذه القصة فيها دلالة واضحة بينة على صدق التوكل على الله، كما أنها تدل على جزاء الصدق في التوكل، وهو عدم ضياع المال، ووصوله إلى صاحبه في الوقت المحدد.

وفي هذه القصة دلالة على أن التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، إذ أن الرجل المقترض خرج ليبحث عن مركب ليوصله لصاحبه، فلم يجد شيئا، فأخذ خشبة فنقرها، فوضع فيها المال، ورسالة لصاحبه، فعمل بما قدر عليه من الأسباب مع توكله على الله.

والتوكل عمل من أعمال القلوب وليس من أعمال الجوارح، كما قال الإمام أحمد –رحمه الله- :(التوكل عمل القلب. ومعنى ذلك أنه عمل قلبي. ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات)[3] .

وإذا كان التوكل عمل قلبي، فليست هناك منافاة بين التوكل والأخذ بالأسباب.

وقد جمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بينهما –وهو سيد المتوكلين-، فقد ظاهر بين درعين يوم أحد[4]، ولم يحضر الصف قط عريانا؛ رغم علمه بأن الله يعصمه من القتل؛ ولكن كان ذلك منه –صلى الله عليه وسلم- درسا عمليا لأمته، وتعويدا لها على الأخذ بالأسباب المادية ثم

---

[1] هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري الشافعي، شهاب الدين، ابن حجر، مولده ووفاته بالقاهرة، ولد سنة ٧٧٣هـ، وصار حافظ الإسلام في عصره، وانتهت إليه معرفة الرجال واستحضارهم، وعلل الحديث، من تصانيفه: لسان الميزان، والإصابة في تمييز أسماء الصحابة، وبلوغ المرام ، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري، وتوفي سنة ٨٥٢هـ. (انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، ٣٦/٢-٤٠).

[2] فتح الباري، (٤٧٢/٤).

[3] مدارج السالكين، (١١٤/٢).

[4] رواه الترمذي، رقم (٣٧٣٨)، في المناقب، باب مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه-، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٥٢٦/٣).

التوكل على الله، واستأجرا هاديا خريتا يوم هجرته؛ ليس على دينه وإنما على دين قومه[1]، وكان يدخر لأهله قوت سنة[2]، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل معه الزاد والمزاد؛ هو وأصحابه.

فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، لأن الله من حكمته، وتشريعه الكوني أنه ربط الأسباب بمسبباتها، فالأخذ بالأسباب؛ مع الاعتماد عليها يقدح في التوحيد، وينافي التوكل، وترك الأسباب، وإنكارها قدح في التشريع، والتوكل أن يكون الاعتماد على الله بالقلب، مع فعل الأسباب المأذون بها شرعا.

قال ابن القيم –رحمه الله-: (والناس في الأسباب والقوى والطبائع ثلاثة أقسام:

منهم: من بالغ في نفيها وإنكارها، فأضحك العقلاء على عقله، وزعم أنه بذلك ينصر الشرع، فجنى على العقل والشرع، وسلط خصمه عليه.

ومنهم: من ربط العالم العلوي والسفلي بها بدون ارتباطها بمشيئة فاعل مختار، ومدبر لها يصرفها كيف أراد، فيسلب قوة هذا ويقيم لقوة هذا قوة تعارضه، ويكف قوة هذا عن التأثير مع بقائها، ويتصرف فيها كما يشاء ويختار.

وهذان طرفان جائران عن الصواب.

ومنهم: من أثبتها خلقا وأمرا، قدرا وشرعا، وأنزلها بالمحل الذي أنزلها الله به، من كونها تحت تدبيره ومشيئته، وهي طوع المشيئة والإرادة، ومحل جريان حكمها عليها، فيقوي سبحانه بعضها ببعض، ويبطل – إن شاء – بعضها ببعض، ويسلب بعضها قوته وسببيته، ويعريها منها، ويمنعه من موجبها مع بقائها عليه، ليعلم خلقه أنه الفعال لما يريد، وأنه لا مستقل بالفعل والتأثير غير مشيئته، وأن التعلق بالسبب دونه كالتعلق ببيت العنكبوت، مع كونه سببا.

---

[1] رواه البخاري، رقم (٢٢٦٣)، في الإجارة، باب استئجار المشركين عند الضرورة، أو: إذا لم يوجد أهل الإسلام.

[2] رواه البخاري، رقم (٥٣٥٧)، في النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله، وكيف نفقات العيال.

وهذا باب عظيم نافع في التوحيد، وإثبات الحكم، يوجب للعبد – إذا تبصر فيه – الصعود من الأسباب إلى مسببها، والتعلق به دونها، وأنها لا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، وأنه إذا شاء جعل نافعها ضارا وضارها نافعا، ودواءها داء وداءها دواء، فالالتفات إليها بالكلية شرك مناف للتوحيد، وإنكار أن تكون أسبابا بالكلية قدح في الشرع والحكمة، والإعراض عنها – مع العلم بكونها أسبابا – نقصان في العقل، وتنزيلها منازلها، ومدافعة بعضها ببعض، وتسليط بعضها على بعض، وشهود الجمع في تفرقها، والقيام بها هو محض العبودية والمعرفة، وإثبات التوحيد والشرع والقدر والحكمة)[1].

وقال ابن رجب –رحمه الله– :(واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، كما **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١ ﴾ النساء: ٧١ ، **وقَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ٦٠ ﴾ الأنفال: ٦٠، **وقَالَ تَعَالَى:** ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ الجمعة: ١٠. وقال سهل التستري[2]: (من طعن في الحركة – يعني في السعي والكسب – فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل، فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي – صلى الله عليه وسلم – ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله، فلا يتركن سنته)[3])[4].

---

[1] مدارج السالكين، (١/٢٥٧).

[2] هو سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد التستري، الزاهد، العابد، كان موته في المحرم، سنة ثلاث وثمانين ومائتين. (انظر سير أعلام النبلاء، ١٣/٣٣٠).

[3] رواه أبو نعيم في الحلية، (١٠/١٩٥).

[4] جامع العلوم والحكم، (٢/٤٩٨).

القصة الثانية:

قصة أصحاب الأخدود، وجاء فيها:

(ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى. فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه. فذهبوا به، فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل بأصحابك؟! فقال: كفانيهم الله تعالى! فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل بأصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى)[1].

وجه الدلالة:

أن الغلام توكل على الله وطلب منه الكفاية، فقال: (اللهم اكفنيهم بما شئت)، والله علم من قلبه صدقا أنه يعلم أن الكفاية والعون منه تعالى، فكفاه الله أمر أعدائه، وسلمه منهم.

فالله هو (الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه)[2].

فإذا علم العبد، وأيقن أن الله هو الكافي لعباده رزقا، وقوتا، وحفظا استكفى بمعونته عمن سواه.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن استكفى كفاه الله عز وجل)[3].

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٧).

[2] تفسير السعدي، (٥/ ٣٠٤).

[3] رواه النسائي، رقم (٢٥٩٥)، في الزكاة، باب من الملحف، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١٠٤٢/٢)، رقم (٦٠٢٧).

القصة الثالثة: قصة الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة فسدت عليهم الغار، وفيها قول الثلاثة في حال الشدة لما انحدرت عليهم الصخرة فسدت فتحة الغار الذي كانوا بداخله: (إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم)[1].

وجه الدلالة:

في هذه القصة دلالة على كفاية الله لهؤلاء الثلاثة، إذ أنهم لما وقعوا في هذه الشدة لجأوا إلى ربهم، وتوكلوا عليه، وفوضوا أمرهم له، فتوجهوا له بالدعاء.

القصة الرابعة والخامسة: قصة جريج العابد، وقصة الرضيع الذي دعا الله ألا يجعله كالجبار[2]

وجه الدلالة:

جاء في هذا الحديث قصتان نبويتان عن الأمم الماضية؛ كل قصة من هاتين القصتين فيها دلالة على التوكل.

ففي القصة الأولى -وهي قصة جريج- لما رمته البغي بفاحشة الزنا، وادعت له ولدا من الزنا، وصدق الناس هذه الفرية، وآذوه على ذلك إيذاء بالغا؛ فضربوه، وهدموا صومعته، فأقبل على ربه في صلاته؛ متوكلا عليه؛ لأنه علم أن الله وحده هو من سينجيه من هذه المحنة، والبلاء، فاعتمد عليه بقلبه، وأقبل عليه صادقا، فما كان إلا أن الله كفاه، وبرأه مما رمي به من الفاحشة؛ بل وأعلى منزلته بين الناس؛ لما رأوا أن الله قد أجرى على يديه كرامة —وهي نطق الصبي الذي في المهد ببرائته.

وفي القصة الثانية لما ظلمت الجارية، وأُتِهمت بما هي بريئة منه، توكلت على ربها، وقالت: حسبي الله ونعم الوكيل، فما كان إلا أن أظهر الله براءتها، فأنطق هذا الرضيع سائلا ربه أن يجعله مثل هذه المرأة في صدقها وتوكلها.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٣).

[2] تقدم تخريجه، (ص٤٣).

المبحث الخامس: حسن الظن بالله:

أولا: منزلة حسن الظن بالله، وحقيقته:

حسن الظن بالله: هو ظن مايليق بالله تعالى؛ من ظن إجابة الدعاء، وقبول العمل، والمجازاة عليه، وإنفاذ الوعد، وكل ما تقتضيه أسماؤه الحسنى وصفاته العلى.

وحسن الظن عمل قلبي عظيم المنزلة والأثر على صاحبه في دينه ودنياه وآخرته، وقد ذم الله تعالى الذين أساءوا به الظن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾آل عمران: ١٥٤

وأمر الله عباده بحسن الظن به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥ ،

قال عكرمة[١]: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، قال: (أحسنوا الظن بالله، يبركم).[٢]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي)[٣]

قال ابن حجر -رحمه الله- : (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي: أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به)[٤].

وقال النووي[١] -رحمه الله- : (قال العلماء معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه، ويعفو عنه)[٢].

---

[١] هو العلامة، الحافظ، المفسر، عكرمة أبو عبد الله القرشي مولاهم ، المدني، البربري الأصل، حدث عن: ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعقبة بن عامر، وعلي بن أبي طالب، توفي سنة خمس ومائة. (انظر سير أعلام النبلاء، ٥/١٢-٣٦).

[٢] تفسير الطبري، (٣/٥٩٥)

[٣] رواه البخاري رقم (٧٤٠٥) في التوحيد، باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه، ومسلم رقم (٢٦٧٥) في الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى.

[٤] فتح الباري، (١٣/٣٨٥).

وقال أيضا: ((أنا عند ظن عبدي بي) قال القاضي: قيل معناه بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب الكفاية، وقيل المراد به الرجاء وتأميل العفو، وهذا أصح)[٣].

وحسن الظن درجة من درجات التوكل على الله، وعده ابن القيم –رحمه الله– الدرجة الخامسة للتوكل، قال –رحمه الله– : (الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل.

فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له. يكون توكلك عليه. ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله.

والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه. إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه. والله أعلم)[٤].

وحسن الظن مرتبط بحسن العمل، فمتى ما كان العبد متجاوزا لحدود الله، مسيئا لعمله؛ فهذا سيء الظن بربه، وإن ادعى حسن الظن.

قال ابن القيم –رحمه الله– : (ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده، ويقبل توبته.

وأما المسيء المصر على الكبائر، والظلم، والمخالفات، فإن وحشة المعاصي، والظلم، والحرام تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود في الشاهد، فإن العبد الآبق الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به، ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدا، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته، وأحسن الناس ظنا بربه أطوعهم له.

---

[١] هو الإمام يحيى بن شرف بن مري بن حزام النووي الدمشقي، أبو زكريا، الإمام الحافظ المؤرّخ الفقيه، ولد سنة ٦٣١هـ، توفي سنة ٦٧٦هـ، ومن مصنفاته: روضة الطالبين، وتهذيب الأسماء واللغات، والأذكار، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. (انظر طبقات الشافعية، للسبكي، ٨/٣٩٥–٣٩٧، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، ٢/١٥٣–١٥٧).

[٢] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (١٧/ ٢١٠).

[٣] المصدر السابق، (٢/١٧).

[٤] مدارج السالكين، (١٢١/٢).

كما قال الحسن البصري: (إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل)[1])[2].

وينبغي للعبد المؤمن أن يحسن الظن بربه في كل موطن، وفي كل حال، وهناك مواطن يتأكد فيها حسن الظن بالله، منها:

- عند الدعاء، أن يدعو ربه وهو موقن أن الله قادر أن يعطيه مسألته، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة)[3].
- أن يحسن الظن بربه أن يتقبل عمله، ويرفعه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾فاطر: ١٠.
- إذا أذنب وتاب إلى ربه وأناب، فيحسن الظن به أن يقبل توبته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ التوبة: ١٠٤.
- اليقين بوعد الله الذي لا يخلف، وما أعده لعباده الطائعين المستقيمين من النعيم المقيم الذي لا يزول ولا يحول، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ الزلزلة: ٧.
- عند الموت يحسن العبد ظنه بربه، من ستره، وحسن لقائه، وتجاوزه عنه، فعن جابر – رضي الله عنه–، قال: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم–، قبل وفاته بثلاث، يقول: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن)[1]

---

[1] رواه الفريابي، في صفة النفاق وذم المنافقين، (ص١٢٩).

[2] الداء والدواء، ص٢٥.

[3] أخرجه الترمذي، رقم (٣٤٧٩)، في الدعوات، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (١٠٨/١)، رقم (٢٤٥).

- حسن الظن بالله عند الشدائد والكربات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ﴾ التوبة: ١١٨

- حسن الظن بالله بأنه ناصر للإسلام وأهله، قال ابن القيم –رحمه الله– : (فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده ويؤيد حزبه، ويعليهم ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله، وجلاله، وصفاته، ونعوته، فإن حمده، وعزته، وحكمته، وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة، والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظن به ذلك فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاته وكماله)[٢].

---

[١] أخرجه مسلم رقم (٢٨٧٧)، في صفة الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.

[٢] زاد المعاد، (٣/٢٠٥).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على حسن الظن بالله:

أولا: دلت قصة أصحاب الغار على حسن ظن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت عليهم الغار، فقالوا: (إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم)[1]

وجه الدلالة:

في هذا دلالة واضحة على حسن ظنهم بربهم، في أنه وحده المفرج لما هم فيه من الكرب والشدة.

كذلك الدعاء الذي توجهوا فيه إلى ربهم متوسلين بأعمالهم الصالحة، فيه دلالة على حسن ظنهم بالله في إجابة الدعاء.

ثانيا: قصة الرجل الذي قتل مائة نفس وأراد أن يتوب، وجاءه الموت في طريقه إلى الأرض التي دله عليها العالم (فناء بصدره نحوها)[2].

وجه الدلالة:

وهذا فيه دلالة واضحة على حسن ظنه بربه في قبول توبته، حتى إنه ناء بصدره إلى الأرض الصالح أهلها وهو في حال موته.

ثالثا: قصة أصحاب الأخدود، وفيها أن الغلام لما كان متحيرا في أمر الراهب وأمر الساحر، أي منهما أحب إلى الله، (فبينما هو كذلك، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس)[3].

وجه الدلالة:

أن الغلام دعا ربه محسنا الظن به أن يهديه للحق، وأن يجعل علامة هذا الحق هو قتل هذه الدابة العظيمة التي أعجزت الناس، بهذا الحجر الصغير، وبهذه اليد الصغيرة.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٣).

[2] تقدم تخريجه، (ص٢٤).

[3] تقدم تخريجه، (ص٢٧).

وأحسن الغلام الظن بربه لما مر بالشدائد والمحن، لما حاول الملك قتله ثلاثة مرات، في كل مرة يدعو ربه قائلا: (اللهم اكفنيهم بما شئت)

وقصة أصحاب الأخدود تضرب لنا أروع الأمثلة في حسن الظن بالله، بأن الله لا يضيع من توكل عليه، واحتمى به، وأن دينه منتصر لامحالة.

رابعا: قصة الأبرص والأقرع والأعمى[1].

وجه الدلالة:

أساء الأبرص والأقرع الظن بربهما لما ردا على الملك الذي تصور لهما في صورة رجل محتاج فقير، قائلين له (الحقوق كثيرة)، والله الذي أعطاهما أولا قادر على أن يعطيهما ثانيا، لكنهما بخلا ظانين بالله ظن السوء، وأما الأعمى فأحسن الظن بالله، ولم يجحد نعمة الله.

خامسا: قصة الرجل الذي سقى الكلب العطش[2]، فقد أحسن الظن بالله أن الله مجازيه على عمله.

وفي رواية: (بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته فغفر لها به)[3]، ولا شك أن هذه المرأة البغي قد قام بقلبها من حسن الظن بالله ما يجعل عملها هذا مقبولا، وسببا لمغفرة ذنوبها.

سادسا: قصة الرجل الذي تسلف من صاحبه ألف دينار، وفيها أنه لما حان موعد سداد دينه، ولم يجد ما يوصله إلى صاحبه (فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا، فقلت: كفى بالله وكيلا، فرضي بك وسألني شهيدا، فقلت: كفى بالله

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[3] تقدم تخريجه، (ص٣١).

شهيدا، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه بالذي له، فلم أجد، وإني أستودعكها!. فرمى بها إلى البحر، حتى ولجت فيه)[1].

وجه الدلالة:

أن الرجل المقترض لما أحسن الظن بالله، أوصل الله ذلك المال إلى يد صاحبه، مع أن الأسباب المادية غير منعقدة لحدوث ذلك، فمن الذي سيرها في البحر إلى صاحبها، ومن الذي جعلها تقع في يد صاحبه دون غيره.

سابعا: قصة الرجل الذي وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فعمل ذلك بإحسان ظن بربه بأنه مجازيه على عمله، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس)[2].

ثامنا: قصة الرجل الذي كان يتجاوز عن المعسر، وكان يقول لرسوله: (خذ ما تيسر واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا)[3]، فيها دلالة على إحسان الظن بربه، وبأنه لا يضيع أجر المحسنين.

تاسعا: قصة الرجل الذي تصدق بصدقة، فوقعت صدقته في يد سارق، وغني، وزانية،[4] لما أحسن الظن بالله قبل الله صدقته.

عاشرا: قصة جريج العابد[5]، لما كان في حال الشدة والكرب حينما رماه الناس بالفاحشة، وهدموا صومعته، وقاموا بضربه وإهانته، فصلى متوجها إلى ربه، محسنا الظن به أنه سيفرج كربته، (فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام! من أبوك؟! قال: فلان الراعي) فأنجاه الله من هذه المحنة بحسن ظنه بربه، وتوكله عليه.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣١).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٢).

[3] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

[4] تقدم تخريجه، (ص٣٧).

[5] تقدم تخريجه، (ص٤٣).

المبحث السادس: الخشية والخوف:

أولا: بيان الفرق بين الخشية والخوف:

قال ابن القيم –رحمه الله– :(الوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة، والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾فاطر: ٢٨ ، فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية)[1] .

فالخوف حركة، والخشية انجماع، وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان:

إحداهما: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية)[2]

وقال ابن عثيمين –رحمه الله– : (والخشية نوع من الخوف، لكنها أخص منه، والفرق بينهما:

١– أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾فاطر: ٢٨ ، والخوف قد يكون من الجاهل.

٢– أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي، بخلاف الخوف؛ فقد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف)[3].

---

[1] رواه البخاري، رقم (٦١٠١)، في الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب، وأخرجه مسلم، رقم (٢٣٥٦)، في الفضائل، باب علمه –صلى الله عليه وسلم– بالله تعالى وشدة خشيته.

[2] انظر مدارج السالكين، (٢/٥٠٦– ٥٠٧).

[3] القول المفيد، (٢/٧٢–٧٣).

ثانيا: بيان أن الخوف من الله تعالى عبادة قلبية من أجل العبادات:

الخوف من الله تعالى عبادة قلبية من العبادات العظيمة، وهو أصل التقوى، وإنما سمي التقي متقيا؛ لأنه يجعل بينه وبين ما يخاف وقاية، فالحامل على التقوى في الأصل هو الخوف.

وقد عرفنا أن الخوف عبادة من خلال عدة أمور، منها:

- أن الله تعالى أمر به، وبالإخلاص فيه له وحده، فهو فرض على كل أحد، ،**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥ ، و**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ البقرة: ٤٠ ،و**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ المائدة: ٤٤، و **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾الأعراف: ٥٦ وهذا يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

- أن الله جعل الخوف شرطا من شروط الإيمان، ومقتضى من مقتضياته، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥ ، و**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ التوبة: ١٣ .

-أن الله مدح الخائفين منه، وأثنى عليهم، ورتب الثواب على خوفهم منه تعالى، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ الأنفال: ٢ - ٤ ، و**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١) ﴾ المؤمنون: ٥٧ - ٦١

عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قلت يا رسول الله، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ المؤمنون: ٦٠ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا، يا بنت الصديق، ولكن هم الذي يصومون ويصلون ويتصدقون، ويخافون أن لا يتقبل منهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ المؤمنون: ٦١)[1]

(قال الحسن: عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا)[2].

– أن الله عاب على بني إسرائيل، ووبخهم على قساوة قلوبهم، وعدم خشيتهم له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ البقرة: ٧٤

[1] رواه أحمد في مسنده، رقم (٢٥٢٦٣)، ورواه الترمذي، رقم (٣١٧٥) في التفسير، باب ومن سورة المؤمنين، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٢٨٧/٣).

[2] تفسير الطبري، (٤٥/١٩).

ثالثا: بيان أنواع الخوف:

وقد حصر العلماء –رحمهم الله– الخوف في ثلاثة أنواع[1]:

النوع الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر؛ وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلا، لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله ندا يخافه هذا الخوف فهو مشرك شركا أكبر.

وذلك مثل: من يخاف من الأصنام أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء، ويعتقدون نفعهم وضرهم؛ كما يفعله بعض عباد القبور: يخاف من صاحب القبر أكثر مما يخاف الله.

النوع الثاني: الخوف الذي يحمل صاحبه على ترك الواجب، أو فعل المحرم، فإن كان هذا المخوف به، لا يؤثر عليه، فيكون هذا الخوف الحامل على فعل المحرم، أو ترك الواجب حراما، إلا إذا توفرت فيه شروط الإكراه، وهناك فرق بين الخوف والإكراه، فليس كل خوف يكون إكراها، وقد ذكر العلماء –رحمهم الله– شروط الإكراه، قال ابن حجر –رحمه الله– : (وشروط الإكراه أربعة:

الأول: أن يكون فاعله قادرا على إيقاع ما يهدد به والمأمور عاجزا عن الدفع ولو بالفرار.

الثاني: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

الثالث: أن يكون ماهدده به فوريا، فلو قال إن لم تفعل كذا ضربتك غدا، لا يعد مكرها، ويستثنى ما إذا ذكر زمنا قريبا جدا، أو جرت العادة بأنه لايخلف.

الرابع: أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره، كمن أكره على الزنا فأولج وأمكنه أن ينزع، ويقول أنزلت فيتمادى حتى ينزل)[2].

---

[1] انظر تيسير العزيز الحميد، (٤١٦-٤١٨)، والقول المفيد، (٢/٦٧-٦٨).

[2] فتح الباري، (١٢/٣١١).

النوع الثالث: الخوف الطبيعي، كالخوف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك، فهذا لا يذم وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ القصص: ٢١.

رابعا: دلالة القصص النبوي على أن الخوف والخشية عبادة من أجل العبادات:

القصة الأولى: قصة الرجل الذي أمر أولاده بحرقه إذا مات، وقد جاء فيها جواب الرجل لربه – عز وجل– لما سأله عن السبب الذي حمله على هذه الوصية لأولاده، قال: (خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك فغفر له بذلك)[1].

وجه الدلالة:

أن الرجل على الرغم من إسرافه على نفسه بالذنوب، إلا أن الله غفر له لخوفه منه.

وقد أورد الإمام البخاري –رحمه الله– هذا الحديث في كتاب الرقاق، وترجم له بباب الخوف من الله تعالى، وفقه البخاري –رحمه الله– يظهر في تراجمه، ففي هذا الحديث دلالة واضحة على فضل الخوف من الله تعالى، فقد كان سببا لمغفرة ذنوب هذا الرجل الذي أسرف على نفسه بألوان الذنوب والمعاصي، حتى أنه جاء في رواية أنه (لم يعمل خيرا قط)[2]

والظاهر أن المقصود هنا هو عمل الجوارح على وجه الكمال والتمام، وأن عنده أصل الإيمان في قلبه، بدليل خوفه من الله تعالى، فلا يخاف أحد من الله هذا الخوف إلا إذا كان عنده أصل الإيمان.

قال الإمام ابن خزيمة[3] –رحمه الله– : (هذه اللفظة لم يعملوا خيرا قط من الجنس الذي يقول العرب: ينفى الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال والتمام، فمعنى هذه اللفظة على هذا

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

[2] رواه البخاري، رقم (٧٥٠٦) في التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله).

[3] هو محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري الشافعي، الحافظ، الحجة، الفقيه، ولد: سنة ٢٢٣هـ، وعني في حداثته بالحديث والفقه، وحدث عنه: البخاري، ومسلم في غير (الصحيحين)، وتزيد مصنفاته على ١٤٠ منها كتاب (التوحيد وإثبات صفة الرب)، و(صحيح ابن خزيمة) ، توفي سنة ٣١١هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ١٤/٣٦٥-٣٨٢).

الأصل، لم يعملوا خيرا قط، على التمام والكمال، لا على ما أوجب عليه وأمر به، وقد بينت هذا المعنى في مواضع من كتبي)[1]

القصة الثانية: وهي قصة الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة فسدت عليهم الغار، وفيها أن الثاني دعا الله فقال: (اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم، من أحب الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها فأبت، إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها، فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا)[2].

الشاهد:

قول الرجل في دعائه: (فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا).

وجه الدلالة:

أن الرجل توسل لله في دعائه بعفته عن الزنا، وأن الذي حمله على ذلك هو خشية الله، فاستجاب الله دعائه، وفرج عنه كربه، وأزاح عنه وعن رفاقه الصخرة التي منعتهم من الخروج من الغار، ففي هذه القصة دلالة على أن الخشية من الله سبب لنجاة العبد من الشدائد.

---

[1] كتاب التوحيد، وإثبات صفات الرب –عز وجل– ، (٧٢٩/٢)

[2] تقدم تخريجه، (ص٢٣).

المبحث السابع: الصبر

أولا: معنى الصبر في اللغة، والشرع:

- الصبر لغة: هو الحبس والمنع، قال ابن فارس: (الصبر، وهو الحبس. يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها.)[1]

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾الكهف: ٢٨ ؛ أي احبس نفسك معهم، ومنه قولهم : (قتل صبرا)، أي: محبوسا مأسورا.[2]

- الصبر في الشرع: قال ابن القيم –رحمه الله– في تعريفه للصبر: (وأما حقيقته فهو خلق فاضل من أخلاق النفس؛ يمتنع به من فعل ما لا يحسن، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس؛ التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها)[3].

وقال –رحمه الله–: (فالصبر حبس النفس عن الجزع، والتسخط، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الثياب ونحوهما)[4].

---

[1] معجم مقاييس اللغة، (٣٢٩/٣)

[2] انظر تفسير البغوي، (١٦٦/٥)، والنهاية (٨/٣).

[3] عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين، ص١٦.

[4] المصدر نفسه، ص١٥، وانظر مدارج السالكين، (١٥٥/٢)

ثانيا: منزلة الصبر من الدين:

الصبر عمل قلبي من الأعمال العظيمة؛ التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، قال ابن القيم –رحمه الله– : (وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضى به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والذل له والخضوع، والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.)[1]

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله– : (وعمل القلب من التوكل، والخوف، والرجاء، وما يتبع ذلك، والصبر واجب بالاتفاق)[2]

وقال الآلوسي[3] –رحمه الله– في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ النحل: ٩٦: (وهو الصبر فإنه من الأعمال القلبية، والكلام على حذف مضاف أي لنجزينهم بجزاء صبرهم، وكان الصبر أحسن الأعمال لاحتياج جميع التكاليف إليه فهو رأسها)[4]

والصبر من حيث أصله واجب، فقد أمر الله تعالى به في غير موضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ البقرة: ٤٥، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠٠، **وقوله:** ﴿ وَٱصْبِرْ

---

[1] مدارج السالكين، (١٢١/١)

[2] الفتاوى الكبرى، (٣٥٩/٥)

[3] هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، مفسر، محدث، أديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، ولد سنة ١٢١٧ هـ، ومن كتبه: روح المعاني في التفسير، ونشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، ودقائق التفسير، وحاشية على شرح القطر. (انظر الأعلام للزركلي، (١٧٦/٧).

[4] روح المعاني، (٤٦١/٧).

﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾النحل: ١٢٧ قال ابن القيم –رحمه الله–: (وهو واجب بإجماع الأمة. وهو نصف الإيمان. فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر)[1].

كأنه –رحمه الله– يشير إلى قول النبي –صلى الله عليه وسلم– : (عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر. فكان خيرا له. وإن أصابته ضراء صبر. فكان خيرا له.)[2].

قال ابن القيم –رحمه الله–: (وأما الصبر باعتبار تعلقه بالأحكام التكليفية الخمسة؛ ينقسم بهذا الاعتبار إلى واجب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح، فالصبر الواجب ثلاثة أنواع: أحدها: الصبر عن المحرمات، والثاني: الصبر على أداء الواجبات، والثالث: الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها؛ كالأمراض والفقر وغيرها.

وأما الصبر المندوب، فهو الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات.

وأما المحظور فمنه الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت.

وأما الصبر المكروه فله أمثلة، منها: أن يصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه.

وأما الصبر المباح فهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين؛ خير بين فعله وتركه والصبر عليه)[3].

---

[1] مدارج السالكين، (١٥١/١)

[2] رواه مسلم، رقم (٢٩٩٩) في الزهد، باب المؤمن أمره كله خير.

[3] انظر عدة الصابرين، ص٣١–٣٣

ثالثا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على فضل عبادة الصبر، وأنواعها:

القصة الأولى: قصة أصحاب الأخدود، وفيها أن الملك لما رأى أن الناس قد آمنوا بربهم الحق، وكفروا به، (فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فخدت، وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها - أو قيل له: اقتحم - ففعلوا، حتى جاءت امرأة، ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه، اصبري، فإنك على الحق)[1].

الشاهد:

قول الغلام لأمه: (يا أمه، اصبري، فإنك على الحق).

وجه الدلالة:

في هذه القصة دلالة واضحة على الصبر على طاعة الله، حيث أنطق الله الرضيع ليأمر أمه بالصبر على ما هي عليه، مخبرا لها بأنها على الحق.

القصة الثانية: قصة الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة فسدت عليهم الغار، وفيها أن الثاني دعا ربه فقال: (اللهم كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها على نفسها، وامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه)[2].

وجه الدلالة:

هذه القصة دلت على صبر الرجل عن معصية الله، فقد اجتمعت دواعي المعصية، وانتفت موانعها، فقد أمكنته المرأة من نفسها، وكان قد دفع لها من المال مقابل ذلك، وهي أحب الناس إليه، فقام من عليها بعد أن ذكرته بربه تاركا لها المال الذي أعطاها، وقد كافأه الله تعالى على

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٧).

[2] تقدم تخريجه، (ص٢٣).

صبره عن معصيته، وتعففه عن الفاحشة، فجعل ذلك العمل سببا لتفريج كربته لما انحدرت عليه صخرة فسدت عليه فتحة الغار.

القصة الثالثة: قصة الرجل الذي كان به جرح فقتل نفسه.[1]

وجه الدلالة:

فهذا الرجل لما أصابه هذا الجرح، أو أصابته هذه القرحة جزع، والجزع ضد الصبر، فأيس من رحمة الله تعالى وشفائه، ولم يصبر على ألمه رجاء ثوابه، لضعف داعي الإيمان واليقين في قلبه، فأخذ سكينا فقطع يده، فصار الدم ينزف منها حتى مات، وكان الواجب عليه أن يصبر على قدر الله تعالى، ولا يجزع.

ففي هذه القصص الثلاث دلالة على أنواع الصبر، فالصبر له ثلاثة أنواع[2] ،كما دلت على ذلك نصوص القصص النبوي:

فالأول: الصبر على طاعة الله، قبل الطاعة، وفي أثنائها، وبعد الطاعة، فيكون قبل الطاعة بالإخلاص، وتصحيح النية، وتجنب دواعي الرياء والسمعة، وفي أثناء الطاعة يكون الصبر باستصحاب النية، والصبر على دواعي التكاسل، أو التشاغل عن الطاعة، والصبر بعد الطاعة يكون بالصبر على اجتناب كل ما يحبطها من النظر إليها بعجب، ونحو ذلك.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾طه: ١٣٢ ، و**قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾**الكهف: ٢٨ ، وهذا صبر على طاعة الله، ومن أمثلته كذلك ما جاء في القصة الأولى من صبر الأم على دينها وثباتها عليه، وأمر الصبي لها بذلك، حتى أنها آثرت الدخول بوليدها في النار على ترك دينها والرجوع عنه.

الثاني: الصبر عن المعاصي: ويكون بحبس النفس عن متابعة الشهوات، وعن الوقوع فيما حرم الله، كصبر يوسف –عليه السلام– عن الوقوع في المعصية، مع توفر دواعيها، فقال: **﴿ قَالَ رَبِّ**

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٢).

[2] انظر مدارج السالكين، (٢/١٦٣–١٦٦)، وعدة الصابرين، (ص٢٨–٣١)، القول المفيد، (٢/١٠٩).

ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾

﴾ يوسف: ٣٣، وصبر الرجل -في قصة أصحاب الغار- عن فعل الفاحشة وقد اجتمعت لديه دواعي المعصية، فقد أمكنته المرأة من نفسها بعد أن دفع لها المال، وكان المكان خاليا، وكانت أحب الناس إليه، فتركها والمال ابتغاء وجه الله تعالى.

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٦

ويكون هذا الصبر بحبس اللسان عن التشكي إلى غير الله تعالى، والنفس عن الجزع، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الجيوب ونحوهما.

وقد جاء في القصة الثالثة أن الرجل الذي أصابه جرح لم يصبر على ما قدره الله عليه من البلاء، وأيس من رحمة الله تعالى وشفائه، ولم يصبر على ألمه رجاء ثوابه، فجزع وقتل نفسه.

ويهون الصبر في البلاء، بملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج، وتهوين البلية بعد أيادي المنن، وبذكر سوالف النعم.

قال ابن القيم -رحمه الله- بعد ذكره لأنواع الصبر الثلاثة: (فالأولان[1]: صبر على ما يتعلق بالكسب. والثالث: صبر على ما لا كسب للعبد فيه.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها: أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه. فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية: فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس. ولا سيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة. فإنه كان شابا، وداعية الشباب إليها قوية. وعزبا ليس له ما يعوضه ويرد شهوته. وغريبا، والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله.

---

[1] يعني: الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية.

ومملوكا، والمملوك أيضا ليس وازعه كوازع الحر. والمرأة جميلة، وذات منصب. وهي سيدته. وقد غاب الرقيب. وهي الداعية له إلى نفسها. والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار. ومع هذه الدواعي كلها صبر اختيارا، وإيثارا لما عند الله. وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه؟

وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات: أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل؛ فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية. ومفسدة عدم الطاعة: أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية)[1].

وهذا الترتيب الذي ذكره ابن القيم –رحمه الله–، ونقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–، في تقديم الصبر على الطاعة على الصبر عن المعصية، هذا هو الأصل من حيث كون الصبر مجردا؛ أما من حيث تعلقه بالصابر، فأحيانا تكون معاناة الصبر عن المعصية أشد من معاناة الصبر على الطاعة، فلو أن شابا دعته امرأة إلى نفسها ، وكانت جميلة، والمكان خال، وقد تكون ذات منصب، ويخشى من عقابها، كما حدث ليوسف –عليه السلام–، فلا شك أن الصبر عن هذه المعصية أشق من كثير من الطاعات، فقد نقول أن ثواب الصبر عن المعصية هنا أعظم من ثواب الصبر على الطاعة؛ لما يجده الإنسان من المعاناة.[2]

ويدل على عظيم أجره قول النبي –صلى الله عليه وسلم– : (سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله) وذكر منهم: (ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله)[3].

---

[1] مدارج السالكين، (١٥٦/٢)

[2] انظر شرح الأربعين النووية، للعثيمين، ص٢٢٥.

[3] رواه البخاري، رقم (١٤٢٣)، في الزكاة، باب الصدقة باليمين، ومسلم رقم (١٠٣١) في الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة.

المبحث الثامن: التوبة:

أولا: معنى التوبة وحقيقتها:

التوبة لغة بمعنى الرجوع، قال ابن فارس: ((توب) التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع. يقال تاب من ذنبه، أي رجع عنه، يتوب إلى الله توبة ومتابا، فهو تائب. والتوب التوبة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ غافر: ٣)[١]

أما عن التوبة في الشرع، فللعلماء –رحمهم الله– في ذلك تعاريف كثيرة، منها:

عرفها ابن حجر –رحمه الله– بأنها: (ترك الذنب لقبحه، والندم على فعله، والعزم على عدم العود، ورد المظلمة إن كانت، أو طلب البراءة من صاحبها)[٢].

قال: (ولا تصح التوبة الشرعية إلا بالإخلاص، ومن ترك الذنب لغير الله لا يكون تائبا اتفاقا)[٣].

وقال ابن كثير –رحمه الله– : (قال العلماء: التوبة النصوح هي أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على ألا يفعل في المستقبل. ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه)[٤].

وقال القرطبي[٥]: (هي الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على ألا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى لا من غيره، فإذا اختل شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة)[٦].

---

[١] معجم مقاييس اللغة، (٢٥٧/١).

[٢] فتح الباري، (١٠٣/١١).

[٣] المصدر نفسه، (١٠٣/١١).

[٤] تفسير ابن كثير، (١٦٩/٨).

[٥] هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر، له في التفسير كتاب الجامع في أحكام القرآن، وله شرح أسماء الله الحسنى في مجلدين سماه: الكتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار، توفي سنة ٦٧١هـ. (انظر الديباج المذهب، ٣٠٨/٢-٣٠٩).

[٦] تفسير القرطبي، (٩١/٥).

ومن خلال ما سبق نستطيع القول بأن التوبة هي: معرفة العبد لقبح ذنبه، وضرره عليه، فيقلع عنه مخلصا في إقلاعه عنه لله تعالى، نادما على وقوعه فيه سواء كان قاصدا أو جاهلا، عازما على عدم العودة إليه أبدا، وأن يتحلل من حقوق العباد بردها إليهم، أو بتحصيل البراءة منهم.

ومن خلال هذا النقل السابق يتبين لنا أن هناك شروطا للتوبة لابد من توفرها؛ حتى تصح توبة العبد، وقد ذكرها النووي –رحمه الله– فقال:

(قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي. وقد تظاهرت دلائل الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة على وجوب التوبة) [1].

وقد ذكر بعض أهل العلم شرطا آخر للتوبة، وهو الإخلاص لله –عز وجل – فيها، والإخلاص شرط في كل عبادة، والتوبة من العبادات الواجبة ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ** ﴾ البينة: ٥

فيكون الباعث على التوبة حب الله وتعظيمه ورجاؤه، والطمع في ثوابه، والخوف من عقابه، لا تزلفا إلى مخلوق، ولا قصدا في عرض من عرض الدنيا الزائل.[2]

---

[1] رياض الصالحين، للنووي، (ص٣٣-٣٤)، وانظر مدارج السالكين، (١/١٩٧-٢٠٢).

[2] انظر شرح الأربعين النووية، للعثيمين، (ص ١٠٤).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على عبادة التوبة وفضلها:

القصة الأولى: قصة الرجل الذي قتل مائة نفس[١] .

وجه الدلالة:

في هذا الحديث دلالة على فضل التوبة، وعظيم مكانتها إذا كانت صادقة، حيث كانت التوبة سببا لمغفرة الله تعالى لرجل قتل مائة نفس، ولا شك أن قتل النفس المعصومة من أشنع الجرائم، بل هو من السبع الموبقات.

قال ابن حجر –رحمه الله– : (التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب، وهو وإن كان شرعا لمن قبلنا وفي الاحتجاج به خلاف؛ لكن ليس هذا من موضع الخلاف؛ لأن موضع الخلاف إذا لم يرد في شرعنا تقريره وموافقته؛ أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف، ومن الوارد في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء: ٤٨ ، وحديث عبادة بن الصامت، ففيه بعد قوله: ولا تقتلوا النفس وغير ذلك من المنهيات، (فمن أصاب من ذلك شيئا فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه)[٢])[٣] .

وقال –رحمه الله–: (وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس، ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه)[٤] .

(وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها وإما لوجود من كان يعينه على ذلك

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٢٤).

[٢] رواه البخاري، رقم (٣٨٩٢)، في مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– بمكة، ومسلم رقم (١٧٠٩)، في الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها.

[٣] فتح الباري، (٦/٥١٨).

[٤] المصدر نفسه، (٦/٥١٧).

ويحضه عليه ولهذا قال له الأخير ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية والتحول منها كلها)[1].

قال النووي –رحمه الله– : (قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان[2] المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم، وينتفع بصحبتهم، وتتأكد بذلك توبته)[3].

القصة الثانية: قصة الرجل الذي فقد ناقته التي عليها طعامه وشرابه في أرض فلاة [4].

وجه الدلالة:

دلت هذه القصة على عظيم منزلة التوبة، إذ أن النبي –صلى الله عليه وسلم– ذكر أن الله –عز وجل– أشد فرحا بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا وجدها.

قال ابن القيم –رحمه الله– :(وهذه فرحة إحسان وبر ولطف، لا فرحة محتاج إلى توبة عبده، منتفع بها) [5].

وأورد ابن القيم في ذلك حكاية لتقريب معنى فرح الله بتوبة عباده، فقال: (وهذا موضع الحكاية المشهورة عن بعض العارفين أنه حصل له شرود وإباق من سيده، فرأى في بعض السكك بابا قد فتح، وخرج منه صبي يستغيث ويبكي، وأمه خلفه تطرده، حتى خرج، فأغلقت الباب في وجهه ودخلت، فذهب الصبي غير بعيد، ثم وقف مفكرا، فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه، ولا من يؤويه غير والدته، فرجع مكسور القلب حزينا، فوجد الباب مرتجا، فتوسده ووضع خده على عتبة الباب ونام، فخرجت أمه، فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها

---

[1] المصدر نفسه، (٦/٥١٧).

[2] (الخدن) و (الخدين) الصديق. (مختار الصحاح، ص٨٩).

[3] شرح صحيح مسلم، (١٧/٨٣).

[4] تقدم تخريجه، (ص٤١-٤٢).

[5] مدارج السالكين، (١/٢١٣).

عليه، والتزمته تقبله وتبكي، وتقول: يا ولدي، أين تذهب عني؟ ومن يؤويك سواي؟ ألم أقل لك: لا تخالفني، ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة بك، والشفقة عليك، وإرادتي الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت.

فتأمل قول الأم: لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقة.

وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم (لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها)[1]، وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء؟

فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه، فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به.

فهذه نبذة يسيرة تطلعك على سر فرح الله بتوبة عبده أعظم من فرح هذا الواجد لراحلته في الأرض المهلكة، بعد اليأس منها.

ووراء هذا ما تجفو عنه العبارة، وتدق عن إدراكه الأذهان)[2].

القصة الثالثة: قصة دس جبريل –عليه السلام– الطين في فم فرعون[3].

وجه الدلالة:

في هذه القصة دلالة على أن التوبة لا تنفع عند معاينة العذاب، لأن فرعون لما أراد النطق بكلمة التوحيد لما عاين العذاب وأدركه الغرق لم يقبلها الله منه، ورد الله عليه بقوله: ﴿ ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يونس: ٩١.

(ففرعون كفر بالله تعالى وكذب رسوله عليه الصلاة والسلام، وأساء إلى نفسه أيام حياته وفي صحته بتماديه في طغيانه ومعصية ربه، فلما حل به سخط الله ونزل عليه عقابه، فزع إليه مستجيرا به من عذابه الواقع به، وناداه وقد علته أمواج البحر، وغشيته كرب الموت قائلا: ﴿

[1] رواه البخاري، رقم(٥٩٩٩) في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم رقم (٢٧٥٤) في الفضائل، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

[2] مدارج السالكين، (١/٢٢٩-٢٣٠)

[3] تقدم تخريجه، (ص٣٨).

﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ لـه المنقـادين بالذلـة والعبودية، فقال سبحانه وتعالى معرفا فرعون قبح صنيعه في حياته: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ آلآن تقر بالعبودية وتستسلم له بالذلة وتخلص له الألوهية، وقد عصيته قبل نزول نقمته بك فأسخطته على نفسك، وكنت من الصادين عن سبيله، فهلا وأنت في مهل وباب التوبة لك منفتح أقررت بما أنت به الآن مقر)[1]

قـال السعدي –رحمه الله– : (حتى إذا أدرك فرعون الغرق، وجزم بهلاكه ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾، وهـو الله الإلـه الحـق الـذي لا إلـه إلا هـو ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ أي: المنقادين لدين الله، ولما جاء به موسى.

قال الله تعالى – مبينا أن هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع له–: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ ﴾ تؤمن، وتقر برسول الله ﴿ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ ﴾ أي: بارزت بالمعاصي، والكفر والتكذيب ﴿ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾، فلا ينفعك الإيمان كما جرت عادة الله، أن الكفار إذا وصلوا إلى هذه الحالة الاضطرارية أنه لا ينفعهم إيمانهم، لأن إيمانهم، صار إيمانا مشاهدا كإيمان من ورد القيامة، والذي ينفع، إنما هو الإيمان بالغيب)[2].

القصة الرابعة: قصة أصحاب الأخدود، وفيها أن الغلام لما تمكن من إقناع الملك بأنه غير قادر على قتله قال له: (إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارم، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، وأخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله

---

[1] أحوال المحتضر، لمحمد العلي، (ص١٠٨)، وانظر تفسير الطبري، (١٩٤/١٥).

[2] تفسير السعدي، (٣٧٢/١).

رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه ، في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام)[1].

وجه الدلالة: توبة الناس من الشرك الذي كانوا عليه -وهو عبادتهم لملكهم-؛ وذلك حينما عاينوا الآيات الباهرات بضعف قدرة الملك وعدم تمكنه من قتل غلام صغير، حتى دله الغلام على طريقة قتله، وكان فيها أن يقول (بسم الله رب الغلام)، ولا شك أن في ذلك دليلا ساطعا على أن الله هو ربهم ورب الغلام، فآمن الناس وتابوا وقالوا: (آمنا برب الغلام).

[1] تقدم تخريجه ص٢٧.

المبحث التاسع: الدعاء

أولا: معنى الدعاء وحقيقته:

الدعاء لغة: قال ابن فارس: ((دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاء.)[1]

الدعاء شرعا:

قال الخطابي[2]: (معنى الدعاء: استدعاء العبد ربه -عز وجل- العناية، واستمداده إياه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله -عز وجل-، وإضافة الجود، والكرم إليه)[3].

والدعاء الذي حث الله عليه في القرآن، وأمر به عباده، نوعان: هما دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- : (ولفظ دعاء الله في القرآن يراد به دعاء العبادة، ودعاء المسألة؛ فدعاء العبادة يكون الله هو المراد به، فيكون الله هو المراد. ودعاء المسألة يكون المراد منه)[4].

ودعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه.[5]

ودعاء العبادة بالمحبة والإنابة والطاعة والإجلال والإكرام والخشية والرجاء، ونحو ذلك من معاني تألهه وعبادته[6].

---

[1] معجم مقاييس اللغة، (٢٧٩/٢).

[2] هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب أبو سليمان الخطابى البستى، إمام فى الفقه والحديث واللغة، ومن تصانيفه: معالم السنن وهو شرح سنن أبى داود، وله غريب الحديث، وشرح الأسماء الحسنى ، توفى سنة ٣٨٨هـ. (انظر طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ٢٨٢/٣).

[3] شأن الدعاء، (ص٤).

[4] النبوات، (٣٧٧/١)، وانظر مجموع الفتاوى، (٢٣٧/١٠-٢٣٨)

[5] مجموع الفتاوى، (١٥/١٠).

[6] المصدر نفسه، (٤٥٦/٢).

قال السعدي –رحمه الله-: (كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين: يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

وهذه قاعدة نافعة، فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء والدعوة: دعاء المسألة فقط، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء.

ويدل على عموم ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر: ٦٠ ، أي أستجب طلبكم، وأتقبل عملكم ثم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر: ٦٠، فسمى ذلك عبادة، وذلك لأن الداعي دعاء المسألة يطلب مسئوله بلسان المقال، والعابد يطلب من ربه القبول والثواب، ومغفرة ذنوبه بلسان الحال)[1].

ودعاء العبادة ودعاء المسألة متلازمان من جهتين:

الأولى: من جهة الداعي، فكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو أيضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل عابد سائل وكل سائل عابد.

فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، ولكن إذا جمع بينهما؛ فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب. ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال.[2]

الثانية: من جهة المدعو:

المعبود هو الذي يملك الضر والنفع، ولهذا أنكر الله على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعا، والعبد يدعو للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعو خوفا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة. وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.[3]

---

[1] القواعد الحسان، (ص١٢٧).

[2] مجموع الفتاوى، (١٠/٢٣٩-٢٤٠).

[3] انظر مجموع الفتاوى، (١٥/١٠-١١)، وبدائع الفوائد، (٣/٢-٣).

ثانيا: بيان وقوع الشرك في الدعاء:

يقع الشرك في الدعاء بنوعيه، -سواء كان دعاء العبادة، أو دعاء المسألة-، إذا توجه العبد بواحد من هذين النوعين لأحد غير الله عز وجل؛ فقد أشرك.

فيقع الشرك في دعاء العبادة إذا صرف شيئا من العبادة لغير الله –عز وجل-، وهذا أمر بين واضح، (فالعبادات بأنواعها القلبية، والقولية، والعملية، والمالية حق لله تعالى لا يجوز أن تصرف لغيره، فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر)[1].

قال السعدي –رحمه الله- : (الشرك الأكبر: فهو أن يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعا من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذي حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

ولا فرق في هذا بين أن يسمي تلك العبادة التي صرفها لغير الله عبادة، أو يسميها توسلا، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء، فكل ذلك شرك أكبر ؛ لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها)[2].

أما دعاء المسألة فمنه ما يكون خاصا بالله تعالى، فيكون صرفه لغير الله شرك، ومنه ما يصح لغير الله.

ودعاء غير الله ينقسم إلى قسمين:[3]

١. ما يقع عبادة، ويكون صرفه لغير الله شرك، وله أنواع:

النوع الأول: أن يكون المطلوب لا يقدر عليه إلا الله –عز وجل-، كإنزال المطر، وغفران الذنوب، وهداية القلوب.[4]

---

[1] تسهيل العقيدة الإسلامية، (ص١٦٢).

[2] القول السديد شرح كتاب التوحيد، (ص٣١).

[3] القول المفيد، (٢٦١/١).

[4] انظر مجموع الفتاوى، (١٠٩/١)، والقول المفيد، (١٢١/١).

النوع الثاني: في كيفية الطلب بأن يكون الدعاء مقرونا بالرهبة والرغبة، والحب، والتضرع[1]، أو أن يكون المدعو بعيدا، فيعتقد الداعي أن من يدعوه يسع سمعه الأصوات، وأنه يعلم الغيب، قال ابن تيمية –رحمه الله– : (وإن أراد أنه هو يكون بحيث يسمع أصوات الخلائق من بعيد، فليس هذا إلا لله رب العالمين الذي يسمع أصوات العباد كلهم)[2].

النوع الثالث: دعاء المخلوق بما يقدر عليه؛ لكن مع اعتقاد أنه يستقل بإيجاد المطلوب من دون الله تعالى.[3]

٢. ما لا يقع عبادة، فهذا يجوز أن يوجه إلى المخلوق، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– (من دعاكم فأجيبوه)[4] وقال: (إذا دعاك فأجبه)[5] [6]، بشرط أن يكون حيا حاضرا قادرا، قال ابن تيمية –رحمه الله– : (وقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه، وأما المخلوق الغائب والميت، فلا يطلب منه شيء)[7].

---

[1] انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (٥٤٢/١)، والقول المفيد، (٢٦١/١).

[2] الرد على الأخنائي، (ص١٤٧).

[3] انظر صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، (ص١٥٩)، وتيسير العزيز الحميد، (ص٣٩١).

[4] رواه أبو داود رقم (١٦٧٢) في الزكاة، باب عطية من سأل بالله، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١٠٤١/٢)، رقم (٦٠١٢).

[5] رواه مسلم رقم (٢١٦٢) في السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام.

[6] القول المفيد، (٢٦١/١)

[7] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، (ص٣٠٦).

ثالثا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على الدعاء بنوعيه:

ورد الدعاء بنوعيه في عدد من نصوص القصص النبوي، أما عن دعاء المسألة فجاء في عدة قصص:

القصة الأولى: الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة فسدت عليهم الغار[1]، (فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم)، فدعا كل واحد منهم متوسلا بعمل صالح قام به، ثم ختم كل واحد من الثلاثة دعائه بقوله: (اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه).

القصة الثانية: قصة أصحاب الأخدود[2]، وفيها أن الغلام دعا الله: (فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها، فقتلها)، وأنه قال لجليس الملك: (إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك)، ولما حاول الملك قتله في ثلاثة مواطن دعا فقال: (اللهم اكفنيهم بما شئت)

القصة الثالثة: قصة الأبرص والأقرع والأعمى[3]، وفيها أن الملك عندما أعطى لكل واحد منهم أحب المال عنده دعا له فقال: (بارك الله لك فيها)، ولما كان من الأبرص والأقرع أن جحدا نعمة الله عليهما، ونسبا المال الذي هو محض فضل الله عليهما إلى آبائهم، فدعا عليهما الملك؛ قائلا لكل واحد منهما: (إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت)

القصة الرابعة: قصة الرجل الذي استلف ألف دينار من صاحبه[4]، لما حان وقت السداد التمس المدين مركبا ليصل به إلى صاحبه؛ ليوفي دينه الذي ائتمنه عليه صاحبه من غير كفيل ولا شهيد، فلم يجد شيئا يوصله إلى صاحبه، (فاتخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانا ألف

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٣).

[2] تقدم تخريجه، (ص٢٧).

[3] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[4] تقدم تخريجه، (ص٣١).

دينار، فسألني كفيلا، فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا، فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له، فلم أقدر، وإني استودعتكها)

القصة الخامسة: قصة جريج العابد[1]، وفيها أنه لما كان يؤثر الاستمرار في صلاته، وعدم قطعها على إجابة أمه؛ دعت عليه أمه قائلة: (اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات)

القصة السادسة: قصة المتكلم في المهد الذي دعا الله أن لا يجعله كالجبار[2]، والشاهد من هذه القصة دعاء الأم لابنها أن يكون مثل الراكب على دابة فارهة، فدعا الصبي أن لا يكون مثله؛ لأن الرجل كان جبارا، ثم لما مرت الأم بأمة وهم يضربونها، ويقولون: زنيت، سرقت، فقالت الأم: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقال الصبي: اللهم اجعلني مثلها، لأنها كانت مظلومة.

القصة السابعة: قصة وافد عاد[3]، وفيها أن عادا لما أصابها القحط أرسلت رجلا إلى مكة البلد الحرام ليستسقي لهم، ولكن عادا لم تحسن الاختيار لمن يستسقي لها فاختارت رجلا فاجر النفس، ممتلئا كبرا وعجبا، فمر وهو في طريقه بمعاوية بن بكر فأقام شهرا عنده، يشرب الخمر، ويلهو مستمتعا بغناء جاريتين مشهورتين بالغناء في هذا الوقت، ثم لما شبع مما هو فيه من اللهو خرج إلى جبال تهامة ودعا ربه دعاء البطرين الذين لا يحسنون دعاء الله، ولا التعامل معه فقال بلسان حال المستغني عن ربه: (اللهم إني لم آتك لمرض فأداويه، ولا لأسير فأفاديه فاسق عبدك ما كنت مسقيه، واسق معه بكر بن معاوية - يشكر له الخمر الذي سقاه -، فرفع له ثلاث سحائب: حمراء، وبيضاء، وسوداء، فقيل له: اختر إحداهن، فاختار السوداء منهن، فقيل له: خذها رمادا رمددا، لا تذر من عاد أحدا)

أما عن دعاء العبادة فالقصص النبوي حافلة بهذا النوع من الدعاء فمن ذلك:

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٣).

[2] تقدم تخريجه، (ص٤٠).

[3] تقدم تخريجه، (ص٤٠).

قصة الرجل الذي قتل مائة نفس[1]، والشاهد في القصة هو توبته، وقصة الرجل الذي سقى الكلب عَطِشا[2]، وقصة الذي أخر غصن الشوك عن الطريق[3]، وقصة الرجل الذي كان يداين الناس، فيتجاوز عن المعسر[4].

هذه نماذج من دعاء العبادة الواردة في القصص النبوي، وإلا فهي كثيرة جدا.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٤).

[2] تقدم تخريجه، (ص٢٨).

[3] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[4] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

المبحث العاشر: التوسل في الدعاء:

أولا معنى التوسل في اللغة والشرع:

التوسل لغة: التقرب إلى الشيء، والتوصل إليه برغبة، قال ابن فارس في معنى وسل: (الرغبة والطلب. يقال وسل، إذا رغب. والواسل: الراغب إلى الله عز وجل، وهو في قول لبيد:

بلى كل ذي دين إلى الله واسل)[1].

قال ابن الأثير: (الوسيلة هي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها: وسائل. يقال: وسل إليه وسيلة، وتوسل)[2].

التوسل في الشرع:[3]

جاءت الوسيلة في الشرع على معنيين[4]:

الأول: القربة إلى الله بالإيمان والعمل الصالح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ المائدة: ٣٥ ، قال ابن جرير –رحمه الله– في قوله: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ المائدة: ٣٥: (واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه)[5].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ الإسراء: ٥٧ ، عن عبد الله بن مسعود –

---

[1] معجم مقاييس اللغة، (٦/١١٠).

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر، (٥/١٨٥).

[3] انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، (ص١٢٥-١٢٦)، وصيانة الإنسان، (ص٩٤-٩٧)، والتوسل، أنواعه وأحكامه، للألباني، (١٣-١٥).

[4] انظر تفسير ابن كثير، (٣/٩٤)، وفتح الباري، (٢/٩٥).

[5] تفسير الطبري، (١٠/٢٩٠).

رضي الله عنه -: في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ الإسراء: ٥٧ ، قال: (كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن، فأسلم النفر من الجن، فاستمسك الآخرون بعبادتهم، فنزلت ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾)[١].

قال ابن حجر -رحمه الله- : (أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك؛ لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة)[٢].

الثاني: منزلة في الجنة خاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة: حلت له الشفاعة)[٣].

---

[١] رواه البخاري، رقم (٤٧١٤)، في تفسير سورة بني إسرائيل، باب ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾، وباب قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾، ومسلم واللفظ له، رقم (٣٠٣٠) في التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾.

[٢] فتح الباري، (٣٩٧/٨).

[٣] رواه مسلم، رقم (٣٨٤)، في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه كم يصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم يسأل الله له الوسيلة.

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على التوسل في الدعاء:

قصة الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم فتحة الغار[1]، فقالوا: (إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم)، فقام كل واحد منهم فدعا ربه بعمل صالح كان قد عمله، وختم كل واحد منهم دعاءه بقوله (اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة).

وجه الدلالة:

أن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فسدت عليهم باب الغار، فلم يستطيعوا الخروج، توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم؛ فكان ذلك التوسل سببا لقبول دعائهم، ففرج الله عنهم كربتهم وخرجوا يمشون، فدلت هذه القصة على جواز التوسل بالعمل الصالح وأنه من أنواع التوسل المشروع.

وهنا ينبغي العلم أن التوسل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع، وهو على عدة أنواع:[2]

النوع الأول: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وهذا كثير في الكتاب والسنة، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠** ﴾ الأعراف: ١٨٠ ، قال ابن القيم –رحمه الله– : (بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم ومن تأمل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا)[3]

ومن ذلك ما ذكره الله تعالى من دعاء موسى –عليه السلام– : ﴿ **أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَـٰفِرِينَ ١٥٥** ﴾ الأعراف: ١٥٥، ومما ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٢).

[2] انظر صيانة الإنسان، (ص١٩٧–٢٠٠).

[3] بدائع الفوائد، (١/١٦٤).

ذلك، أن عائشة أم المؤمنين سُئلت: بأي شيء كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)[1].

النوع الثاني: التوسل إلى الله بالعمل الصالح.

فمن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ البقرة: ١٢٧

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٦

ومن أمثلته في السنة: قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت عليهم الغار، فلم يستطيعوا الخروج، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فدعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة ربه متوسلا بعمل صالح كان قد عمله.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (ومن السؤال بالأعمال الصالحة سؤال الثلاثة الذين أووا إلى غار، فسأل كل واحد منهم بعمل عظيم أخلص فيه لله، لأن ذلك العمل مما يحبه الله ويرضاه محبة تقتضي إجابة صاحبه: هذا سأل ببره لوالديه، وهذا سأل بعفته التامة، وهذا سأل بأمانته وإحسانه)[2].

وترجم النووي -رحمه الله- لهذا الحديث في صحيح مسلم بقوله: (باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال)[3].

---

[1] رواه مسلم رقم (٧٧٠) في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

[2] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، (ص١٠٤).

[3] صحيح مسلم، كتاب الرقاق، (٤/٢٠٩٩).

وقال –رحمه الله-: (قوله (انظروا أعمالا عملتموها صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها) استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به؛ لأن هؤلاء فعلوه؛ فاستجيب لهم، وذكره النبي –صلى الله عليه وسلم- في معرض الثناء عليهم، وجميل فضائلهم)[1]

قال الألباني –رحمه الله-: (فتوسلوا إليه سبحانه بتلك الأعمال؛ توسل الأول ببره والديه، وعطفه عليهما، ورأفته الشديدة بهما حتى كان منه ذلك الموقف الرائع الفريد، وما أحسب إنساناً آخر، - حاشا الأنبياء-. يصل بره بوالديه إلى هذا الحد.

وتوسل الثاني بعفته من الزنى بابنة عمه التي أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء بعدما قدر عليها، واستسلمت له مكروهة بسبب الجوع والحاجة، ولكنها ذكرته بالله عز وجل، فتذكر قلبه، وخشعت جوارحه، وتركها والمال الذي أعطاها.

وتوسل الثالث بحفاظه على حق أجيره الذي ترك أجرته التي كانت فَرَقاَ من أرز كما ورد في رواية صحيحة للحديث، وذهب فنماها له صاحب العمل، وثمرها حتى كانت منها الشاه والبقر والإبل والرقيق، فلما احتاج الأجير إلى المال ذكر أجرته الزهيدة عند صاحبه، فجاءه وطالبه بحقه، فأعطاه تلك الأموال كلها، فدهش وظنه يستهزىء به، ولكنه لما تيقن منه الجد، وعرف أنه ثمّر له أجره حتى تجمعت منه تلك الأموال، استساقها فرحاً مذهولاً، ولم يترك منها شيئاً)[2].

ومن أمثلة التوسل بالعمل الصالح كذلك ما رواه بريدة بن الحصيب[3] - رضي الله عنه - حيث قال: سمع النبي –صلى الله عليه وسلم- رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله

---

[1] شرح صحيح مسلم، (٥٩/١٧).

[2] التوسل، أنواعه وأحكامه، (ص٣٥-٣٦)

[3] هو الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، أسلم حين مر به النبي –صلى الله عليه وسلم- مهاجرا بالغميم، وأقام في موضعه حتى مضت بدر وأحد، ثم قدم بعد ذلك. ، وسكن البصرة لما فتحت، غزا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ست عشرة غزوة، وتوفي سنة ثلاث وستين. (انظر الإصابة، ٤١٨/١).

الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحداً"، فقال: (قد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب)[١].

وهذا فيه التوسل بأسماء الله الحسنى، وكذلك التوسل بالعمل الصالح وهو الإيمان والتوحيد.

النوع الثالث: التوسل بدعاء الرجل الصالح، ومن أمثلته قوله عز وجل حكاية عن أبناء يعقوب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ يوسف: ٩٧.

ومن أمثلته في السنة ما جاء عن أنس بن مالك، أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة، من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– قائم يخطب، فاستقبل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قائما، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا)، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة[٢]، وما بيننا وبين سلع[٣] من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتا، قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– قائم يخطب، فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: (اللهم حولنا ولا علينا، اللهم على الآكام[٤]، والظراب[٥]، وبطون الأودية،

---

[١] رواه أبو داود، رقم (١٤٩٣)، في الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، (باب الدعاء)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٤١٠).

[٢] (قزعة) أي قطعة من الغيم. (النهاية، ٥٩/٤).

[٣] (سلع): اسم جبل بالمدينة، (انظر النهاية، ١٨٣/٣).

[٤] (الآكام) جمع أكمة وهي الرابية، والأماكن المرتفعة. (انظر النهاية، ٥٩/١).

[٥] (الظراب): الجبال الصغار. (النهاية/٣/١٥٦).

ومنابت الشجر) فانقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك: فسألت أنس بن مالك: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري.[1]

القسم الثاني: التوسل الممنوع، وهو نوعان:[2]

النوع الأول: التوسل الشركي، وهو قسمان:

القسم الأول: شرك أكبر، وهو التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم، وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا شرك أكبر يخرج من الملة.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن[3] –رحمه الله– في معرض رده على شبهات داود بن جرجيس[4]: (وقوله: ممن يتوسل بالأنبياء والصالحين من أهل القبور ويناديهم، ويستغيث بهم إلى آخره.

يريد به: ما سيأتي في كلامه من أن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله يسمى توسلاً عنده وتشفعاً. وهذا فرار منه أن يسميه شركاً وكفراً وهذا من جنس جهله بالأسماء والمسميات. والعبرة بالحقائق لا بالأسماء، والله سمى هذا شركاً وعبادة لغيره في مواضع من كتابه.

---

[1] رواه البخاري، رقم (١٠١٤)، في الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، ومسلم رقم (٨٩٧) في الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء.

[2] انظر كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء، (ص٥٠)، التوصل إلى حقيقة التوسل، (ص١٨٥).

[3] هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة ١٢٢٥هـ، انتقل إلى مصر مع والده، درس العلم فيها على علماء نجديين ومصريين، ومن مؤلفاته: تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس، والبراهين الإسلامية في الرد على الشبهات الفارسية، والإتحاف في الرد على الصحاف، توفي سنة ١٢٩٣ هـ. (انظر مشاهير علماء نجد، ص٧٠).

[4] هو داود بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي الشافعي، ابن جرجيس: متفقه متأدب، من أهل بغداد، ولد سنة ١٢٣١هـ، وصنف كتبا صغيرة، منها (أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد) ورد عليه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بكتاب سماه (منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود ابن جرجيس)، وتوفي سنة ١٢٩٩هـ. (انظر الأعلام، ٣٢٢/٢).

فإياك أن تغتر بالإلحاد وتغيير الأسماء؛ فقف مع الحدود الشرعية، واعتبر بالحقائق تعرف أن هؤلاء مشركون وثنيون، عباد قبور. لا يستريب في ذلك إلاّ جاهل بأصل الإسلام لم يدر ما جاءت به الرسل الكرام)[١].

القسم الثاني: شرك أصغر، إن كان التوسل إلى الله تعالى بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

النوع الثاني: التوسل البدعي، وهو التوسل إلى الله بذوات الأنبياء والصالحين وبجاههم ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، والإقسام على الله بهم، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به.

وقد استدل أهل البدع على هذا النوع من التوسل إما بنصوص ضعيفة لا تصح، وبالتالي يبطل الاستدلال بها، وإما بنصوص صحيحة حُملت ما لم تحتمل، وحُرفت معانيها.

فمن النصوص الضعيفة التي استدلوا بها: (إذا سألتم الله فاسألوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم)، وهذا حديث باطل قال عنه ابن تيمية –رحمه الله–: (وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث)[٢].

ومن الأحاديث الصحيحة التي استدلوا بها، ولكنها لا تدل في حقيقة الأمر على ما ذهبوا إليه، ما جاء عن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك – صلى الله عليه وسلم– فاسقنا فيسقون)[٣].

---

[١] منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، بتصرف يسير، (ص١٧).

[٢] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، (ص٢٧٥).

[٣] رواه البخاري، رقم (١٠١٠)، في الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

وهذا الحديث قد أسيء فهمه، فظن البعض أن فيه دلالة على جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين، وجاههم، فهذا توسل من الصحابة رضي الله عنهم بدعاء العباس -رضي الله عنه-، لا بذاته حال حياته، وهو شبيه بتوسلهم بدعاء نبيهم -صلى الله عليه وسلم- في حياته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وأما التوسل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- والتوجه به في كلام الصحابة -رضي الله عنهم-، فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته)[1].

وقال أيضا: (وأما التوسل بدعائه وشفاعته -كما قال عمر، فإنه توسل بدعائه لا بذاته. ولهذا عدلوا عن التوسل به -صلى الله عليه وسلم- إلى التوسل بعمه العباس. ولو كان التوسل بذاته، لكان هذا أولى من التوسل بالعباس؛ فلما عدلوا عن التوسل به صلى الله عليه وسلم إلى التوسل بالعباس، علم أن ما كان يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له، فإنه مشروع دائما)[2]

قال ابن أبي العز —رحمه الله- : (وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور أيضا، لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق؟! وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله فقد أشرك)[3]. ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك حتى كره أبو حنيفة ومحمد رضي الله عنهما أن يقول الرجل: اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك، ولم يكرهه أبو يوسف رحمه الله لما بلغه الأثر فيه[4].

---

[1] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، (ص٨٦)

[2] المصدر نفسه، (ص٨٧).

[3] أخرجه الترمذي، رقم (١٥٣٥) في الأيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١٠٦٧/٢)، رقم (٦٢٠٤).

[4] قال الألباني —رحمه الله-: (لكن الأثر المشار إليه باطل لا يصح، رواه ابن الجوزي في "الموضوعات" وقال: هذا حديث موضوع بلا شك، وأقره الحافظ الزيلعي في "نصب الراية" "٢٧٣" فلا يحتج به)، التوسل، أنواعه وأحكامه، (ص)٤٨.

وتارة يقول: بجاه فلان عندك، يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك. ومراده أن فلانا عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا. وهذا أيضا محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمنون على دعائه، كما في الاستسقاء وغيره. فلما مات -صلى الله عليه وسلم-، قال عمر -رضي الله عنه- لما خرجوا يستسقون -: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا)[1]. معناه بدعائه هو ربه وشفاعته وسؤاله، ليس المراد أنا نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مرادا لكان جاه النبي -صلى الله عليه وسلم- أعظم وأعظم من جاه العباس)[2].

---

[1] رواه البخاري، رقم (١٠١٠)، في الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.

[2] شرح الطحاوية، (ص٢١١-٢١٢).

المبحث الحادي عشر: التألي على الله:

أولا: معنى التألي على الله، وحكمه:

التألي لغة بمعنى الحلف، والفعل منه تأَلَّى يَتأَلَّى تألِّياً، أي: حلف، وآلَى يُؤْلِي إِيلَاءً، وأْتَلَى يَأْتَلِي ائْتِلاءً[1]

فالتألي على الله بمعنى الحلف والإقسام على الله، والإقسام على الله له صور، يختلف في كل صورة عن الأخرى في الحكم، قال ابن عثيمين –رحمه الله-: (والإقسام على الله: أن تحلف على الله أن يفعل، أو تحلف عليه أن لا يفعل، مثل: والله؛ ليفعلن الله كذا، أو والله؛ لا يفعل الله كذا.

والقسم على الله ينقسم إلى أقسام:

الأول: أن يقسم بما أخبر الله به ورسوله من نفي أو إثبات؛ فهذا لا بأس به، وهذا دليل على يقينه بما أخبر الله به ورسوله، مثل: والله؛ ليشفعن الله نبيه في الخلق يوم القيامة، ومثل: والله؛ لا يغفر الله لمن أشرك به.

الثاني: أن يقسم على ربه لقوة رجائه وحسن الظن بربه؛ فهذا جائز لإقرار النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في قصة الربيع بنت النضر[2] عمة أنس بن مالك -رضي الله عنهما-، (حينما كسرت ثنية جارية من الأنصار، فاحتكموا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالقصاص، فعرضوا عليهم الصلح، فأبوا، فقام أنس بن النضر[3]، فقال: أتكسر ثنية الربيع؟ والله يا رسول الله لا تكسر ثنية الربيع، وهو لا يريد به رد الحكم الشرعي فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- يا أنس! كتاب الله القصاص " يعني: السن بالسن. قال: والله؛

---

[1] انظر لسان العرب، (١٤/٤٠)، و النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/٦٢).

[2] هي الصحابية الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية، أخت أنس بن النضر، وعمة أنس بن مالك خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (انظر الإصابة، ١٣٣/٨)..

[3] هو الصحابي الجليل أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي، عم أنس بن مالك خادم النبي -صلى الله عليه وسلم-، غاب عن قتال بدر، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، تقدم وقاتل ببسالة وشجاعة؛ حتى قتل. (انظر الإصابة، ٢٨١/١).

لا تكسر ثنية الربيع)، وغرضه بذلك أنه لقوة ما عنده من التصميم على أن لا تكسر ولو بذل كل غال ورخيص أقسم على ذلك.

فلما عرفوا أنه مصمم ألقى الله في قلوب الأنصار العفو فعفوا؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره)[1]، فهو لقوة رجائه بالله وحسن ظنه أقسم على الله أن لا تكسر ثنية الربيع؛ فألقى الله العفو في قلوب هؤلاء الذين صمموا أمام الرسول -صلى الله عليه وسلم- على القصاص؛ فعفوا وأخذوا الأرش.

فثناء الرسول -صلى الله عليه وسلم- عليه شهادة بأن الرجل من عباد الله، وأن الله أبر قسمه ولين له هذه القلوب.

ويدل أيضا لهذا القسم قوله -صلى الله عليه وسلم-: (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)[2].

القسم الثالث: أن يكون الحامل له هو الإعجاب بالنفس، وتحجر فضل الله عز وجل وسوء الظن به تعالى؛ فهذا محرم، وهو وشيك بأن يحبط الله عمل هذا المقسم)[3].

وعلى ذلك فمن خلال النصوص التي جاءت عن النبي —صلى الله عليه وسلم- يتبين أن الإقسام على الله تعالى على قسمين: جائز وممنوع:

(فأما الجائز، فهو من المسلم القانت لربه، الواثق بعطائه، المؤمن بقدره.

ويدل له حديث: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره، منهم) .

ومن هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في بعض مغازيه لننتصرن، فقيل له: قل: إن شاء الله، فقال: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا[4]) [5].

---

[1] رواه البخاري، رقم (٢٧٠٣)، في الصلح، باب الصلح في الدية، ومسلم رقم (١٦٣٥) في القسامة، باب إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها.

[2] رواه مسلم، رقم (٢٦٢٢) في البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين.

[3] القول المفيد، (٢/٤٩٧-٤٩٩)، وانظر معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، (ص٥٣٧).

[4] ذكره ابن القيم عنه في مدارج السالكين، ٢/٤٥٨، وابن كثير في البداية والنهاية، ١٤/٢٣).

[5] معجم المناهي اللفظية، (٥٣٧).

وأما الممنوع فالذي فيه إساءة الأدب مع الله، وتحجر فضله، وإساءة الظن به، والحكم عليه بأن يفعل كذا، إلى جانب احتقار الخلق، والإعجاب بالنفس بدافع الجهل، والتكبر، والعجب، والخفة، والطيش.

و(هذا ينافي كمال التوحيد، وربما ينافي أصل التوحيد؛ فالتألي على من هو عظيم يعتبر تنقصا في حقه)[1].

فالتألي على الله مناف لتوحيد الربوبية، ولتوحيد العبادة.

وذلك أن الرب جل وعلا هو المالك لكل شيء، وليس لأحد معه تصرف ولا سلطة، فلا يجوز لمخلوق أن يحكم على خالقه بأن فلانا لا يُغفر له، وفلانا لا يدخل الجنة.

ووجه كونه مناف لتوحيد العبادة أن المتألي على الله ألا يغفر لفلان، أو لا يدخله الجنة، ونحو ذلك، قد افتقد بهذا الغرور والكبر ركنا عظيما من أركان العبادة؛ لأن العبادة مبنية على الذل والخضوع، إلى جانب إساءة ظنه بالله، وتحجير فضله.

---

[1] القول المفيد، (٢/٤٩٩).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على تحريم التألي على الله:

-قصة المتألي على الله الذي قال لصاحبه: والله لا يغفر الله لك[1].

وجه الدلالة:

(تألي هذا العابد وتعظيمه لنفسه، وظنه أنه بعبادته لله -جل وعلا- بلغ مقاما يكون متحكما فيه بأفعال الله، وأن الله لا يرد شيئا طلبه، أو له أن يتحكم في الخلق، ينافي حقيقة العبودية التي هي التذلل لله)[2]، كما أنه خلل في توحيد الربوبية وذلك أن الله تعالى هو المتصرف وحده في ملكه وفي عباده، فكان المتألي على الله كأنه يوجب على الله شيئا لم يوجبه الله على نفسه، والله تعالى غفور، ووصف نفسه بصفة المغفرة، ومغفرته متعلقة بمشيئته لا دخل لأحد فيها البتة.

فالواجب على العبد أن يتأدب مع الله تعالى في الأقوال والأفعال والاعتقادات.

ففي هذه القصة دلالة على تحريم التألي على الله، وأنه سبب لحبوط العمل.

قال الألباني -رحمه الله- بعد دراسته لهذا الحديث في السلسلة الصحيحة: (وفيه دليل صريح أن التألي على الله يحبط العمل أيضا كالكفر، وترك صلاة العصر، ونحوها)[3].

قال ابن عثيمين -رحمه الله-: (قوله: " وأحبطت عملك ": ظاهر الإضافة في الحديث: أن الله أحبط عمله كله؛ لأن المفرد المضاف الأصل فيه أن يكون عاما. ووجه إحباط الله عمله على سبيل العموم -حسب فهمنا والعلم عند الله-: أن هذا الرجل كان يتعبد لله وفي نفسه إعجاب بعمله، وإذلال بما عمل على الله كأنه يمن على الله بعمله، وحينئذ يفتقد ركنا عظيما من أركان العبادة؛ لأن العبادة مبنية على الذل والخضوع....إلى أن قال: ويحتمل معنى " أحبطت عملك "؛ أي: عملك الذي كنت تفتخر به على هذا الرجل، وهذا أهون؛ لأن العمل إذا حصلت فيه

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٤-٣٥).

[2] التمهيد شرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ، (ص٥٧٥).

[3] سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٢٥٦/٤).

إساءة بطل وحده دون غيره، لكن ظاهر حديث أبي هريرة يمنع هذا الاحتمال، حيث جاء فيه أن الله تعالى قال: اذهبوا به إلى النار)[1].

[1] القول المفيد، (٢/٥٠١).

المبحث الثاني عشر: السحر

أولا: معنى السحر في اللغة، والشرع:

-السحر لغة: السحر مصدر سحر يسحر. وله معان عديدة في اللغة، منها: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه، أي: صرفه. وإنما سمت العرب السحر سحرا لأنه يزيل الصحة إلى المرض، وإنما يقال: سحره، أي: أزاله عن البغض إلى الحب[١]

ومنها: كل ما لطف مأخذه ودق.[٢]

ومن معاني السحر أيضا: الخداع والاستمالة، قال الراغب الأصفهاني: (والسحر يقال على معان:

الأول: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يد، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع)[٣]

هذه معان للسحر في أصل اللغة، حوتها مادة هذا اللفظ من خفاء وتمويه وخداع وتخييل .

-السحر في الشرع:

قال ابن قدامة[٤] -رحمه الله-: (وهو عقد ورقى وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له. وله حقيقة، فمنه ما يقتل، وما يمرض،

---

[١] انظر تهذيب اللغة، للأزهري، (١٧٠/٤)، ولسان العرب، (٣٤٨/٤).

[٢] تاج العروس، للزبيدي، (٥١٤/١١).

[٣] المفردات في غريب القرآن، (ص٤٠٠).

[٤] هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ثم الدمشقي، الصالحي الفقيه موفق الدين أبو محمد، ولد سنة ٥٤١هـ، وصنف في الفقه، والحديث، واللغة، والزهد، والرقائق، فمن ذلك: المغنى، والكافي، والمقنع، ولمعة الاعتقاد، توفي سنة ٦٢٠ هـ. (انظر ذيل طبقات الحنابلة، ٢٨١/٣).

ويأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين اثنين)[1].

---

[1] المغني، (٢٨/٩).

ثانيا: بيان أن السحر منه الحقيقي، ومنه التخييلي:

-أما الحقيقي: فمذهب أهل السنة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة.[1]

قال الإمام المازري[2] -رحمه الله- في شرحه لحديث: (سحر رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يهوديٌ حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ومايفعله)[3]: (مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة، خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لاحقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يُتعلم، وذكر مافيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، ،وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لاحقيقة له، وهذا الحديث أيضا مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه.

والذي يعرف بالعقل من هذا أن إحالة كونه من الحقائق محال، وغير مستنكر في العقل أن الله -سبحانه وتعالى- يخرق العادات عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم، ومنها مسقمة كالأدوية الحادة، ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض، لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة، أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة)[4].

---

[1] انظر فتح الباري، (٢٢٢/١٠)، وشرح النووي لمسلم، (١٧٤/١٤-١٧٥)، تفسير القرطبي، (٤٦/٢)، والمغني، (٢٨/٩).

[2] هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري يكنى أبا عبد الله ويعرف بالإمام، محدث من فقهاء المالكية، ولد سنة ٤٥٣هـ، ومن مؤلفاته: المعلم بفوائد مسلم في الحديث، وشرح البرهان لأبي المعالي الجويني وسماه: إيضاح المحصول من برهان الأصول، وتوفي سنة ٥٣٦هـ. (انظر الديباج لابن فرحون، ٢٥٢/٢).

[3] رواه البخاري، رقم (٥٧٦٣)، في الطب، باب السحر، ومسلم رقم (٢١٨٩) في السلام، باب السحر.

[4] المعلم بفوائد مسلم، (١٥٨/٣-١٥٩)، وقد نقل ذلك عنه كل من الإمامين ابن حجر في الفتح (٢٢٢/١٠-٢٢٣)، والنووي في المنهاج شرح مسلم (١٧٤/١٤) .

-**التخييلي**: (وهذا النوع من السحر قال به عامة أهل السنة وعامة المعتزلة[1]، إلا إن المعتزلة حصروا السحر فيه، وأنكروا أن يكون السحر حقيقيا)[2].

قال الشنقيطي[3] -رحمه الله-: (وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ طه: ٦٦ يدل على أن السحر الذي جاء به سحرة فرعون تخييل لا حقيقة له في نفس الأمر. وهذا الذي دلت عليه آية «طه» هذه دلت عليه آية «الأعراف» وهي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الأعراف: ١١٦ ، لأن قوله: ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يدل على أنهم خيلوا لأعين الناظرين أمرا لا حقيقة له. وبهاتين الآيتين احتج المعتزلة ومن قال بقولهم على أن السحر خيال لا حقيقة له.

والتحقيق الذي عليه جماهير العلماء من المسلمين: أن السحر منه ما هو أمر له حقيقة لا مطلق تخييل لا حقيقة له، ومما يدل على أن منه ما له حقيقة قوله تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾البقرة: ١٠٢ فهذه الآية تدل على أنه شيء موجود له حقيقة تكون سببا للتفريق بين الرجل وامرأته وقد عبر الله عنه بما الموصولة وهي تدل على أنه شيء له وجود حقيقي. ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى

[1] هم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وقال بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان، وقد بنوا مذهبهم على أصول خمسة هي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوعد والوعيد. (انظر الملل والنحل، للشهرستاني، ٤٣/١، والفرق بين الفرق، للبغدادي، ص٩٣).

[2] انظر تفسير القرطبي، (٤٦/٢)، وفتح الباري، (٢٢٢/١٠).

[3] هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، ولد سنة ١٣٢٥هـ، بشنقيط في موريتانيا، من مؤلفاته: أضواء البيان لتفسير القرآن بالقرآن، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، مذكرة الأصول على روضة الناظر، توفي سنة١٣٩٣ هـ. (انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان).

ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ الفلق: ٤ يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن. فلولا أن السحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه. وسيأتي إن شاء الله أن السحر أنواع: منها ما هو أمر له حقيقة، ومنها ما هو تخييل لا حقيقة له. وبذلك يتضح عدم التعارض بين الآيات الدالة على أن له حقيقة، والآيات الدالة على أنه خيال)[1].

وقد اختلف الجمهور الذين ذهبوا إلى أن السحر يقع منه الحقيقي هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟

قال ابن حجر –رحمه الله-: (محل النزاع في هذه المسألة هو: هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال إنه تخييل فقط منع ذلك، ومن قال إن له حقيقة اختلفوا: هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الأمراض ؟ أو ينتهي إلى الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه ؟

فالذي عليه الجمهور هو الأول وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني.

فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف، فإن كثيرا ممن يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه)[2].

وقال القرطبي –رحمه الله-: (أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر ما يفعل الله عنده إنزال الجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقلب العصا وإحياء الموتى وإنطاق العجماء، وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل –عليهم السلام-. فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون ولا يفعله الله عند إرادة الساحر)[3] .

---

[1] أضواء البيان، (٣٥/٤).

[2] فتح الباري، (٢٢٢/١٠).

[3] تفسير القرطبي، (٤٧/٢)

ثالثا: نصوص القصص النبوي الدالة على السحر والكهانة:

جاء في قصة أصحاب الأخدود أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك، فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم: الساحر أفضل، أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها، فقتلها)[1].

وفي رواية: (كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له، فقال الكاهن: انظروا لي غلاما فهما - أو قال: فطنا- لقنا فأعلمه علمي هذا، فإني أخاف أن أموت، فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه)[2].

وجه الدلالة:

يخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن هذا الملك أنه كان طاغيا فاجرا مدعيا لنفسه الربوبية والألوهية من دون الله، وكان له ساحر، يستعين به في تحقيق أربه وغايته من تعبيد الناس له.

وفي رواية أنه كان كاهنا، -والساحر والكاهن يشتركان في استعانتهم بالجن والشياطين لإيذاء الناس وإضلالهم-، فلما كبر ذلك الساحر وأحس بدنو أجله، خشي أن يموت دون أن يكون له وارث، يرث عنه هذا الضلال، فطلب من الملك أن يبعث له غلاما في مقتبل عمره، ليكون تعليمه أسهل وأرسخ.

وهنا ينبغي الإشارة إلى مسألتين:

الأولى: حكم تعلم السحر واستعماله:

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٧).

[2] تقدم تخريجه، (ص٢٨).

ينقسم السحر من حيث الحكم عليه إلى قسمين:

(أ: شرك وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين؛ يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور.

ب: عدوان وفسق، وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوه .

وبهذا التقسيم الذي ذكرناه نتوصل إلى مسألة مهمة، وهي: هل يكفر الساحر أو لا يكفر؟ اختلف في هذا أهل العلم: فمنهم من قال: إنه يكفر ومنهم من قال: إنه لا يكفر.

ولكن التقسيم السابق الذي ذكرناه يتبين به حكم هذه المسألة، فمن كان سحره بواسطة الشياطين؛ فإنه يكفر لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالبا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾البقرة: ١٠٢ إلى قوله: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٠٢ ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها؛ فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصيا معتديا)[١].

قال الشنقيطي –رحمه الله-: (اختلف العلماء فيمن يتعلم السحر ويستعمله فقال بعضهم: إنه يكفر بذلك، وهو قول جمهور العلماء منهم مالك، وأبو حنيفة وأصحاب أحمد، وغيرهم. وعن أحمد ما يقتضي عدم كفره. وعن الشافعي أنه إذا تعلم السحر قيل له صف لنا سحرك. فإن وصف ما يستوجب الكفر مثل سحر أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر، وإلا فلا. وأقوال أهل العلم في ذلك كثيرة معروفة.

---

[١] القول المفيد، (١/٤٨٩-٤٩٠).

قال: التحقيق في هذه المسألة هو التفصيل. فإن كان السحر مما يعظم فيه غير الله كالكواكب، والجن، وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة «البقرة» فإنه كفر بلا نزاع. كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ البقرة: ١٠٢ ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ البقرة: ١٠٢ ، وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ البقرة: ١٠٢ ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ طه: ٦٩ كما تقدم إيضاحه. وإن كان السحر لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها فهو حرام حرمة شديدة ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر. هذا هو التحقيق إن شاء الله تعالى في هذه المسألة التي اختلف فيها العلماء) [1].

قال النووي –رحمه الله–: (فعمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد سبق في كتاب الإيمان أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عده من السبع الموبقات، وسبق هناك شرحه، ومختصر ذلك أنه قد يكون كفرا، وقد لايكون كفرا، بل معصيته كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا) [2].

المسألة الثانية: بيان الفرق بين الساحر والكاهن، وحكم إتيانهما:

الكاهن هو: (الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن، وكان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون كثيرا من الأمور، فمنهم من كان يزعم أن له رئيا من الجن وتابعة تلقي إليه الأخبار. ومنهم من كان يدعي أنه يستدرك الأمور بفهم أعطيه، وكان منهم من يسمى عرافا وهو الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة وتتهم المرأة بالزنية فيعرف من صاحبها ونحو ذلك من الأمور.

[1] أضواء البيان، (٤/٥٠)

[2] شرح النووي على مسلم، (١٤/١٧٦).

ومنهم من كان يسمي المنجم كاهنا)[1].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله التميمي: (والكهانة: ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب.

والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة، فتلقيه في أذن الكاهن، والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب الحصى والمنجم)[2].

وأما الساحر فقد سبق بيان معناه في بداية هذا المبحث، (والكاهن يجتمع مع الساحر في أن كلا منهما يستخدم الجن لغرضه، والكاهن لا يصل إلى حقيقة عمله بأن يخبر عن الأمور المغيبة إلا باستخدام الجن، والتقرب إليهم التقربات الشركية، فتستمتع الجن به من جهة ما صرف لها من العبادة، ويستمتع هو بالجني من جهة ما يخبره به من الأمور المغيبة.

والجن تصل إلى الأمور المغيبة التي تصدق فيها عن طريق استراق السمع، فإن بعضهم يركب بعضا حتى يسمعوا الوحي الذي يوحيه الله –جل وعلا– في السماء، فربما أدرك الشهابُ الجنيَّ قبل أن يلقي الكلمة لمن تحته، وربما أدركه بعد أن يلقي الكلمة، فتأتي هذه الكلمة للجن فيعطونها الكهان، فيكذب معها الكاهن، أو تكذب معها الجن مائة كذبة، حتى يعظم شأن الكهان، وحتى تعظم عبادة الإنس للجن)[3].

وإتيان الكهان والعرافين له أحوال، منها:

الحالة الأولى: إتيانهم مع سؤالهم وتصديقهم بما يخبرون، وهذا لا يخلو من حالتين:

الأولى: أن يكون تصديقهم في الغيب المطلق، الذي استأثر الله بعلمه دون خلقه، فهذا كفر أكبر مخرج من الملة، لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾الأنعام: ٥٩ ، وقال: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾النمل: ٦٥.

---

[1] معالم السنن، للخطابي، (٤/٢٢٨-٢٢٩).

[2] تيسير العزيز الحميد، (ص٣٤٦).

[3] انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد، (ص٣١٧-٣١٨).

الثانية: أن يعتقد صدقهم فيما يخبرون به من الغيب النسبي، فإن اعتقد أنهم يعلمون هذا بذاتهم على جهة الاستقلال، فهذا كفر أكبر كذلك.

وإن كان اعتقاد المصدق لهم أنهم علموا ذلك عن طريق الشياطين ومسترقي السمع، فهذا له عقوبتان:

العقوبة الأولى: أن هذا الاعتقاد كفر أصغر، لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)[1].

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: (وكذلك قوله: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)[2]، وقوله: (من أتى كاهنا فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها، فقد كفر بما أنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم–)، فهذا من الكفر العملي وليس كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه، وإن كان الكل يطلق عليه الكفر)[3].

العقوبة الثانية: لا تقبل له صلاة أربعين يوما، لقوله –صلى الله عليه وسلم–: (من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوما)[4].

(وهذا يدل على أن الذي أتى الكاهن أو العراف فصدقه، أنه لم يخرج عن الملة؛ لأنه حد –عليه الصلاة والسلام– عدم قبول صلاته بأربعين يوما، والذي أتى الكاهن إذا حكم عليه بأنه كافر كفرا أكبر ومرتد وخارج من الملة فإن صلاته لا تقبل بتاتا حتى يرجع إلى الإسلام، كما أن

---

[1] رواه الترمذي، رقم (١٣٥)، في الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، وابن ماجة واللفظ له، رقم (٦٣٩)، في الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، (١٩٨/١).

[2] رواه البخاري، رقم (١٢١)، في العلم، باب الإنصات للعلماء، ومسلم، رقم (٦٥)، في الإيمان، باب بيان معنى قول النبي –صلى الله عليه وسلم– لا ترجعوا بعد كفارا.

[3] الرسائل والمسائل النجدية، (١٥/٣).

[4] رواه مسلم، رقم (٢٢٣٠) في السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ورواه أحمد (١٩٧/٢٧)، رقم (١٦٦٣٨).

تصديق الكاهن فيه شبهة، فقد يأتي الآتي إلى الكاهن ويقول: أنا أصدقه فيما أخبر من الغيب؛ ولا أعتقد استقلاله بمعرفة الغيب، فقد جاءه علم ذلك الغيب من السماء عن طريق الجن، وهذه الشبهة تمنع من تكفير من صدق الكاهن الكفر الأكبر)[١].

قال المناوي[٢] –رحمه الله–:(إن مصدق الكاهن إن اعتقد أنه يعلم الغيب كفر، وإن اعتقد أن الجن تلقي إليه ما سمعته من الملائكة، وأنه بإلهام فصدقه من هذه الجهة لا يكفر)[٣].

الحالة الثانية: الإتيان المجرد من غير سؤال ولا تصديق لهم، وهذا محرم، لأنه ذريعة لسؤالهم وتصديقهم، ولحديث معاوية بن الحكم السلمي[٤] – رضي الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله: إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالا يأتون الكهان؟ قال: (فلا تأتهم)[٥].

الحالة الثالثة: إتيانهم مع سؤالهم دون تصديق، فهذا إلى جانب أنه محرم، فصاحبه يعاقب بأنه لا تقبل له صلاة أربعين ليلة، لحديث: (من أتى عرافا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[٦][٧]

---

[١] انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ، (ص٣٢١-٣٢٢).

[٢] هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، ولد سنة ٩٥٢ هـ، عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة ١٠٣١ هـ، ومن مؤلفاته: كنوز الحقائق، والتيسير في شرح الجامع الصغير، وفيض القدير. (انظر الأعلام للزركلي، ٢٠٤/٦).

[٣] فيض القدير، (٢٣/٦).

[٤] هو الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي، كان ينزل المدينة، ويسكن في بني سليم. له عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث في الكهانة والطيرة والخط، وفي تشميت العاطس في الصلاة جاهلا وفي عتق الجارية. (انظر الاستيعاب، ١٤١٤/٣).

[٥] رواه مسلم رقم (٥٣٧) في المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته.

[٦] رواه مسلم، رقم (٢٢٣٠)، في السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

[٧] انظر القول المفيد، (٥٣٣/١)

الحالة الرابعة: أن يكون سؤالهم لأجل اختبارهم، وإظهار عجزهم، وضعف حجتهم، فهذا لا بأس به.

قال ابن تيمية –رحمه الله–: (وأما إن كان يسأل المسئول ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره، وعنده ما يميز به صدقه من كذبه، فهذا جائز، كما ثبت في الصحيحين: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سأل ابن صياد فقال: (ما يأتيك؟ فقال: يأتيني صادق وكاذب قال: ما ترى؟ قال: أرى عرشا على الماء قال: فإني قد خبأت لك خبيئا قال: الدخ الدخ قال: اخسأ فلن تعدو قدرك فإنما أنت من إخوان الكهان)[1])[2].

وإتيان الساحر كإتيان الكاهن، فكل منهما يستميل الجن، ويتقرب إليهم بالتعظيم والعبادة ليحققوا له غرضه، فجاء عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: (من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)[3].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بعد إيراده لهذا الأثر: (وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما، لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضا)[4].

وقد ذهبت اللجنة الدائمة إلى أن إتيان الساحر له حكم إتيان الكاهن، لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)[5]، وقالوا: (والعراف

---

[1] رواه البخاري، رقم (١٣٥٤)، في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ومسلم رقم (٢٩٣٠)، في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد.

[2] مجموع الفتاوى، (١٩/٦٢–٦٣).

[3] أخرجه البزار في مسنده، (٥/٢٥٦)، رقم (١٨٧٣)، والشاشي في مسنده، (٢/٣١١)، رقم (٨٩١) موقوفا، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/١٠٤) مرفوعا، قال الشيخ سليمان بن عبد الله في التيسير: (إسناده على شرط مسلم)، ص٣٥٠.

[4] تيسير العزيز الحميد، (ص٣٥٠–٣٥١).

[5] رواه مسلم، رقم (٢٢٣٠)، في السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

يعم الكاهن والمنجم والساحر)[1].

---

[1] انظر فتاوى اللجنة الدائمة، (١/٥٦٣).

المبحث الثالث عشر: الاستعاذة.

أولا: بيان معنى الاستعاذة، وأقسامها:

قال ابن فارس: (العين والواو والذال أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الالتجاء إلى الشيء)[1].

وأما الاستعاذة شرعا: فقد قال الشيخ سليمان بن عبد الله التميمي –رحمه الله– : (الاستعاذة: الالتجاء، والاعتصام، والتحرز، وحقيقتها: الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا، وملجأ ووزرا، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه، وفر إليه، وألقى نفسه بين يديه واعتصم به، واستجار به، والتجأ إليه، وهذا تمثيل وتفهيم، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والإطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل بين يديه، أمر لا تحيط به العبارة)[2].

قال ابن القيم –رحمه الله–: (لفظ عاذ وما تصرف منها يدل على التحرز والتحصن والنجاة، وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا كما يسمى ملجأ ووزرا، وفي الحديث: (أن ابنة الجون لما أدخلت على النبي –صلى الله عليه وسلم– فوضع يده عليها قالت: أعوذ بالله منك فقال لها: قد عذت بمعاذ الحقي بأهلك)[3].

فمعنى أعوذ ألتجئ وأعتصم وأتحرز، وفي أصله قولان أحدهما: أنه مأخوذ من الستر، والثاني: أنه مأخوذ من لزوم المجاورة، فأما من قال: إنه من الستر، قال: العرب تقول للبيت الذي في أصل الشجرة التي قد استتر بها عوذ بضم العين وتشديد الواو وفتحها، فكأنه لما عاذ بالشجرة واستتر بأصلها وظلها سموه عوذا، فكذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه واستجن به منه،

---

[1] معجم مقاييس اللغة، (١٨٣/٤).

[2] تيسير العزيز الحميد، (ص١٧٠–١٧١).

[3] رواه البخاري، رقم (٥٢٥٤)، في الطلاق، باب من طلق، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق.

ومن قال: هو لزوم المجاورة قال: العرب تقول للحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه عوذ، لأنه اعتصم به واستمسك به، فكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به، واعتصم به، ولزمه.

والقولان حق والاستعاذة تنتظمهما معا، فإن المستعيذ مستتر بمعاذه، متمسك به، معتصم به، قد استمسك قلبه به، ولزمه كما يلزم الولد أباه إذا أشهر عليه عدوه سيفا وقصده به، فهرب منه، فعرض له أبوه في طريق هربه، فإنه يلقي نفسه عليه، ويستمسك به أعظم استمساك، فكذلك العائذ قد هرب من عدوه الذي يبغي هلاكه إلى ربه ومالكه، وفر إليه، وألقى نفسه بين يديه، واعتصم به، واستجار به، والتجأ إليه.

وبعد فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات، وإنما هي تمثيل وإشارة وتفهيم، وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء، والاعتصام، والانطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل بين يديه، أمر لا تحيط به العبارة)[1].

(والسين والتاء في الاستعاذة دالة على الطلب فقوله: أستعيذ بالله، أي أطلب العياذ به، كما إذا قلت: أستخير الله أي أطلب خيرته، وأستغفره أي أطلب مغفرته، وأستقيله أي أطلب إقالته)[2]

وعن أبي هريرة —رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به)[3].

---

[1] بدائع الفوائد، (٢/٢٠٠-٢٠١).

[2] المصدر نفسه، (٢/٢٠١).

[3] رواه البخاري، رقم (٣٦٠١)، في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم، رقم (٢٨٨٦)، في الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر.

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن الاستعاذة عبادة من العبادات:

جاء في قصة وافد عاد أن الرجل الذي كان عند النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد)[1].

وجه الدلالة:

دل هذا الحديث أن الاستعاذة بالله عبادة من العبادات، لكون الرجل ذكرها أمام النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأقره النبي –صلى الله عليه وسلم– عليها إقرارا سكوتيا.

والاستعاذة عبادة من العبادات التي أمر الله بها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٠، وقال: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ النحل: ٩٨، وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٧، وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ ﴾ الفلق: ١، وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾ الناس: ١.

والاستعاذة كما يدل عليه معناها بمعنى دعاء الطلب، قال ابن تيمية –رحمه الله–: (فالاستعاذة، والاستجارة، والاستغاثة كلها من نوع الدعاء أو الطلب، وهي ألفاظ متقاربة)[2]، وعليه فيقال في أنواع الاستعاذة ما يقال في أنواع الدعاء، فالاستعاذة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما تقع عبادة، ويكون صرفها لغير الله شرك، وهي الاستعاذة بمخلوق في شيء لا يقدر عليه إلا الله، أو الاستعاذة بالمخلوق الغائب أو الميت، وذلك لأن الاستعاذة بالمخلوق الغائب أو الميت تستلزم اعتقاد المستعيذ في هذا المستعاذ به بأنه يعلم الغيب، وأن سمعه وسع سمع جميع الأصوات، ولا شك أن اعتقاد ذلك من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٠).

[2] مجموع الفتاوى، (١٥/٢٢٧).

القسم الثاني: ما لا تقع عبادة، فهذه يجوز أن توجه إلى المخلوق، بشرط أن يكون حيا حاضرا قادرا، قال ابن تيمية –رحمه الله– : (وقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر مايقدر عليه، وأما المخلوق الغائب والميت، فلا يطلب منه شيء)[1].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله التميمي –رحمه الله– : (إلا أن المخلوق يطلب منه ما يقدر عليه ويستعاذ به فيه، بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يستعاذ فيه إلا بالله، كالدعاء، فإن الاستعاذة من أنواعه)[2].

وقال ابن قاسم[3] –رحمه الله–: (وإن استعاذ بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه فجائز)[4].

وأما قول ابن تيمية –رحمه الله–: (وقد نص الأئمة –كأحمد وغيره– على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق)[5]، فيحمل على القسم الأول من أقسام الاستعاذة، وهو استعاذة العبادة، وأما القسم الثاني من الاستعاذة فجائز أن يوجه إلى المخلوق، وذلك لورود بعض الأدلة التي جاء فيها توجيه الاستعاذة للمخلوق الحي الحاضر القادر، منها:

- عن جابر–رضي الله عنهما–، أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فَأُتِيَ بها النبي –صلى الله عليه وسلم–، فعاذت بأم سلمة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم–، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها)، فقطعت.[6]
- وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

[1] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، (ص٣٠٦).

[2] تيسير العزيز الحميد، (ص١٧٢).

[3] هو عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني، أبو عبد الله: فقيه حنبلي، ولد سنة ١٣١٩هـ، ومن مصنفاته: (إحكام الأحكام)، وله (السيف المسلول على عابد الرسول)، وجمع (فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) في ٣٠ مجلدا، وله (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) فتاوى ورسائل لعلماء نجد، وتوفي سنة ١٣٩٢هـ. (انظر الأعلام، للزركلي، ٢/٣٣٦).

[4] حاشية كتاب التوحيد، (ص١١٠).

[5] مجموع الفتاوى، (١٥/٢٢٧).

[6] رواه مسلم، رقم (١٦٨٩)، في الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود.

(ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به)[1].

---

[1] تقدم تخريجه ص١٦٣.

المبحث الرابع عشر: الاستغاثة.

أولا: بيان معنى الاستغاثة، والفرق بينها وبين الدعاء:

الاستغاثة لغة: قال ابن فارس: (الغين والواو والثاء كلمة واحدة، وهي الغوث من الإغاثة، وهي الإغاثة والنصرة عند الشدة)[1].

والاستغاثة شرعا: هي (طلب الغوث وهو إزالة الشدة)[2]، والاستغاثة من دعاء الطلب[3]، و(الفرق بين الاستغاثة والدعاء: أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ القصص: ١٥. وقال: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ الأنفال: ٩ .والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغيره)[4].

---

[1] معجم مقاييس اللغة، (٤/٤٠٠).

[2] مجموع الفتاوى، (١/١٠٣).

[3] انظر مجموع الفتاوى، (١٥/٢٢٧).

[4] تيسير العزيز الحميد، (ص١٧٥).

ثانيا: نصوص القصص النبوي عن الأمم الماضية الدالة على الاستغاثة:

جاء في قصة أول قسامة في الجاهلية أنه (كان رجل من بني هاشم، استأجره رجل من قريش من فخذ أخرى، فانطلق معه في إبله، فمر رجل به من بني هاشم، قد انقطعت عروة جوالقه، فقال: أغثني بعقال أشد به عروة جوالقي، لا تنفر الإبل، فأعطاه عقالا فشد به عروة جوالقه،....)[1].

والشاهد من هذه القصة هو قول الرجل الذي انقطعت عروة جوالقه للآخر: (أغثني بعقال أشد به عروة جوالقي)

وجه الدلالة:

استغاثة الرجل من نوع الاستغاثة التي يجوز صرفها للمخلوق، إذ أنها فيما يقدر عليه المخلوق، وليست الاستغاثة التعبدية التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

والاستغاثة عبادة من العبادات المشروعة كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الأنفال: ٩، وجاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال وهو يخطب الناس لما أجدب الناس: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا)[2].

وهذه الاستغاثة التي تقع على سبيل العبادة لا يجوز صرفها لغير الله، وهناك الاستغاثة التي لا تقع عبادة فيجوز توجيهها للمخلوق، بشرط أن يكون هذا المخلوق حيا حاضرا قادرا على نحو ما بيناه في مبحث الدعاء وفي مبحث الاستغاثة.

وقد جاءت نصوص الشريعة بجواز توجيه الاستغاثة إلى المخلوق فيما يقدر عليه، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قام فينا النبي -صلى الله عليه وسلم-، فذكر الغلول[3] فعظمه وعظم

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٧).

[2] رواه البخاري، رقم (١٠١٤)، في الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة.

[3] (الغلول) أي: الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة. (النهاية:٣/٣٨٠).

أمره، قال: (لا ألفين[1] أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء[2]، على رقبته فرس له حمحمة[3]، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء[4]، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، وعلى رقبته صامت[5]، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق[6]، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك)[7]

قال ابن تيمية –رحمه الله– :(والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول –صلى الله عليه وسلم– ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيها مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر إن أنكر ما يكفر به، وإما مخطئ ضال)[8].

قال الشوكاني[9] –رحمه الله–: (ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق، فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور، ولا يحتاج مثل ذلك إلى استدلال فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد

---

[1] (لا ألفين): ألفيت الشيء ألفيه: إذا وجدته وصادفته، والمعنى: لا أجد أحدكم على هذه الصفة. (انظر النهاية، ٤/٢٦٢).

[2] (الثغاء): صوت الشاء. (انظر النهاية، ١/٢١٤).

[3] (الحمحمة): صوت الفرس دون الصهيل. (انظر النهاية، ١/٤٣٦).

[4] (الرغاء) : صوت الإبل، وذوات الخف. (انظر النهاية، ٢/٢٤٠).

[5] (الصامت): الذهب والفضة. (انظر النهاية، ٣/٥٢).

[6] (رقاع تخفق): أراد بالرقاع ما عليه من الحقوق المكتوبة في الرقاع. وخفوقها حركتها.. (انظر النهاية، ٢/٢٥١).

[7] رواه البخاري، رقم (٣٠٧٣)، في الجهاد والسير، باب الغلول، ومسلم، رقم (١٨٣١)، في الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول.

[8] مجموع الفتاوى، (١/١١٢).

[9] هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد سنة ١١٧٣ هـ، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها، ومات حاكما بها سنة ١٢٥٠ هـ، من مؤلفاته: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، وفتح القدير، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، والسيل الجرار. (انظر الأعلام للزركلي، ٦/٢٩٨).

فيه خلاف، ومنه: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ القصص: ١٥. وكما قال ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ الأنفال: ٧٢. وكما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾ المائدة: ٢. وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر والرزق، ونحو ذلك كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ١٣٥. وقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ القصص: ٥٦، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ فاطر: ٣.

وعلى هذا يحمل ما أخرجه الطبراني[1] في معجمه الكبير أنه كان في زمن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- منافق يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر: قوموا بنا نستغيث برسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- من هذا المنافق، فقال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله)[2].

فمراده - صلى الله عليه وآله وسلم- أنه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله، وأما ما يقدر عليه المخلوق فلا مانع من ذلك، مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل الحجر، أو يحول بينه وبين عدوه الكافر، أو يدفع عنه سبعا صائلا، أو لصا، أو نحو ذلك)[3].

---

[1] هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني؛ كان حافظ عصره، وعدد شيوخه ألف شيخ، وله المصنفات النافعة منها المعاجم الثلاثة: " الكبير " و " الأوسط " و " الصغير "، ومولده سنة ٢٦٠هـ بطبرية الشام، وسكن أصبهان إلى أن توفي بها سنة ٣٦٠هـ. (انظر وفيات الأعيان، ٤٠٧/٢).

[2] أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٥٩/١٠)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث.

[3] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، (ص١٠-١٢).

المبحث الخامس عشر: التحاكم إلى شريعة الله.

أولا: بيان وجوب التحاكم إلى شريعة الله:

بين الله سبحانه أنه وحده المستحق للحكم دون من سواه، فقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يوسف: ٤٠، وقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ القصص: ٧٠، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يوسف: ٦٧ ، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ الشورى: ١٠ ، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ القصص: ٨٨ .

وحكمه تعالى الذي انفرد باستحقاقه شامل للحكم الشرعي، والحكم الجزائي القضائي، قال السعدي –رحمه الله–: (ويقرر هذا التوحيد بأنه هو الحاكم وحده، فلا يحكم غيره شرعا ولا جزاء ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾يوسف: ٤٠.)[1].

وكل حكم خالف شرع الله فهو من حكم الجاهلية، كما قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ المائدة: ٥٠

قال ابن تيمية –رحمه الله–: (ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا الفتيان، ولا رماة البندق، ولا الجيش، ولا الفقراء، ولا غير ذلك؛ إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير ذلك؛ تناوله قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ المائدة: ٥٠ ، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

[1] القواعد الحسان، (ص٢٠).

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥ ؛ فيجب على المسلمين أن يحكموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم ...)[١].

[١] مجموع الفتاوى، (٣٥/ ٤٠٧-٤٠٨).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على وجوب التحاكم إلى شريعة الله:

جاء في قصة الرهبانية عند النصارى: (كانت ملوك بعد عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة قيل لملوكهم: ما نجد شتما أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤ ، وهؤلاء الآيات مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم، فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها)[١].

وجه الدلالة:

لما بدل الملوك بعد عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- كتاب الله، وتابعهم على ذلك أناس، كان من الناس من بقوا على إيمانهم، ولم يرتضوا هذا التبديل والتغيير، وذلك لأنهم حفظوا من كتاب الله قبل أن يناله التحريف والتبديل وصف من حكم بغير ما أنزل الله بالكفر، وهذا فيه دلالة واضحة على وجوب التحاكم إلى شريعة الله المنزلة.

ولا يتم الإيمان إلا بتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥

ويقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ النساء: ٦٠. وهذه الآية كالتي قبلها، فيها نفي الإيمان عمن يريد التحاكم إلى غير شريعة الله، قال ابن كثير -رحمه الله- :(هذا إنكار من الله عز وجل على من

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخصاما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف، وقيل: في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية، وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة. وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا)[1].

وعن عدي بن حاتم[2] -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ؛ فقال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إنا لسنا نعبدهم! قال صلى الله عليه وسلم:(أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه)؟ قال عدي: بلى.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (فتلك عبادتهم)[3]

(وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وعكسه يكونون على وجهين:

أحدهما: أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله، فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله؛ مشركا مثل هؤلاء.

---

[1] تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٠٥).

[2] هو عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، وأبوه الجواد المشهور، أسلم في سنة تسع، وكان نصرانيا قبل ذلك، وثبت على إسلامه في الردة، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد صفين مع علي، مات سنة ٦٨هـ. (انظر الإصابة، ٤/٣٨٨).

[3] رواه الترمذي، رقم (٣٠٩٥)، في التفسير، باب: ومن سورة التوبة، وحسنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (٦٧/٧)، والألباني في السلسلة الصحيحة، (٨٦١/٧-٨٦٦)، رقم (٣٢٩٣).

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيحين عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (إنما الطاعة في المعروف)[1].)[2]

(واتباع هذا المحلل للحرام والمحرم للحلال إن كان مجتهدا قصده اتباع الرسول –صلى الله عليه وسلم–، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه. ولكن من علم أن هذا الخطأ فيما جاء به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– فله نصيب من الشرك الذي ذمه الله، لا سيما إن اتبعه في ذلك لهواه، ونصره باللسان واليد مع علمه بأنه مخالف للرسول –صلى الله عليه وسلم–. فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه، ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز تقليد أحد في خلافه، وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزا عن معرفة الحق على التفصيل، وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد، فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ كما في القبلة. وأما إن قلد شخصا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن الحق معه، فهذا من أهل الجاهلية، فإن كان متبوعه مصيبا لم يكن عمله صالحا، وإن كان متبوعه مخطئا، كان آثما كمن قال في القرآن برأيه، فإن أصاب فقد أخطأ، وإن أخطأ، فليتبوأ مقعده من النار)[3].

وقد أخبر الله –عز وجل– أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر وظلم وفسق، فقال في سورة المائدة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة: ٤٤ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ المائدة: ٤٥ ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ

[1] رواه البخاري، رقم (٧١٤٥)، في الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم، رقم (١٨٤٠)، في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

[2] مجموع الفتاوى، (٧/٧٠).

[3] انظر المصدر السابق، (٧/٧١-٧٢).

أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المائدة: ٤٧ ، وهذه الأوصاف الثلاثة المذكورة في هذه الآيات –الكفر والظلم والفسق– ليست لموصوف واحد، وإنما لموصوفين متعددين، فهي على حسب الحكم على الشخص الذي حكم بغير ما أنزل الله، وقد أوضح ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله– ذلك في قوله: (وهنا أمر يجب أن يتفطن له، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفرا: إما مجازيا، وإما كفرا أصغر، على القولين المذكورين. وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص، ويسمى كافرا كفرا مجازيا، أو كفرا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأ، فهذا مخطئ، له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور)[١].

---

[١] شرح الطحاوية، (ص٣٠٤-٣٠٥).

ثالثا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن الشرع جعل الحكم إلى العلماء وإلى الأمراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله:

جاء في قصة جرة الذهب أن الرجلين اللذين تخاصما في جرة الذهب (تحاكما إلى رجل، فقال: الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه، وتصدقا)[1].

وفي قصة الرجل الذي قتل مائة نفس ثم تاب، لما أتاه الموت اختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب (فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم -أي حكما بينهم- ، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة)[2].

وجه الدلالة:

هاتان القصتان تدلان على أن الشرع جعل الحكم إلى العلماء وإلى الأمراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله، وأن تحكيم الرجال في ذلك لا ينافي اعتقاد أنه لا أحد مستحق للحكم إلا الله.

فيؤخذ من هاتين القصتين الرد على الخوارج المحكمة الذين اعترضوا على علي –رضي الله عنه– لما قبل بالتحكيم بينه وبين معاوية –رضي الله عنه–، فقالوا له : حكمت الرجال، (لا حكم إلا لله)[3]

(وقد حكم الله الناس في كتابه في غير موضع، قال عز وجل في جزاء الصيد: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ المائدة: ٩٥ ، وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾النساء: ١٢٨ ، وقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٠).

[2] تقدم تخريجه، (ص٢٤).

[3] رواه مسلم، رقم (١٠٦٦)، في الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج.

﴿ فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ النساء: ٣٥ ، يعني الزوج والزوجة، وقال: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ النساء: ٨٣ ، فهذا محكم القرآن قد جعل أحكاما كثيرة إلى العلماء وإلى الأمراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله)[1].

[1] انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، (ص٤٨).

المبحث السادس عشر: بيان أن الاستكبار عن سبيل التوحيد هو سبب هلاك أكثر الكافرين.

أولا: ذكر نماذج من القرآن من الأمم التي أهلكها الله بسبب استكبارها عن سبيل التوحيد:

ذكر الله تعالى في كتابه قصصا عن الأمم الماضية، وبين حالهم مع أنبيائهم تجاه الحق الذي جاءوهم به، فكان منهم من آمن، ومنهم من أعرض واستكبر وكفر، وقد بين الله عاقبة الذين استكبروا عن التوحيد، وهو إهلاكهم في الدنيا ليكون ذلك عقوبة لهم، وليكونوا عبرة وعظة لمن يأتي بعدهم، هذا إلى جانب ما يدخره الله لهم من العذاب المهين في الآخرة.

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ يونس: ١٣.

وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ القصص: ٥٩ .

وقال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الأعراف: ٩٦

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ يوسف: ١١٠

وأخبر الله عن هلاك قوم نوح لما كذبوا رسولهم، فقال:﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الفرقان: ٣٧

وأخبر عن قوم هود فقال: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ فصلت: ١٥ ــ ١٦.

وأخبر عن ثمود، فقال: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الذاريات: ٤٣ ــ ٤٥.

وأخبر عن قوم لوط، فقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ ﴾ القمر: ٣٣ ــ ٣٩.

وأخبر عن فرعون وقومه، فقال: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٦

وقال: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأنفال: ٥٤

وقد ذكر الله تعالى في سورة العنكبوت عددا من الأنبياء وما حصل من أقوامهم من التكذيب لهم، والاستكبار عن التوحيد الذي جاءوا به، فبين الله تعالى صورا مختلفة من صور إهلاكه لهم، فقال: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٠

ثانيا: ما جاء في القصص النبوي عن الأمم الماضية من الدلالة على أن الاستكبار عن سبيل التوحيد هو سبب هلاك الكافرين:

عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (لما أغرق الله فرعون، قال: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ يونس: ٩٠) قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه، مخافة أن تدركه الرحمة.)[1]

وجه الدلالة:

أخبر الله تعالى أنه أغرق فرعون وقومه لما حصل منهم من التكذيب بآياته، والاستكبار عن التوحيد، كما قال تعالى: ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٦

وقال: ﴿ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأنفال: ٥٤.

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٨).

المبحث السابع عشر: بيان مشروعية الهجرة حين لا يجد المرء سبيلا لإقامة دينه.

أولا: بيان أحكام الهجرة:

الهجرة هي الخروج والانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان، ومن الدار التي لا يجد المرء فيها سبيلا لإقامة دينه إلى دار يستطيع فيها إقامة شعائر الدين[1].

والهجرة على هذا يختلف حكمها بحسب الحال، فلها ثلاثة أحكام:

الأول: الهجرة الواجبة، وهي التي تكون حين يكون المرء عاجزا عن إقامة دينه، وهو قادر عليها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء: ٩٧.

قال ابن كثير -رحمه الله-: (فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع)[2].

(ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[3].

الثاني: الهجرة المستحبة، (وهي حينما يكون المرء قادرا عليها، لكنه يمكنه إظهار دينه، وأداء واجباته، وهي مستحبة لتكثير المسلمين بدار الإسلام، ومعونتهم، وجهاد الكفار، والأمن من غدرهم، والراحة من رؤية المنكر بينهم.

الثالث: الهجرة الجائزة، أو غير الواجبة، وهي إذا كان المرء عاجزا بعذر من أسر أو مرض أو غيره، فتجوز له الإقامة في بلاد الكفر، فإن حَمَل على نفسه، وتكلف الخروج منها أُجِر)[4]

---

[1] انظر المغني، لابن قدامة، (٢٩٣/٩).

[2] تفسير القرآن العظيم، (٣٤٤/٢).

[3] المغني، لابن قدامة، (٢٩٤/٩).

[4] انظر فتح الباري، لابن حجر، (١٩٠/٦).

قـال تعـالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ النساء: ٩٨ ــ ٩٩،

قال ابن كثير —رحمه الله– : (هذه عذر من الله لهؤلاء في ترك الهجرة، وذلك أنهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق، ولهذا قال: لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا)[1].

[1] تفسير القرآن العظيم، (٢/٣٤٤).

ثانيا: دلالة القصص النبوي على مشروعية الهجرة حين لا يجد المرء سبيلا لإقامة دينه:

جاء في قصة الرهبانية عند النصارى أنه (كانت ملوك بعد عيسى بن مريم –عليه الصلاة والسلام– بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة قيل لملوكهم: ما نجد شتما أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤ ، وهؤلاء الآيات مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم، فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دورا في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحترث البقول فلا نرد عليكم، ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال: ففعلوا ذلك)[1].

وجه الدلالة:

في هذه القصة دلالة على مشروعية الهجرة حين لا يجد المرء سبيلا لإقامة دينه، حيث أن مؤمني أهل الكتاب في هذا الوقت لم يطيعوا ملوكهم في تبديل كلام الله ولم يرتضوا ذلك، بل آثروا اعتزالهم، والفرار بدينهم.

وفي قصة الرجل الذي قتل مائة نفس جاء فيها أن العالم قال له –عندما سأله عن التوبة–: (ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها ناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء)[2].

وجه الدلالة:

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

[2] تقدم تخريجه، (ص٢٤).

أن الرجل الذي قتل مائة نفس عندما أراد التوبة أمره العالم بمغادرة أرضه التي عم بها المنكر إلى أرض أخرى بها عباد صالحون يتقوى بهم على عبادة الله وهجر العصيان، فيؤخذ من هذه القصة استحباب الهجرة من الأرض التي يكثر بها الفتن والمعاصي إلى أرض أهلها صالحون، قال النووي –رحمه الله–: (قال العلماء في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير، والصلاح، والعلماء، والمتعبدين الورعين، ومن يقتدي بهم، وينتفع بصحبتهم، وتتأكد بذلك توبته)[1].

[1] شرح النووي على مسلم، (١٧/٨٣).

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات

وفيه خمسة عشر مبحثا:

المبحث الأول: معنى توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: بيان أن كل كمال في المخلوق، وأمكن أن يتصف به الخالق، فالخالق أولى به.

المبحث الثالث: بيان عظم وزر المبدلين لأمر الله وشرعه، والمحرفين لكلامه.

المبحث الرابع: ثبوت صفة الكلام لله تعالى.

المبحث الخامس: ثبوت صفة الفرح لله تعالى.

المبحث السادس: ثبوت صفة المحبة لله تعالى.

المبحث السابع: ثبوت صفة الرضا لله تعالى.

المبحث الثامن: ثبوت صفة المغفرة لله تعالى.

المبحث التاسع: ثبوت صفة الرحمة لله تعالى.

المبحث العاشر: ثبوت صفة الشكر لله تعالى.

المبحث الحادي عشر: ثبوت صفة الشفاء لله تعالى.

المبحث الثاني عشر: ثبوت صفة القدرة لله تعالى.

المبحث الثالث عشر: ثبوت اسم الشهيد لله تعالى.

المبحث الرابع عشر: ثبوت اسم الكفيل لله تعالى.

المبحث الخامس عشر: بيان أن صفتي الكبرياء والعظمة من الصفات التي تفرد الله بها لنفسه، ومن نازعه فيها استحق من الله العقوبة.

المبحث الأول: معنى توحيد الأسماء والصفات:

الأسماء جمع اسم، (والاسم مشتق من السمو، وهو من العلو، لأنه تنويه ودلالة على المعنى، وقيل: مشتق من الوسم أي: العلامة)[1].

(وهو اللفظ الدال على المسمى)[2]، (وأسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر)[3].

(وأما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات كالعلم والحكمة والسمع والبصر، فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد، ويقال الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم، ويجب الإيمان بكل ما ثبت منهما عن الله تعالى أو عن النبي -صلى الله عليه وسلم- على الوجه اللائق بالله سبحانه مع الإيمان بأنه سبحانه لا يشبه خلقه في شيء من صفاته، كما أنه سبحانه لا يشبههم في ذاته)[4].

وعليه فإن توحيد الأسماء والصفات هو (اعتقاد انفراد الرب- جل جلاله- بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من

---

[1] انظر تهذيب اللغة، (٧٩/١٣)، ومعجم مقاييس اللغة، (٩٩/٣).

[2] مجموع الفتاوى، (١٩٢/٦).

[3] فتاوى اللجنة الدائمة، (١٦٠/٣)

[4] المصدر نفسه، (١٦٠/٣)

غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله)[1].

[1] القول السديد شرح كتاب التوحيد، (ص١٧)، وانظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة،(ص٢٥)، وتيسير العزيز الحميد، (ص١٩)، والقول المفيد، (١/١٦-١٧)، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز السلمان، (ص١٢).

المبحث الثاني: بيان أن كل كمال في المخلوق، وأمكن أن يتصف به الخالق، فالخالق أولى به:

(من المعلوم أن الصفات ثلاثة أنواع: صفات كمال؛ وصفات نقص؛ وصفات لا تقتضي كمالا ولا نقصا، وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسما رابعا: وهو ما يكون كمالا ونقصا باعتبارين، والرب تعالى منزه عن الأقسام الثلاثة، وموصوف بالقسم الأول، وصفاته كلها صفات كمال محض لا نقص فيها بوجه من الوجوه فهو موصوف من الصفات بأكملها وله من الكمال أكمله وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها)[1].

والكمال لله تعالى ثابت بأدلة السمع والعقل والفطرة[2].

ومن الأدلة العقلية على ثبوت الكمال لله تعالى قياس الأولى –وهو أن كل كمال ثبت للمخلوق –لا نقص فيه بوجه من الوجوه- فالخالق أولى به-، وكل نقص وعيب في نفسه ينزه المخلوق عنه، فتنزيه الخالق عنه أولى.

دلالة القصص النبوي على أن معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا به:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه-: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: (كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس، فإن رأى معسرا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه)[3].

وفي رواية: (إن رجلا لم يعمل خيرا قط، كان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك، قال الله له: هل عملت خيرا قط؟ قال: لا،

---

[1] انظر بدائع الفوائد، (١٦٧/١)، ومجموع الفتاوى،(١٣٧/٦).

[2] انظر القواعد المثلى، (ص٢٨-٢٩).

[3] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته ليتقاضى، قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا. قال الله: قد تجاوزت عنك)[1].

وفي رواية: (حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه)[2].

وجه الدلالة:

اتصف هذا الرجل بصفة من صفات الكمال وهي صفة العفو، ولا ريب أن الله خالقه وخالق هذه الصفة فيه، فهو الذي وهبها له، فكان سبحانه أولى بالاتصاف بها، ولذلك قال: (نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه).

واستخدام قياس الأولى في إثبات الكمال لله تعالى كما ثبت بالسنة، فقد ثبت في الكتاب أيضا كقول الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الروم: ٢٨.

والمعنى أن الله عز وجل وبخ المشركين على اتخاذهم شركاء معه، فضرب لهم مثلاً من أنفسهم، وهو أنكم إذا كنتم لا ترضون لأنفسكم أن يكون ممااليككم شركاء في الذي رزقكم الله من أموال، بل تمتنعون أن يكون المملوك لكم نظيراً، فكيف ترضون أن تجعلوا ما هو مخلوقي ومملوكي شريكاً لي، يدعي كما أدعى وأعبد؟ فإذا كنتم تنزهون وتنفون ذلك عن أنفسكم؛ فالخالق أولى بأن تنزهوه وتنفوا عنه الشريك في العبادة[3]

فكل نقص وعيب في نفسه ينزه المخلوق عنه، فتنزيه الخالق عنه أولى.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٤).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٤).

[3] انظر درء تعارض العقل والنقل، (٣٧/١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– :(بينا أن الله سبحانه وتعالى يستعمل في حقه قياس الأولى كما جاء بذلك القرآن وهو الطريق التي كان يسلكها السلف والأئمة كأحمد وغيره من الأئمة، فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص ينزه عنه المخلوق فالخالق أولى أن ينزه عنه، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) ﴾ الروم: ٢٨

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) ﴾ النحل: ٥٨ - ٦٠ و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (٦٢) ﴾ النحل: ٦٢.

وذلك لأن صفات الكمال أمور وجودية أو أمور سلبية مستلزمة لأمور وجودية كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾البقرة: ٢٥٥، فنفي السنة والنوم استلزم كمال صفة الحياة والقيومية، وكذلك قوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فصلت: ٤٦، استلزم ثبوت العدل، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ سبأ: ٣، استلزم كمال العلم ونظائر ذلك كثيرة. وأما العدم المحض فلا كمال فيه وإذا كان كذلك فكل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أحق به من وجهين:

أحدهما: أن الخالق الموجود الواجب بذاته القديم أكمل من المخلوق القابل للعدم المحدث المربوب.

الثاني: أن كل كمال فيه فإنما استفاده من ربه وخالقه فإذا كان هو مبدعا للكمال وخالقا له كان من المعلوم بالاضطرار أن معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا به من المستفيد المبدع المعطي)[1].

وقال –رحمه الله-: (ذلك الكمال إنما استفاده المخلوق من الخالق والذي جعل غيره كاملا هو أحق بالكمال منه؛ فالذي جعل غيره قادرا أولى بالقدرة والذي علم غيره أولى بالعلم والذي أحيا غيره أولى بالحياة)[2].

[1] شرح العقيدة الأصفهانية، (ص١٣٤-١٣٥)

[2] مجموع الفتاوى، (٦/٧٧)

المبحث الثالث: بيان عظم وزر المبدلين لأمر الله وشرعه، والمحرفين لكلامه:

أولا: بيان عظم وزر المبدلين لأمر الله وشرعه، والمحرفين لكلامه، وأنه قد وجد ممن ينتسب إلى هذه الأمة من وقع في ذلك:

التحريف لغة: التغيير والتبديل، وتحريف الكلام عن مواضعه: تغييره.[1]

وقد أخبر الله –عز وجل– عن وقوع التحريف والتبديل في أمره وشرعه من الأمم الماضية في غير موضع من كتابه، وأخبر عن جرمهم وشنيع فعلهم الذي استحقوا به غضبه وعقابه، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ البقرة: ٧٥. فهذا فيه دلالة على أنهم غيروا وبدلوا عن إصرار وعلم.

وقوله عز وجل: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٧٩.

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ آل عمران: ٧٨ ، فهذا فيه دلالة على أنهم أدخلوا في كلام الله ما ليس منه، وافتروا على الله الكذب بأن نسبوا إليه سبحانه ما لم يقله وهم يعلمون ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنعام: ٩١ ، وهذا فيه دلالة على أنهم أخفوا وكتموا كثيرا مما علموا أنه من عند الله.

---

[1] انظر مختار الصحاح، (ص٧٠).

وقولــه تعــالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾المائـدة: ١٣. وفي هـذه الآيـة دلالـة واضحة على التحريف.[1]

وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله– وقوع التحريف في الكتب السابقة، والطرق التي سلكها المحرفون كما ذكرها الله في كتابه ، فقال –رحمه الله–: (أحدها: لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

الثاني: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه وهو قريب من كتمانه.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه.

الخامس: لي اللسان به ليلتبس على السامع اللفظ المنزل بغيره)[2].

وكما جرت العادة أن لكل قوم وارثا، فقد ورث أناس ممن ينتسبون لهذه الأمة التبديل والتحريف لأمر الله وشرعه، فكان أول من عرف بالتبديل في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– هم المنافقون، لما أرادوا تبديل كلام الله تعالى، قَالَ تَعَالَىَ:﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ الفتح: ١٥،

قال ابن كثير –رحمه الله– : (يقول تعالى مخبرا عن الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في غزوة الحديبية، إذ ذهب النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه –رضي الله عنهم– إلى خيبر يفتتحونها أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم، وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم، فأمر الله تعالى رسوله –صلى الله عليه وسلم– أن لا يأذن لهم في

---

[1] انظر دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود الخلف، (ص٩٤–٩٥).

[2] هداية الحيارى، (ص٣١٢).

ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم؛ فإن الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم، لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعا ولا قدرا؛ ولهذا قال تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله، قال مجاهد وقتادة[1]: وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية واختاره ابن جرير)[2].

وقد درجت الفرق الضالة التي تنتسب للإسلام على آثار اليهود وإخوانهم من المنافقين وسلكوا مسلكهم في التحريف والتبديل، فمنهم المستقل ومنهم المستكثر، يقول ابن القيم –رحمه الله-: (والتحريف العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه، والنوعان مأخوذان من الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيهما، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيرا من ألفاظ التوراة، وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه، ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم، ودرج على آثارهم الرافضة[3] فهم أشبه بهم من القذة بالقذة، والجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص الواردة في الصفات مسالك إخوانهم من اليهود، ولما لم يتمكنوا من تحريف نصوص القرآن حرفوا معانيه وسطوا عليها، وفتحوا باب التأويل لكل ملحد يكيد الدين، فإنه جاء فوجد بابا مفتوحا، وطريقا مسلوكة، ولم يمكنهم أن يخرجوه من باب أو يردوه من طريق قد شاركوه فيها، وإن كان الملحد قد وسع بابا هم فتحوه، وطريقا هم اشتقوه)[4].

---

[1] هو قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب، البصري، مولده: سنة ٦٠هـ، كان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ، مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨ هـ.(انظر سير أعلام النبلاء، ٥/٢٦٩).

[2] تفسير ابن كثير، (٣١٣/٧).

[3] (الرافضة): الشيعة الإمامية الإثنى عشرية القائلون بإمامة اثنى عشر من آل البيت؛ أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، ومن عقائدهم الطعن في الصحابة، والقول بالتقية، والرجعة، والبداء. (انظر الملل والنحل، ص١٦٢، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، ٤٤/١).

[4] الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، (٢١٦/١).

ويقول ابن تيمية –رحمه الله-: (وأما تحريفهم للنصوص بأنواع التأويلات الفاسدة التي يحرفون بها الكلم عن مواضعه، فأكثر من أن يذكر، كتأويلات القرامطة الباطنية[1]، والجهمية[2] والقدرية[3]، وغيرهم)[4].

---

[1] (القرامطة الباطنية): فرقة من فرق الشيعة الباطنية يفسرون نصوص الشريعة بتأويلات باطنية، ويقولون بإمامة سبعة من آل البيت، آخرهم محمد بن إسماعيل، ويزعمون أنه حي إلى اليوم لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنه هو المهدي. (انظر مقالات الإسلاميين، ١/٤٠).

[2] (الجهمية): أتباع الجهم بن صفوان، أنكروا أن يكون لله اسما أو صفة، وقالوا بالجبر في القدر، والإرجاء في الإيمان، وأن الإيمان هو المعرفة، كما قالوا بخلق القرآن، وفناء الجنة والنار. (انظر مقالات الإسلاميين، ٢١٩/١، والفرق بين الفرق، ص١٩٩).

[3] (القدرية): هم المعتزلة الذين ينفون خلق الله لأفعال العباد، ومشيئته لها، ويزعمون أن ذلك هو مقتضى العدل، ولذلك سموا أنفسهم بأهل العدل. (انظر الملل والنحل، ص٤٣).

[4] درء تعارض العقل والنقل، (٢٢٦/٥).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على عظم وزر المبدلين لأمر الله وشرعه، والمحرفين لكلامه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: (قيل لبني إسرائيل: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ البقرة: ٥٨. فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا، وقالوا: حطة، حبة في شعرة)[1].

وجه الدلالة:

ففي الحديث دلالة على تبديل بني إسرائيل للقول الذي أمروا به، والعمل الذي أمروا به، (فدخلوا يزحفون على أستاهم وقالوا: حنطة، فخالفوا ما أمرهم الله به من الدخول سجدا وبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، فكان جزاؤهم ما ذكره الله تعالى حيث يقول: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ البقرة: ٥٩ ، وجعلهم الله عبرة لمن بعدهم، فمن فعل كما فعلوا فسبيله سبيلهم كما مضت سنة الله بذلك: ﴿ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ القمر: ٤٣)[2].

وما أشبه فعلهم بفعل الجهمية الذين بدلوا وحرفوا نصوص الكتاب والسنة، ليتوصلوا إلى مرادهم من تعطيل الأسماء والصفات ونفيها، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (وهؤلاء المحرفة المبدلة في هذه الأمة من الجهمية وغيرهم اتبعوا سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى وفارس والروم، فغيروا فطرة الله تعالى، وبدلوا كتاب الله، والله سبحانه وتعالى خلق عباده على الفطرة التي فطرهم عليها، وبعث إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، فصلاح العباد وقوامهم بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة، وهؤلاء بدلوا وغيروا فطرة الله وشرعته خلقه وأمره، وأفسدوا اعتقادات الناس وإراداتهم،

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٧).

[2] معارج القبول، (١/٣٥٧-٣٥٨).

إدراكاتهم وحركاتهم، قولهم وعملهم، من هذا وهذا، كما بدل الذين ظلموا من بني إسرائيل القول الذي أمروا به والعمل الذي أمروا به)[1]

وما أشبه تحريف اليهود لقول الله لما قال لهم ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ فزادوا نونا، وقالوا: حنطة، بتحريف الجهمية لقول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ طه: ٥ ، فقالوا: استولى، يقول ابن القيم –رحمه الله– في نونيته:

أمر اليهود بأن يقولوا حطة .... فأبوا وقالوا حنطة لهوان

وكذلك الجهمي قيل له استوى .... فأبى وزاد الحرف للنقصان

قال استوى استولى وذا من جهله .... لغة وعقلا ما هما سيان

إلى أن قال:

نون اليهود ولام الجهمي هما .... في وحي رب العرش زائدتان

وكذلك الجهمي عطل وصفه .... ويهود قد وصفوه بالنقصان

فهما إذاً في نفيهم لصفاته .... العليا كما بينته أخوان[2].

---

[1] بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، (٢/٤٧١).

[2] الكافية الشافية، (ص١٢١).

المبحث الرابع: ثبوت صفة الكلام لله تعالى:

أولا: ثبوت صفة الكلام لله تعالى، ومعتقد أهل السنة والجماعة في صفة الكلام:

(يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل يتكلم ويقول ويتحدث وينادي، وأن كلامه بصوت وحرف، وأن القرآن كلامه، منزل غير مخلوق، وكلام الله صفة ذاتية فعلية، ذاتية باعتبار أصله، وفعلية باعتبار آحاده)[1].

والكلام صفة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

الدليل من الكتاب:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ النساء: ١٦٤، (مؤكد يدل على معنى الكلام المعروف، لانك إذا قلت: كلمتُ فلانا، جاز أن يكون أوصلت إليه كلامك، وإذا قلت: كلمته تكليما، لم تكن إلا من الكلام الذي يعرف)[2].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ الأعراف: ١٤٣

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾ الشعراء: ١٠، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ ﴾ القصص: ٣٠ ، قال السجزي[3]: (والنداء عند العرب صوت لا غير، ولم يرد

---

[1] صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي السقاف، (ص٢٩٦).

[2] معاني القرآن، للنحاس، (٢/٢٤٠).

[3] هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوايلي البكري، أبو نصر: من حفاظ الحديث، توفي بمكة سنة ٤٤٤هـ على الصحيح، من أهم وأعظم مصنفاته: الإبانة في الرد على الزائغين في مسألة القرآن، والرد على من أنكر الحرف والصوت. (انظر ترجمة د/ محمد باكريم له في تحقيقه لكتاب الرد على من أنكر الحرف والصوت، ص٤٢-٦٩).

عن الله تعالى ولا عن رسوله عليه السلام أنه من الله غير صوت. ولا خلاف بيننا في أن موسى مكلم بلا واسطة)[1].

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ النساء: ٨٧.

- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ﴾لقمان: ٢٧، قال ابن تيمية –رحمه الله– : (فالأبحر إذا قدرت مدادا تنفد وكلمات الله لا تنفد؛ ولهذا قال أئمة السنة لم يزل الله متكلما كيف شاء وبما شاء كما ذكرت الآثار بهذه المعاني عن ابن المبارك[2] وأحمد بن حنبل وغيرهما)[3].

الدليل من السنة:

- حديث محاجة آدم لموسى وفيه: (فقال آدم لموسى: أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه)[4].

– جاء عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من

---

[1] الرد على من أنكر الحرف والصوت، (ص٢٥٣).

[2] هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، الحافظ، الغازي، ولد سنة ١١٨هـ، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، وصنف التصانيف النافعة الكثيرة، له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه، و" الرقائق، توفي سنة ١٨١هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٣٧٨/٨).

[3] مجموع الفتاوى، (٣٠٤/١٢).

[4] رواه البخاري، رقم (٦٦١٤)، في القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، ومسلم رقم (٢٦٥٢) في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا)[١].

وأجمع السلف على ثبوت صفة الكلام لله تعالى:

قال قوام السنة الأصبهاني[٢]: (وخاطر أبو بكر - رضي الله عنه -، أي راهن قوما من أهل مكة، فقرأ عليهم القرآن، فقالوا: هذا من كلام صاحبك. فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله تعالى، ولم ينكر عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا أحد من الصحابة. وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على المنبر: (إن هذا القرآن كلام الله)، فهو إجماع الصحابة وإجماع التابعين بعدهم، مثل: سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، والشعبي[٣] وغيرهم ممن يطول ذكرهم أشاروا إلى أن كلام الله هو المتلو في المحاريب والمصاحف)[٤].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: (اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله تعالى، ولم يقل أحد منهم إن أصوات العباد ولا مداد المصاحف قديم، مع اتفاقهم على أن المثبت بين لوحي المصحف كلام الله، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (زينوا القرآن بأصواتكم)، فالكلام الذي يقرؤه المسلمون كلام الله والأصوات التي يقرءون بها أصواتهم)[٥].

---

[١] رواه البخاري، رقم (٦٥٤٩)، في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ورقم (٧٥١٨)، في التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، ومسلم رقم (٢٨٢٩) في صفة الجنة، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

[٢] هو الإمام، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي، التيمي، ثم الطلحي الأصبهاني، الملقب: بقوام السنة، ولد سنة ٤٥٧هـ، وكان إماما في التفسير والحديث واللغة، ومن كتبه: الجامع في التفسير، و الترغيب والترهيب، و الحجة في بيان المحجة، وتوفي سنة ٥٣٥ هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٨٠/٢٠).

[٣] هو الشعبي عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني، من التابعين، مولده سنة ١٦هـ، وقيل ٢١هـ، وسمع من: عدة من كبراء الصحابة، وهو من رجال الحديث الثقات، وتوفي سنة ١٠٣هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٢٩٤/٤).

[٤] الحجة في بيان المحجة، (٣٦٠/١).

[٥] مجموع الفتاوى، (٥٥٩/١٢).

وقال –رحمه الله–: (واستفاضت الآثار عن النبي –صلى الله عليه وسلم– والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه ينادي بصوت: نادى موسى وينادي عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بالوحي بصوت ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف كما لم يقل أحد منهم إن الصوت الذي سمعه موسى قديم ولا إن ذلك النداء قديم ولا قال أحد منهم: إن هذه الأصوات المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به؛ بل الآثار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به وبين أصوات العباد. وكان أئمة السنة يعدون من أنكر تكلمه بصوت من الجهمية)[1].

[1] المصدر نفسه، (١٢/٣٠٥).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت صفة الكلام لله تعالى:

جاء في قصة الرجل الذي أمر أولاده بحرقه إذا مات (فلما مات فعل به ذلك، **فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟** قال: خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك فغفر له بذلك)[1].

وجه الدلالة:

في هذه القصة دلالة على تكليم الله تعالى للأرض وأمرها بأن تجمع ما تفرق فيها من جسد هذا الرجل، وتكليمه سبحانه لهذا الرجل، وسؤاله له عن سبب أمره لأولاده بحرقه والتخلص من بدنه إذا مات.

ونظير هذه القصة التي دلت على ثبوت الكلام لله كثير في القصص النبوي، فمن ذلك:

- حديث جندب بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : (كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينا فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، **قال الله تعالى:** بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة)[2].
- وجاء عن أبي هريرة –رضي الله عنه–: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (إن رجلا لم يعمل خيرا قط، كان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك، **قال الله له:** هل عملت خيرا قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى، قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا. **قال الله:** قد تجاوزت عنك)[3].
- عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: (كان في بني إسرائيل رجلان متواخيان، أحدهما مذنب، والآخر في العبادة مجتهد، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوما على

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٢).

[3] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

ذنب، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبا؟ فقال له: والله، لا يغفر الله لك - أو قال: لا يدخلك الجنة - فقبض الله أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، **فقال الرب تعالى للمجتهد**: أكنت على ما في يدي قادرا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة: تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه، وآخرته)[1].

- وعن جندب بن عبد الله -رضي الله عنه- (أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدث: أن رجلا قال: والله، لا يغفر الله لفلان، **وأن الله تعالى قال**: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت له، وأحبطت عملك)[2].

وجه الدلالة: جاء في هذه النصوص إسناد القول إلى الله تعالى، وهو قول حقيقة، يخاطب الله به من يشاء من عباده، والقول كلام كما هو معلوم، فدلت النصوص على ثبوت صفة الكلام لله تعالى.

كما دلت هذه النصوص على أن الله تعالى يتكلم متى شاء، ويكلم من يشاء من عباده، في أي وقت أراد، ففي القصة الأولى تكلم الله مع الأرض، وأمرها أن تجمع ما تفرق فيها من جسد الرجل، وتكلم مع الرجل لما بعثه، وسأله: ما حملك على هذا.

وفي القصة الثانية لما جزع ذلك الرجل الذي أصابه جرح فقتل نفسه؛ تكلم الله فقال: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة.

وفي القصة الثالثة: لما قبض الله ذلك الرجل الذي كان يداين الناس، ويتجاوز عنهم، كلمه الله، وقال له: هل عملت خيرا قط؟، فأخبره الرجل أنه كان يداين الناس فيتجاوز عن المعسر منهم، فكلمه الله فقال: قد تجاوزت عنك.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٤).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٥).

وفي القصة الرابعة: لما سمع الله كلام ذلك المتألي عليه، الذي أقسم أن الله لا يغفر لفلان، فتكلم الله تعالى فقال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت له، وأحبطت عملك.

فكلامه سبحانه لا انقطاع له ولا نهاية؛ بل هو متعلق بمشيئته متى شاء تكلم، ويكلم من يشاء من عباده.

(وهنا ينبغي أن يعلم أن الكلام صفة ذاتية فعلية ، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء)[1].

كما دلت هذه النصوص على أن كلام الله تعالى يكون بحرف وصوت، إذ أن الله تعالى كلم بعض عباده، وسألهم وأجابوه، والظاهر من السؤال أنه بالكلام وسماع صوت السائل، كما في القصة الأولى: قال الله للرجل الذي أمر أولاده بحرقه إذا مات: ما حملك على ما صنعت؟ فقال الرجل: خشيتك يا رب، وفي القصة الثالثة: قال الله للرجل الذي كان يتجاوز عن المعسر: هل عملت خيرا قط؟ فأجابه الرجل قائلا له: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى، قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا. قال الله: قد تجاوزت عنك.

فهذا الكلام الذي يقع بين الله وبعض عباده يدل على أن الله يتكلم بكلام يسمع منه تعالى، وأن له صوتاً، ولكن صوته لا يشبه أصوات خلقه.

ونقل ابن تيمية –رحمه الله– عن أبي نصر السجزي –رحمه الله– أنه قال: (وكلامه أحسن الكلام، وفيه سور، وآي، وكلمات، وكل ذلك حروف، وهو المسموع منه على الحقيقة سماعاً يعقله الخلق، وجائز وجود أعداد من المكلمين يكلمهم في حال واحدة، بما يريده من كل واحد منهم، من غير أن يشغله تكليم هذا عن تكليم هذا)[2].

---

[1] انظر مجموع الفتاوى، (٦/٢٩٢–٢٩٩)، وشرح الطحاوية، (ص٨٦)، والقواعد المثلى، (ص٢٥).

[2] درء تعارض العقل والنقل، (٢/٨٨–٨٩).

المبحث الخامس: ثبوت صفة الفرح لله تعالى:

(صفة الفرح من الصفات الفعلية الخبرية التي انفردت بها السنة دون الكتاب، وهي ثابتة بالسنة الصحيحة التي تلقاها أهل السنة بالقبول، وانعقد إجماعهم استنادا إليها على إثباتها، وهذه الصفة تدل بالتضمن على لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث يوفق من يشاء من عباده ليتوبوا فإذا تابوا تقبل توبتهم وفرح بها فرحا شديدا ولطيفا في وقت واحد، إذ يرد إليه عباده الشاردين من طاعته لئلا يضيعوا، وهو الذي لا تضره معصيتهم ولا تنفعه طاعتهم)[١].

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت صفة الفرح لله تعالى:

أثبت أهل السنة –رحمهم الله– صفة الفرح لله تعالى من قصة من القصص النبوي، فعن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، يقول: (لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده)[٢].

وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)[٣]

الشاهد: قوله –صلى الله عليه وسلم–: (لله أشد فرحا بتوبة عبده....).

[١] الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، محمد أمان الجامي، ص٢٩٧.

[٢] تقدم تخريجه، (ص٤١).

[٣] تقدم تخريجه، (ص٤٢).

وجه الدلالة:

في هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله -عز وجل-، (وهذا أعظم ما يكون من الفرح وأكمله، فإن صاحب هذه الراحلة كان عليها مادة حياته من الطعام والشراب، وهى مركبه الذى يقطع به مسافة سفره، فلو عدمه لانقطع فى طريقه فكيف إذا عدم مع مركبه طعامه وشرابه. ثم إنه عدمها فى أرض دوّية لا أنيس بها ولا معين ولا من يأوى له ويرحمه ويحمله ثم إنها مهلكة لا ماء بها ولا طعام، فلما أيس من الحياة بفقدها وجلس ينتظر الموت، إذا هو براحلته قد أشرفت عليه ودنت منه، فأي فرحة تعدل فرحة هذا؟ ولو كان فى الوجود فرح أعظم من هذا لمثل به النبى -صلى الله عليه وسلم-، ومع هذا ففرح الله بتوبة عبده إذ تاب إليه أعظم من فرح هذا براحلته)[1].

(وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عز وجل، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات: أنه صفة حقيقة لله عز وجل، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيحدث له هذا المعنى المعبر عنه بالفرح عندما يحدث عبده التوبة والإنابة إليه، وهو مستلزم لرضاه عن عبده التائب، وقبوله توبته.

وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب، وقد يكون فرح أشر وبطر؛ فالله عز وجل منزه عن ذلك كله، ففرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

وأما تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضا، وتفسير الرضا بإرادة الثواب؛ فكل ذلك نفي وتعطيل لفرحه ورضاه سبحانه، أوجبه سوء ظن هؤلاء المعطلة بربهم، حيث توهموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم)[2].

---

[1] طريق الهجرتين وباب السعادتين، (ص٢٣٤).

[2] شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس، (ص١٦٦-١٦٧).

المبحث السادس: ثبوت صفة المحبة لله تعالى:

أولا: ثبوت صفة المحبة لله تعالى:

محبة الله تعالى لعباده المؤمنين صفة ثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

فأما أدلة الكتاب فمنها:

-قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ البقرة: ١٩٥.

-وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١.

-وقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ المائدة: ٥٤ .

-وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ التوبة: ٤.

-وقوله تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ التوبة: ١٠٨.

وأما أدلة السنة فمنها:

-عن سهل بن سعد[١] -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال يوم خيبر: (لأعطين الراية[٢] غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله....)[٣]

-عن سعد بن أبي وقاص[١] -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:(إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي)[٢].

---

[١] هو سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي، مات النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، مات سنة ٧١هـ. (انظر الإصابة، ١٦٧/٣).

[٢] (الراية): أي: العَلَم. (النهاية: ٢٩١/٢).

[٣] رواه البخاري، رقم (٣٧٠١)، في فضائل أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب مناقب علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، ومسلم رقم (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

-عن عائشة – رضي الله عنها –: قالت: (قلت: يا رسول الله: إن وافقت ليلة القدر، ما أدعو به؟ قال: قولي: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني)[3].

وأما دليل الإجماع:

قال ابن تيمية –رحمه الله–: (وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام)[4].

(ومحبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله: صفة زائدة على رحمته، وإحسانه وعطائه. فإن ذلك أثر المحبة وموجبها. فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب.

والجهمية أولوا نصوص محبته لأوليائه وأهل طاعته بإحسانه إليهم. وإعطائهم الثواب. وربما أولوها بثنائه عليهم ومدحه لهم. ونحو ذلك. وربما أولوها بإرادته لذلك. فتارة يؤولونها بالمفعول المنفصل. وتارة يؤولونها بنفس الإرادة.

وأهل السنة يثبتون صفة الحب والمحبة لله –عز وجل–، ويقولون: هي صفة حقيقية لله عز وجل، على ما يليق به، وليس هي إرادة الثواب؛ أو الثواب نفسه كما يقول المؤولة. كما يثبت أهل السنة لازم المحبة وأثرها، وهو إرادة الثواب وإكرام من يحبه سبحانه)[5].

---

[1] هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ، أحد العشرة المبشرين وآخرهم موتا، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى، ومات سنة ٥٦هـ. (انظر الإصابة، ٦٢/٣).

[2] رواه مسلم، رقم (٢٩٦٥) في الزهد، باب الزهد والرقائق.

[3] رواه الترمذي، رقم (٣٥١٣) في الدعوات، باب رقم (٨٥) ، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٤٤٦/٣).

[4] مجموع الفتاوى، (٣٥٤/٢).

[5] انظر مدارج السالكين، (١٩/٣).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت صفة الحب والمحبة لله تعالى:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: (أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له، على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[1].

الشاهد: قول الملك للرجل: (أن الله قد أحبك كما أحببته فيه)

وجه الدلالة:

دل هذا الحديث على ثبوت صفة الحب والمحبة لله تعالى، وفيه فضل المحبة في الله تعالى، وأنها سبب لحب الله تعالى للعبد.

ويحسن بنا في هذا المقام ذكر الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى، والموصلة إليها، وهي:

(أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه. ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها. وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبه لا محالة. ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة. فإنها داعية إلى محبته.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤١).

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى. وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه. ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر. ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدا لحالك، ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المحبون إلى منازل المحبة. ودخلوا على الحبيب. وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة. وبالله التوفيق)[1].

---

[1] مدارج السالكين، (٣/١٨-١٩).

المبحث السابع: ثبوت صفتي الرضا والسخط لله تعالى.

أولا: ثبوت صفة الرضا لله تعالى:[1]

صفة الرضا من صفات الله عز وجل الفعلية الخبرية، وقد تضافرت الأدلة من القرآن والسنة على ثبوتها لله تعالى.

فمن أدلة الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾المائدة: ١١٩.

- وقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ الفتح: ١٨

ومن أدلة السنة:

- عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا)[2].

وذكر ابن القيم –رحمه الله-: (أن رضا الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها. لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه، قال الله تعالى: ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾التوبة: ٧٢ بعد قوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ

---

[1] انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي إسماعيل الصابوني، ص٥، والعقيدة للإمام أحمد برواية الخلال، ص١٠٩، والواسطية، ص٦٤، والتدمرية، ص٢٦، ومجموع الفتاوى، (٦/٦٨)، والصفات الإلهية، لمحمد أمان الجامي، ص٢٨٩.

[2] رواه البخاري، رقم (٦٥٤٩)، في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم رقم (٢٨٢٩)، في صفة الجنة، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

﴿ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ التوبة: ٧٢)[1]

– وعن عائشة –رضي الله عنها–: قالت: فقدت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: (اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)[2] .

(فالله سبحانه وتعالى موصوف بالرضى، وهو يرضى عن العمل، ويرضى عن العامل.

يعني: أن رضى الله متعلق بالعمل وبالعامل.

أما بالعمل، فمثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ ﴾الزمر: ٧ ، أي: يرضى الشكر لكم، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾المائدة: ٣.

وكما في الحديث الصحيح: (إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)[3].

فهذا الرضى متعلق بالعمل.

ويتعلق الرضى أيضا بالعامل، مثل قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾المائدة: ١١٩ .)[4]

فصفة الرضا ثابتة لله عز وجل، وهي ليست شيئا منفصلا عنه: كما يدعيه أهل التعطيل، فهم إذا مرت عليهم صفة الرضى أو المحبة أولوها بالثواب أو بإرادة الثواب، وهذا شأنهم في بقية صفات الأفعال)[5] .

---

[1] مدارج السالكين، (٢/٢٠٨).

[2] رواه مسلم، رقم(٤٨٦)، في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

[3] رواه مسلم، رقم(١٧١٥)، في الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة.

[4] انظر شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، (ص٢٥٩–٢٦٠).

[5] انظر الاستقامة، لابن تيمية، (١/٢١٥).

ثانيا: ثبوت صفة السخط لله تعالى:

صفة السخط ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ المائدة: ٨٠

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ محمد: ٢٨ .

ومن السنة:

حديث عائشة -رضي الله عنها-: وفيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (... وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه؛ كره لقاء الله وكره الله لقاءه)[١].

وصفة السخط صفة فعلية متعلقة بالمشيئة، قال الشيخ محمد خليل الهراس في شرحه للواسطية تعليقا على بعض الآيات التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية فيها بعض صفات الله عز وجل الفعلية: (تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل من الرضى لله، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت، والأسف.

وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله عز وجل، على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق.

---

[١] رواه البخاري، رقم (٦٥٠٧)، في الرقاق، باب من أحب لقاء الله، ومسلم، رقم (٢٦٨٤)، في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

فلا حجة للأشاعرة[1] والمعتزلة على نفيها، ولكنهم ظنوا أن اتصاف الله عز وجل بها يلزمه أن تكون هذه الصفات فيه على نحو ما هي في المخلوق، وهذا الظن الذي ظنوه في ربهم أرداهم فأوقعهم في حمأة النفي والتعطيل.

والأشاعرة يرجعون هذه الصفات كلها إلى الإرادة؛ فالرضا عندهم إرادة الثواب، والغضب والسخط.. إلخ إرادة العقاب.

وأما المعتزلة؛ فيرجعونها إلى نفس الثواب والعقاب)[2].

---

[1] (الأشاعرة): هم من ينتسب إلى أبي الحسن الأشعري، ومن أهم عقائدهم أنهم يثبتون لله سبع صفات، وينكرون بقية الصفات، ويقولون بالإرجاء في الإيمان، والجبر في القدر.(انظر مجموع الفتاوى، ١٢/٢٠٤، ١٣/١٣١).

[2] شرح الواسطية، بتصرف يسير، (ص١٠٨-١٠٩).

ثالثا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت صفتي الرضا والسخط لله تعالى.

قصة الأبرص والأقرع والأعمى، جاء في نهايتها أن الملك قال للرجل الأعمى: (أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك)[1].

وجه الدلالة:

في الحديث ثبوت صفتي الرضا والسخط لله تعالى، وأنهما صفتان فعليتان متعلقتان بالمشيئة، فإن الله يرضى أو يسخط عمن يشاء ومتى شاء؛ بحسب ما تقتضيه حكمته وعدله.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ معلقا على هذا الحديث: (وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر؛ فإن الأولين جحدا نعمة الله، فما أقرا لله بنعمة، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله، فحل عليهما السخط، وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق الله فيها، فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يجب)[2].

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[2] فتح المجيد، (ص٤٣٩-٤٤٠).

المبحث الثامن: ثبوت صفة المغفرة لله تعالى:

أولا: ثبوت صفة المغفرة لله تعالى:

المغفرة صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ طه: ٨٢

وقال تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ غافر: ٣

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ البقرة: ١٧٣

وقال تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ المائدة: ٤٠ ، فدلت هذه الآية على أن المغفرة صفة فعلية؛ لأنها متعلقة بالمشيئة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ فصلت: ٤٣

عن عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) ، فقيل: يا رسول الله، كراهية لقاء الله كراهية الموت، كلنا نكره الموت، قال: (ذاك عند موته، إذا بشر برحمة الله ومغفرته أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإذا بشر بعذاب الله كره لقاء الله وكره الله لقاءه)[١].

والمغفرة هي (ستر الذنوب بعفو الله وحلمه حتى لا يظهر لها أثر يتضرر به صاحبها)[٢]، قال ابن قتيبة –رحمه الله–: (ومن صفاته (الغفور) ، وهو من قولك: "غَفَرتُ الشيء": إذا غَطَّيتهَ. كما يقال: "كَفَرْتُه": إذا غطَّيْته. ويقال: كذا أَغْفَرُ من كذا؛ أي: أستَرُ...)[٣].

---

[١] رواه البخاري، رقم (٦٥٠٧)، في الرقاق، باب من أحب لقاء الله، ومسلم، رقم (٢٦٨٤) في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

[٢] أضواء البيان، للشنقيطي، (٣٦٥/٥).

[٣] غريب القرآن، (ص١٤).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت صفة المغفرة لله تعالى:

١- عن أبي هريرة -ضي الله عنه -: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه، حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، **فغفر له**، قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر) [١].

وفي رواية: (بينما كلب يطيف بركية، قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغية من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها، فاستقت له به، فسقته إياه، **فغفر لها به**)[٢].

٢- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره، فشكر الله له، **فغفر له**)[٣].

٣- قصة الرجل الذي كان يسرف على نفسه، وأمر أولاده بحرقه إذا مات، (...فلما مات فُعِل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك **فغفر له بذلك**)[٤].

٤- وعن جندب بن عبد الله -رضي الله عنه— (أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدث: أن رجلا قال: والله، لا يغفر الله لفلان، وأن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ **فإني قد غفرت له**، وأحبطت عملك)[٥]

وجه الدلالة:

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[٢] تقدم تخريجه، (ص٣١).

[٣] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[٤] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

[٥] تقدم تخريجه، (ص٣٥).

وهذه الأحاديث ظاهرة الدلالة في ثبوت صفة المغفرة لله تعالى، ففي هذه النصوص جاء التصريح بالفعل (غفر) الذي يدل دلالة صريحة على ثبوت صفة المغفرة لله تعالى.

المبحث التاسع: باب ثبوت صفة الرحمة لله تعالى:

أولا: ثبوت صفة الرحمة لله تعالى:

صفة الرحمة ثابتة لله بالكتاب والسنة وإجماع السلف، و (الرحمن) و (الرحيم) من أسمائه تعالى، وهما متضمنان لصفة الرحمة.

ومن أدلة الكتاب على ثبوت الرحمة لله ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ النمل: ٣٠ ، وقوله: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ غافر: ٧ ، ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ الكهف: ٥٨، وقوله: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الأعراف: ١٥٦ ، وقوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ الأنعام: ٥٤ ، وقوله: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ يوسف: ٦٤

وأما السنة:

فمن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لما خلق الله الخلق، كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي)[١] .

وعن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: قدم على النبي –صلى الله عليه وسلم– سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي –صلى الله عليه وسلم–: (أترون هذه طارحة ولدها في النار) قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: (لله أرحم بعباده من هذه بولدها)[٢].

---

[١] رواه البخاري، رقم (٧٤٠٤) في التوحيد، باب قول الله: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ ، ومسلم رقم (٢٧٥١) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه

[٢] رواه البخاري، رقم (٥٩٩٩) في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم رقم (٢٧٥٤) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

وأجمع سلف الأمة على ثبوت صفة الرحمة لله تعالى[1].

(وهذه الصفة من الصفات التي اختلف أهل العلم فيها هل هي من صفات الذات أو من صفات الأفعال، والذي يترجح عند بعض أهل العلم أنها من صفات الأفعال، لأنه سبحانه وتعالى يرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، وينتقم منه ولا يرحمه، فحيث تتعلق بها مشيئة الله وقدرته فهي من صفات الأفعال، ويمكن عدها من صفات الذات باعتبار أن الله لم يزل متصفا بالرحمة، فالرحمة العامة ملازمة لذاته تعالى وإن كان أفرادها تتجدد)[2]، فتكون الرحمة بهذا الاعتبار صفة ذاتية فعلية كصفة الكلام، ويشهد لهذا كلام ابن القيم –رحمه الله– عندما تحدث عن الفرق بين اسمي (الرحمن) (الرحيم)، فقال: (الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٣، ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ التوبة: ١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته)[3].

(والظاهر المفهوم من نصوص الكتاب والسنة أن اسمه الرحمن يدل على الصفة الذاتية من حيث اتصافه تعالى بالرحمة، واسمه الرحيم يدل على الصفة الفعلية من حيث إيصاله الرحمة إلى المرحوم فلهذا قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٣، ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ التوبة: ١١٧ ، ولم يأت قط إنه بهم رحمن، ووصف نبيه محمدا –صلى الله عليه وسلم– بأنه رءوف رحيم فقال تعالى: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة: ١٢٨، ولم يصف قط أحدا من خلقه أنه رحمن فتأمل ذلك والله أعلم)[4]

---

[1] انظر مجموع الفتاوى (٤٦٦/٨)، (٢٠٩/١٦، ٢٩٦).

[2] الصفات الإلهية، لمحمد أمان الجامي، ص(٢٨٥).

[3] بدائع الفوائد، (٢٤/١).

[4] معارج القبول، (٦٨/١).

(والرحمة المضافة إلى الله تعالى نوعان:

أحدهما: مضافة إليه إضافة صفة إلى الموصوف بها.

والثاني: مضافة إليه إضافة المخلوق إلى خالقه، والمفعول إلى فاعله.

فمن الأول قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾الأنعام: ٥٤ ، وفي الحديث : (سبقت رحمتي غضبي)[١]، فالمكتوب هنا هو رحمته التي وصف بها.

ومن الثاني: قوله في الحديث الصحيح: (احتجت الجنة والنار) فذكر الحديث وفيه (فقال: للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء)[٢] فالرحمة هنا ليست صفته، إنما هي أثر الصفة، فهذه رحمة مخلوقة مضافة إليه إضافة المخلوق بالرحمة إلى الخالق تعالى، وسماها رحمة لأنها خلقت بالرحمة وللرحمة، وخص بها أهل الرحمة، وإنما يدخلها الرحماء، ومنه قوله –صلى الله عليه وسلم–: (خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض)[٣] رواه مسلم والحاكم وروى البخاري نحوه ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ هود: ٩، ومنه تسميته تعالى للمطر رحمة بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾الأعراف: ٥٧)[٤]

---

[١] رواه البخاري، رقم (٧٤٠٤) في التوحيد، باب قول الله: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾آل عمران: ٢٨ ، ومسلم رقم (٢٧٥١) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

[٢] رواه مسلم رقم (٢٨٤٧) في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

[٣] رواه مسلم رقم (٢٧٥٣) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

[٤] انظر بدائع الفوائد ، (٢/١٨٣).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت صفة الرحمة لله تعالى:

-جاء في قصة المتألي على الله أن الله تعالى قال للمذنب: (اذهب فادخل الجنة برحمتي)[1].

ففيها ثبوت صفة الرحمة لله تعالى.

- وفي قصة الرهبانية عند النصارى: (فلما بُعِث النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يبق منهم إلا قليل، انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره، فآمنوا به وصدقوه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ الحديد: ٢٨: أجرين، بإيمانهم بعيسى عليه السلام، وبالتوارة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وتصديقهم)[2].

الشاهد قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾

ففيها دليل على ثبوت صفة الرحمة لله تعالى.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٤).

[2] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

المبحث العاشر: ثبوت صفة الشكر لله تعالى.

أولا: ثبوت صفة الشكر لله[1]:

الشكر صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة، ومن أسمائه تعالى (الشاكر) و (الشكور).

قال تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ البقرة: ١٥٨.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ التغابن: ١٧ .

وفي لسان العرب: (الشكور: من صفات الله جل اسمه، معناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، وشكره لعباده: مغفرته لهم. والشكور: من أبنية المبالغة. وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته. وقال الله تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ سبأ: ١٣)[2].

ولابن القيم –رحمه الله– كلام نفيس في صفة الشكر لله، قال –رحمه الله– : (وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور بل هو الشكور على الحقيقة، فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها الى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثنى عليه بين ملائكته وفى ملئه الأعلى ويلقى له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله فإذا ترك له شيئا أعطاه أفضل منه وإذا بذل له شيئا رده عليه أضعافا مضاعفة، وهو الذى وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك)[3].

[1] انظر صفات الله –عز وجل– الواردة في الكتاب والسنة، (ص٢١٥).

[2] لسان العرب، (٤/٤٢٤).

[3] عدة الصابرين، (ص٢٨٠–٢٨١).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت صفة الشكر لله تعالى:

جاءت القصص النبوي عن أخبار الأمم الماضية بالدلالة على صفة الشكر لله تعالى، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه، حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر) [1].

وفي رواية: (أن رجلا رأى كلبا يأكل الثرى من العطش، فأخذ الرجل خفه، فجعل يغرف له به حتى أرواه، فشكر الله له، فأدخله الجنة)[2].

وجه الدلالة:

فهذه القصة تدل على ثبوت صفة الشكر لله، كما تظهر لنا معنى شكر الله لعباده، فهو الشكور (الذي لا يضيع عنده عمل عامل، بل يضاعف الأجر بلا حسبان، الذي يقبل اليسير من العمل، ويثيب عليه الثواب الكثير والعطاء الجزيل)[3]، (ومن شكره أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلبا كان قد جهده العطش حتى أكل الثرى وغفر لآخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين)[4].فهذا الرجل وهذه المرأة عملهما صغير وقليل -وهو سقايتهما للكلب العطشان-، فكان الأجر والثواب أعظم -وهو مغفرة الله لهما، وامتنانه عليهما بسلعته الغالية، وهي جنته، ودار كرامته.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[3] فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر، (ص٢٤١).

[4] عدة الصابرين، (ص٢٨١).

المبحث الحادي عشر: ثبوت صفة الشفاء لله تعالى.

أولا: ثبوت صفة الشفاء لله تعالى.

(الشفاء) صفة لله تعالى تضمنها اسم الله الشافي، وصفة الشفاء ثابتة لله بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ الشعراء: ٨٠.

ومن السنة:

حديث عائشة -رضي الله عنها-: (أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يعوذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى، ويقول: اللهم رب الناس، أذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما)[١].

وفي رواية: (امسح الباس رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت)[٢]

حديث عائشة رضي الله عنها - في سحر النبي -صلى الله عليه وسلم- مرفوعا: (أما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا)[٣] .

---

[١] رواه البخاري، رقم (٥٧٤٣)، في الطب، باب ما جاء في رقية النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومسلم رقم (٢١٩١) في السلام، باب استحباب رقية المريض.

[٢] رواه البخاري، رقم (٥٧٤٤)، في الطب، باب ما جاء في رقية النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومسلم رقم (٢١٩١) في السلام، باب استحباب رقية المريض.

[٣] رواه البخاري، رقم (٥٧٦٥)، في الطب، باب هل يستخرج السحر، ومسلم رقم (٢١٨٩) في السلام، باب السحر.

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت صفة الشفاء لله تعالى.

جاء في قصة غلام الأخدود: (وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك -كان قد عمي - فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن به، فشفاه الله)[1].

وجه الدلالة:

في هذه الحديث ثبوت صفة الشفاء لله، وأن الشفاء من الله وحده، وأن الله يهيئ أسبابه لمن يشاء من عباده، وليس أن العباد بأيديهم الشفاء، إنما الشفاء بيد الله وحده.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٧).

المبحث الثاني عشر: ثبوت صفة القدرة لله تعالى.

أولا: ثبوت صفة القدرة لله تعالى[1].

صفة القدرة ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة، ومن أسمائه تعالى: (القدير) و (القادر) و (المقتدر) .

فمن الكتاب:

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ٢٨٤.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾الأنعام: ٦٥

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ الكهف: ٤٥

ومن السنة:

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي[2]، أنه شكا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجعا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل باسم الله ثلاثا، وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[3].

والله سبحانه (كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له "كن فيكون"، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد)[4].

---

[1] انظر صفات الله -عز وجل- الواردة في الكتاب والسنة، (ص٢٧٦).

[2] عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي، أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي -صلى الله عليه وسلم- على الطائف، وأقره أبو بكر ثم عمر، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين، ثم سكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية، سنة ٥٠هـ. (انظر الإصابة، ٣٧٣/٤).

[3] رواه مسلم رقم (٢٢٠٢) في السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم.

[4] تفسير السعدي، (ص٩٤٧).

(فيجب الإيمان بأنه سبحانه على كل شيء قدير، والإيمان بكمال قدرته، والإيمان بأن قدرته نشأت عنها جميع الكائنات)[1].

---

[1] شرح الواسطية، لمحمد خليل هراس، (ص١٥٩).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت صفة القدرة لله تعالى:

جاء في قصة الرجل الذي أمر أولاده بحرقه إذا مات أنه قال لأولاده: (إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله، لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات فُعِل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم)[1].

وجه الدلالة:

في الحديث دلالة على ثبوت القدرة لله، والتي منها قدرته تعالى على البعث والإحياء، فقد أمر الله الأرض والبحر بجمع ما تفرق من ذرات رماده، فعاد الرجل كما كان، وكذلك يحيي الله الخلائق يوم القيامة بعد أن بليت عظامهم، وتقطعت أوصالهم.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

المبحث الثالث عشر: ثبوت اسم الشهيد لله تعالى:

أولا: ثبوت اسم الشهيد لله تعالى[1]:

الشهيد اسم من أسماء الله تعالى، وهو ثابت بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ النساء: ٧٩.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ الأنعام: ١٩.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الحج: ١٧.

قال ابن الأثير—رحمه الله-: ((الشهيد) : هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهد وشهيد، كعالم وعليم، أي أنه حاضر يشاهد الأشياء ويراها)[2].

قال ابن سعدي —رحمه الله-: ((الشهيد) أي: المطلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه)[3].

---

[1] انظر صفات الله —عز وجل- الواردة في الكتاب والسنة، (ص٢١٦).

[2] جامع الأصول، (١٧٣/٤).

[3] تفسير السعدي، (ص٩٤٨).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت اسم الشهيد لله تعالى:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ذكر رجلا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبه يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبا، فاتخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا، فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا، فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بك)[1]

والشاهد من هذا الحديث قوله: (كفى بالله شهيدا)، ففيه ثبوت اسم الشهيد لله تعالى.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣١).

المبحث الرابع عشر: ثبوت اسم الكفيل لله تعالى:

أولا: ثبوت اسم الكفيل لله تعالى:

اسم الله الكفيل ثابت بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ النحل: ٩١.

لم يرد اسم الله الكفيل في القرآن بهذا اللفظ إلا في هذا الموضع.

قال الطبري –رحمه الله–: (وقوله ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ يقول: وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيا يرعى الموفى منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض.)[١]

وقال القرطبي –رحمه الله–: (قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ يعني شهيدا. ويقال: حافظا، ويقال: ضامنا.)[٢]

وقال الشوكاني –رحمه الله–: (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا أي: شهيدا، وقيل: حافظا، وقيل: ضامنا، وقيل: رقيبا لأن الكفيل يراعي حال المكفول به)[٣]

و"الكفيل" معناه: (القائم بأمور الخلائق المتكفل بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم، فهو الكفيل بهم رعاية وكفاية)[٤].

---

[١] تفسير الطبري، (١٧/٢٨١).

[٢] تفسير القرطبي، (١٠/١٧٠).

[٣] فتح القدير، (٣/٢٢٧-٢٢٨).

[٤] انظر معارج القبول، (١/٥١)، وفقه الأسماء الحسنى، د/ عبد الرزاق البدر، (ص٢٧٧).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت اسم الكفيل لله تعالى:

دلت قصة الرجل الذي تسلف من صاحبه ألف دينار دليلا على ثبوت اسم الكفيل لله، ، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ذكر رجلا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبه يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبا، فاتخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا، فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا، فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بك)[1].

والشاهد من هذا الحديث قوله: (كفى بالله كفيلا)، ففيه ثبوت اسم الكفيل لله تعالى.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣١).

المبحث الخامس عشر: بيان أن صفتي الكبرياء والعظمة من الصفات التي تفرد الله بها لنفسه، ومن نازعه فيها استحق من الله العقوبة.

أولا: بيان أن صفتي الكبرياء والعظمة من الصفات التي اختص الله بها نفسه، ولا يجوز للمخلوق الاتصاف بها:

صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها، وهو سبحانه لا يشبه أحدا من خلقه في صفاته، ولا يشبهه أحد من خلقه، وقد جاء في القرآن وصف المخلوق ببعض الصفات التي اتصف بها الخالق، كصفات السمع والبصر والقدرة والحياة، قال تعالى عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ النساء: ٥٨.

،وقال عن الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ الإنسان: ٢، كما أثبت الله لنفسه علما، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ البقرة: ١١٥، وأثبت للمخلوق علما، فقال: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ الممتحنة: ١٠، وهذا ليس معناه أن المخلوق يشبه الخالق في صفات السمع والبصر والعلم والقدرة، بل المعنى هو الاشتراك في المعنى العام للصفة، وأما من جهة حقيقة الصفة، فصفات الله لا تماثل صفات المخلوقين، قال ابن تيمية –رحمه الله– :(ولهذا سمى الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص، لا اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص)[1].

---

[1] التدمرية، (ص٢١).

إلا أن من أسماء الله وصفاته ما لا يجوز للمخلوق أن يتسمى بها، أو أن يتصف بها، فهي مما اختص الله تعالى بها نفسه[1].

فمن الأسماء التي اختص الله بها نفسه: الله والرحمن ورب العالمين والخالق والرازق والجبار والمتكبر، فهذه أسماء لا يجوز للمخلوق أن يتسمى بها.

(والتسمي بأسماء الله -عز وجل- يكون على وجهين:

الوجه الأول: وهو على قسمين:

القسم الأول: أن يحلى بـ "ال" ففي هذه الحال لا يسمى به غير الله -عز وجل-، كما لو سميت أحدا بالعزيز، والسيد، والحكيم، وما أشبه ذلك، فإن هذا لا يسمى به غير الله؛ لأن "ال" هذه تدل على لمح الأصل، وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم.

القسم الثاني: إذا قصد بالاسم معنى الصفة وليس محلى بـ "ال" فإنه لا يسمى به، ولهذا (غير النبي -صلى الله عليه وسلم- كنية أبي الحكم[2] التي تكنى بها؛ لأن أصحابه يتحاكمون إليه، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: (إن الله هو الحكم، وإليه الحكم) ثم كناه بأكبر أولاده شريح[3]، فدل ذلك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء الله ملاحظا بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم، فإنه يمنع؛ لأن هذه التسمية تكون مطابقة تماما لأسماء الله سبحانه وتعالى، فإن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف لدلالتها على المعنى الذي تضمنه الاسم.

---

[1] انظر تيسير العزيز الحميد، (ص٥٣٤).

[2] هو الصحابي الجليل أبو شريح هانئ بن يزيد الحارثي، كان يكنى أبا الحكم، فلما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طائفة من قومه فسمعهم يكنونه أبا الحكم، كناه بأكبر أبنائه شريح. (انظر الاستيعاب، ١٦٨٨/٤).

[3] رواه أبو داود، رقم (٤٩٥٥)، في الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، والنسائي، رقم (٥٣٨٧)، في آداب القضاة، باب إذا حكموا رجلا فقضى بينهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٣٧٧/١)، رقم (١٨٤٥).

الوجه الثاني: أن يتسمى بالاسم غير محلى بـ "ال"، وليس المقصود به معنى الصفة فهذا لا بأس به مثل حكيم، ومن أسماء بعض الصحابة حكيم بن حزام[1] الذي قال له النبي –عليه الصلاة والسلام–: (لا تبع ما ليس عندك)[2] ، وهذا دليل على أنه إذا لم يقصد بالاسم معنى الصفة، فإنه لا بأس به.

لكن في مثل (جبار) لا ينبغي أن يتسمى به، وإن كان لم يلاحظ الصفة، وذلك لأنه قد يؤثر في نفس المسمى، فيكون معه جبروت، وغلو واستكبار على الخلق، فمثل هذه الأشياء التي قد تؤثر على صاحبها، ينبغي للإنسان أن يتجنبها)[3].

ومن الصفات الخاصة بالله تعالى ولا يجوز الاتصاف بها صفتي الكبرياء والعظمة، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه–، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما يحكي عن ربه –عز وجل– قال: (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري[4]، من نازعني واحدا منهما، قذفته في النار)[5].

قال الإمام الخطابي –رحمه الله–: (معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه، اختص بهما؛ لا يشركه أحد فيهما، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع

---

[1] هو الصحابي الجليل حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي، ابن أخي خديجة بنت خويلد، مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة، وتأخر إسلامه إلى عام الفتح، عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة، وتوفي سنة ٥٤هـ. (انظر الاستيعاب، ١/٣٦٢).

[2] رواه أبو داود، رقم (٣٥٠٣)، في الإجارة، باب في الرجل يبيع ما ليس عنده، والترمذي، رقم (١٢٣٢)، في أبواب البيوع، باب ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١٢٠٩/٢)، رقم (٧٢٠٦).

[3] مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، (٩٥/٣).

[4] ضرب الإزار والرداء مثلا في انفراده بصفة العظمة والكبرياء، أي ليستا كسائر الصفات التي قد يتصف بها الخلق مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما، وشبههما بالإزار والرداء لأن المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان؛ ولأنه لا يشاركه في إزاره وردائه أحد، فكذلك الله تعالى لا ينبغي أن يشركه فيهما أحد. (النهاية، ٤٤/١).

[5] رواه مسلم، رقم (٢٦٢٠)، في البر والصلة، باب تحريم الكبر، وأحمد في مسنده واللفظ له، (٢١١/١٥)، رقم (٩٣٥٩).

والتذلل، وضُرِب الرداء والإزار مثلا في ذلك؛ يقول -والله أعلم- كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحد، فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق -والله أعلم-)[1].

[1] معالم السنن، (٤/١٩٦).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن صفة الكبرياء من الصفات الخاصة لله التي لا يجوز للمخلوق أن يتصف بها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن رجلا ممن كان قبلكم يتبختر في حلة، تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)[1].

وجه الدلالة:

جعل الله ذلك الرجل جزاء لكبره يغوص في الأرض ويضطرب فيها إلى يوم القيامة، وفي هذا دليل على عدم جواز الاتصاف بصفة الكبر، وأن الكبر من الصفات التي اختص الله بها نفسه، ومن نازعه فيها استحق من الله العقوبة.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٩).

الباب الثاني: المسائل العقدية المتعلقة ببقية أركان الإيمان

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل.

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر.

الفصل الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالقدر .

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالملائكة.

المبحث الثاني: الإيمان بوجود الملائكة.

المبحث الثالث: الإيمان بجبريل -عليه السلام-، وبيان أن مهمته ليست قاصرة على الوحي.

المبحث الرابع: الإيمان بالملك الموكل بالموت.

المبحث الخامس: الإيمان بملائكة الرحمة، وملائكة العذاب.

المبحث السادس: الإيمان بالملك الموكل بالسحاب.

المبحث السابع: بيان أنه من أعمال الملائكة أنهم سفراء الله إلى خلقه.

المبحث الثامن: بيان أنه ليس كل من جاءه ملك فهو رسول أو نبي.

المبحث التاسع: بيان أن من أعمال الملائكة ابتلاء بني آدم واختبارهم.

المبحث العاشر: بيان قدرة الملائكة على التشكل في صورة البشر.

المبحث الأول: التعريف بالملائكة.

أولا: الملائكة "لغة":

(الملائكة: جمع ملأك، في الأصل، ثم حذفت همزته، لكثرة الاستعمال، فقيل: ملك. وقد تحذف الهاء فيقال: ملائك)[1].

و((مَلَك) الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة)[2].

فيكون معنى "ملك": الأخذ بقوة، فسميت الملائكة ملائكة لقوتها.

وقيل: أصله: مألك، بتقديم الهمزة، من الألوك: الرسالة، ثم قدمت الهمزة وجمع)[3].

وعليه فسميت الملائكة ملائكة لأنهم رسل من عند الله.

قال ابن القيم –رحمه الله–: (سموا ملائكة من الألوكة وهي الرسالة، فهم رسل الله في تنفيذ أوامره)[4].

وقال ابن حجر –رحمه الله–: (ملك بفتح اللام، فقيل مخفف من مالك، وقيل مشتق من الألوكة وهي الرسالة، وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله لاك، وقيل أصله الملك بفتح ثم سكون وهو الأخذ بقوة)[5].

فاشتقاق الملائكة إما أن يكون من "ملك"، أو من "ألك"، فالأول يدل على القوة، والثاني يدل على الرسالة، وكلا المعنيين –سواء كان الأخذ بالقوة أو الرسالة– ثابت للملائكة، وقد دل عليهما الشرع.

فالله تعالى وصفهم بالرسالة في قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴾ الحج: ٧٥.

---

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤/٣٥٩).

[2] مقاييس اللغة، (٥/٣٥٢).

[3] النهاية في غريب الحديث والأثر، (٤/٣٥٩).

[4] روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (ص٥٨).

[5] فتح الباري، (٦/٣٠٦).

وفي قوله: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ فاطر: ١.

ووصفهم بالقوة في قوله تعالى: ﴿ مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ التحريم: ٦ .

وقـــال عـــن جبريـــل: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ التكـــوير: ٢٠

ثانيا: الملائكة اصطلاحا:

لما كانت حقيقة الملائكة أمرا غيبيا لا يدرك بالعقول، وجب الاقتصار في وصفها والحديث عنها على الكتاب والسنة.

(ولم ينقل عن السلف وأهل السنة وضع تعريف اصطلحوا عليه للملائكة، بل أمروه على ما جرت عادتهم به في الألفاظ الشرعية أن يطلقوها على ما أطلقها عليه الشرع من تكلف وضع ألفاظ تفسيرية يجعلونها تعريفا مصطلحا عليه، ولكن نشأ عند المتكلمين إيراد وضع يُتخذ تعريفا للملائكة ودونوه في كتبهم، واشتهر من جهتهم في المتأخرين؛ فاصطلحوا على تعريف الملائكة بأنهم: أجسام لطيفة نورانية لها القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السموات)[1]

وإطلاق لفظ الجسم على الملائكة لم يرد في الكتاب والسنة، وإن كان قد قال به بعض أهل السنة[2]، إلا أن الأولى الاقتصار على ماجاء به الشرع، لاسيما وأن تسمية الملائكة بالأجسام من وضع المتكلمين، ومعلوم أنهم غير مأمونين على الشرع ولا على اللغة، إلى جانب أنهم اختلفوا في معنى الجسم اختلافا كبيرا[3]، وقد نفوا عن الله تعالى صفاته التي اتصف بها بحجة نفي الجسمية عنه، والقول في الملائكة بأنهم أعيان قائمة بذاتها أولى والله أعلم.

ومما جاء في الشرع من وصفهم أنهم (عباد الله المكرمون، والسفرة بينه تعالى وبين رسله –عليهم الصلاة والسلام–، الكرام خَلْقا وخُلُقا، والكرام على الله تعالى، البررة الطاهرين ذاتا وصفة وأفعالا، المطيعين لله عز وجل، وهم عباد من عباد الله عز وجل، خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، ليسوا بناتا لله عز وجل ولا أولادا ولا شركاء معه ولا أندادا، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوا كبيرا)[4].

---

[1] محاضرات في الإيمان بالملائكة، د/ محمد بن عبد الرحمن الجهني، (ص٨-٩).

[2] انظر شرح الأربعين النووية، للعثيمين، (ص٦١-٦٢).

[3] انظر مقالات الإسلاميين، (٢/٢٣٥).

[4] معارج القبول، (٢/٦٥٦).

المبحث الثاني: الإيمان بوجود الملائكة.

الإيمان بالملائكة هو الأصل الثاني من أصول الإيمان، ولا يصح إيمان العبد إلا به، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾البقرة: ٢٨٥ .

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ البقرة: ١٧٧.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ النساء: ١٣٦

وقد جاء في حديث جبريل الطويل: قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[١].

والإيمان بالملائكة (هو الإقرار الجازم بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله مربوبون مسخرون و ﴿ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٧ ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦ ، ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأنبياء: ١٩ - ٢٠ ولا يسأمون ولا يستحسرون)[٢].

وهذا هو الإيمان المجمل بالملائكة، الذي لا يصح إيمان العبد إلا به.

(والإيمان بالملائكة ينتظم معاني أحدها: التصديق بوجودهم. والآخر: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله، وخلقه كالإنس والجن، مأمورون مكلفون، لا يقدرون إلا على ما قدرهم الله تعالى عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدا بعيدا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا

---

[١] رواه مسلم، رقم (٨)، في الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة.

[٢] أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، (ص٤١-٤٢).

يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جده، ولا يدعون آلهة كما ادعتهم الأوائل. والثالث الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض،)[1]، ويتبع ذلك الإيمان المفصل بالملائكة بأن منهم (الموكل بأداء الوحي إلى الرسل وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، ومنهم الموكل بالقطر وهو ميكائيل عليه السلام، ومنهم الموكل بالصور وهو إسرافيل عليه السلام، ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، ومنهم الموكل بأعمال العباد وهم الكرام الكاتبون، ومنهم الموكل بحفظ العبد من بين يديه ومن خلفه وهم المعقبات، ومنهم الموكل بالجنة ونعيمها وهم رضوان ومن معه، ومنهم الموكل بالنار وعذابها وهم مالك ومن معه من الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومنهم الموكل بفتنة القبر وهم منكر ونكير، ومنهم حملة العرش، ومنهم الكروبيون، ومنهم الموكل بالنطف في الأرحام من تخليقها وكتابة ما يراد بها، ومنهم الملائكة يدخلون البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم، ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، ومنهم صفوف قيام لا يفترون، منهم ركع سجد لا يرفعون، ومنهم غير من ذكر ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ المدثر: ٣١ ، ونصوص هذه الأقسام من الكتاب والسنة لا تخفى)[2].

وقد دلت نصوص من القصص النبوي عن الأمم الماضية على الإيمان بوجود الملائكة، وهي النصوص التي سيأتي ذكرها –إن شاء الله– في بقية المباحث المتعلقة بهذا الفصل.

---

[1] شعب الإيمان، للبيهقي، (١/٢٩٦).

[2] أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، (ص٤٢).

المبحث الثالث: الإيمان بجبريل –عليه السلام–، وبيان أن مهمته ليست قاصرة على الوحي:

أولا: بيان أن جبريل –عليه السلام– هو الملك الموكل بالوحي.

جبريل –عليه السلام– ملك من الملائكة المقربين، وأحد رؤساء الملائكة الثلاثة الذين كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يذكرهم في دعائه الذي يفتتح به صلاته إذا قام من الليل، فيقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ..)[1]

(فجبريل، وميكائيل، وإسرافيل موكلون بما فيه الحياة ؛ والبعث من النوم حياة؛ ولهذا ناسب أن يكون هذا الاستفتاح في أول عمل يعمله الإنسان بعد أن توفاه الله –عز وجل– بالنوم؛ فجبريل صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل صاحب القطر الذي به حياة الأرض والحيوان والنبات، وإسرافيل صاحب الصور الذي إذا نفخ فيه أحيت نفخته بإذن الله الأموات وأخرجتهم من قبورهم، وأفضلهم جبريل، لأنه مختص بحياة القلوب والأرواح، وحياة القلوب والأرواح مقدمة على حياة الأبدان، ولهذا امتدحه الله –عزّ وجل– بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾﴾ التكوير: ١٩ - ٢٠ ، وبقوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾﴾ مريم: ١٧ ؛ فجبريل أفضل الملائكة على الإطلاق.)[2]

ومن أسمائه التي وردت بها النصوص: الروح، وروح القدس، والروح الأمين.

قال تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾﴾ مريم: ١٧.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ الشعراء: ١٩٢ – ١٩٣.

---

[1] رواه مسلم رقم (٧٧٠) في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

[2] انظر زاد المعاد، لابن القيم، (٤٤/١)، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، (ص١٨٠)، وتفسير ابن عثيمين لسورة البقرة، (٢٠٣/٢).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ النحل: ١٠٢.

وتسميته بالروح (لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر –صلوات الله عليهم أجمعين–) [١].

فجبريل –عليه السلام– هو الملك الموكل بنزول الوحي علي أنبياء الله ورسله –عليهم السلام–، بل قامت الأدلة على أنه الموكل بتبليغ الوحي للملائكة، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض) [٢].

وعن ابن مسعود –رضي الله عنه –: قال: قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا [٣]، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم) قال: (فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق، الحق) [٤].

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية، (ص٢٩٥).

[٢] رواه البخاري، رقم (٧٤٨٥) في التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، ومسلم، رقم (٢٦٣٧)، في البر والصلة، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده.

[٣](صلصلة كجر السلسلة على الصفا): أي صوت كصوت انجرار السلسلة واطرادها على الصخر. (انظر النهاية:٤/٣١٧).

[٤] رواه أبو داود، رقم (٤٧٣٨)، في السنة، باب في القرآن، وصححه الألباني في صحيح الجامع،(١/١٣٨)، رقم (٤٣٦).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن مهمة جبريل –عليه السلام– ليست قاصرة على تبليغ الوحي.

إن مهمة جبريل –عليه السلام– الرئيسية هي تبليغ الوحي كما سبق، إلا أنه قد جاءت نصوص من الكتاب والسنة تثبت أن له وظائف أخرى غير تبليغ الوحي، فمن ذلك:

أنه أُرْسِل إلى مريم، فقام بالنفخ في جيب درعها؛ لخلق عيسى –عليه السلام–[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ مريم: ١٧.

وقوله: ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنبياء: ٩١

وكان يأتي للرسول –صلى الله عليه وسلم– في كل عام في رمضان في كل ليلة من لياليه، فيدارسه القرآن، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: (كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله –صلى الله عليه وسلم– أجود بالخير من الريح المرسلة)[2].

ومن ذلك رقيته للنبي –صلى الله عليه وسلم–، فعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– (أن جبريل –عليه السلام– أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا محمد، اشتكيت؟ قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: نعم، فقال جبريل: باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل نفس وعين، باسم الله أرقيك، والله يشفيك)[3] .

---

[1] انظر تفسير الطبري، (١٨/٥٢٢،١٦٣).

[2] رواه البخاري، رقم (٦)، في بدء الوحي، ومسلم رقم (٢٣٠٨) في الفضائل، باب كان النبي –صلى الله عليه وسلم– أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.

[3] رواه مسلم رقم (٢١٨٦) في السلام، باب الطب والمرض والرقى.

ومن ذلك مشاركته في القتال في الغزوات مع النبي —صلى الله عليه وسلم-؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال يوم بدر: (هذا جبريل، آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب)[1].

وعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: (رأيت على يمين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعلى شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد -يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام-)[3][2].

وقد دلت القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن جبريل —عليه السلام- له مهام أخرى إلى جانب مهمة تبليغ الوحي، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما -: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لما أغرق الله فرعون، قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ يونس: ٩٠) قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه، مخافة أن تدركه الرحمة)[4].

الشاهد: (فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه، مخافة أن تدركه الرحمة).

وجه الدلالة:

فهذا الحديث فيه أن جبريل كان يدس الطين في فم فرعون، وفعله هذا لا يكون إلا عن أمر من الله تعالى، فدل على أن جبريل —عليه السلام- قد يكلف بمهام غير تبليغ الوحي.

---

[1] رواه البخاري، رقم (٣٩٩٥)، في المغازي، باب شهود الملائكة بدرا.

[2] رواه البخاري، رقم (٤٠٥٤)، في المغازي، باب ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾، ومسلم رقم (٢٣٠٦) في الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم أحد.

[3] انظر عالم الملائكة الأبرار، لعمر الأشقر، (ص٤٣).

[4] تقدم تخريجه، (ص٣٨).

المبحث الرابع: الإيمان بالملك الموكل بالموت:

أولا: بيان أن ملك الموت هو الملك الموكل بقبض الأرواح:

من عقيدة أهل السنة أنهم يؤمنون بملك الموت، وهو الملك الموكل بقبض أرواح العالمين[1]، لثبوت ذلك في الكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ السجدة: ١١.

ومن السنة:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة[2] هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: ذريتك، فرأي رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، قال: أي رب، من هذا؟ قال: داود. فقال: يا رب، كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: رب زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم إلا أربعين، جاءه ملك الموت، فقال آدم: أو لم يبق من عمري أربعين سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونسي آدم، فأكل من الشجرة فنسيت ذريته، وخطئ فخطئت ذريته)[3] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: (أُرْسِل ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد

---

[1] انظر شرح الطحاوية ،(ص٣٨٤).

[2] النسمة: النفس والروح. (انظر النهاية، ٤٩/٥).

[3] رواه الترمذي، رقم (٣٠٧٦) في التفسير، باب ومن سورة الأعراف، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٢٣٩/٣).

الموت، فرد الله إليه عينه، فقال: ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن)[1].

---

[1] رواه البخاري، رقم(١٣٣٩)، في الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة، ومسلم، رقم (٢٣٧٢) في الفضائل، باب من فضائل موسى -صلى الله عليه وسلم-.

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على الملك الموكل بالموت:

جاء في قصة الرجل الذي كان يداين الناس ويتجاوز عن المعسر أن حذيفة[1] -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن رجلا كان فيمن كان قبلكم، أتاه الملك ليقبض روحه)[2].

وجه الدلالة:

في هذا الحديث ثبوت الملك الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت.

---

[1] هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان العبسي، أسلم حذيفة وأبوه، وأرادا شهود بدر فصدهما المشركون، وشهدا أحدا، فاستشهد اليمان بها، وشهد حذيفة الخندق وما بعدها، استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات سنة ٣٦هـ. (انظر الإصابة، ٢/٣٩).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٤).

المبحث الخامس: الإيمان بملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

أولا: بيان أن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب هم أعوان ملك الموت في قبض الأرواح:

من عقيدة أهل السنة أنهم يؤمنون بملك الموت وبأعوان ملك الموت في قبض الأرواح، وأعوانه هم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فالمؤمن تنزل إليه ملائكة الرحمة حال موته تبشره وتطمئنه[1]، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت: ٣٠

والعبد الفاجر والكافر تتنزل عليه ملائكة العذاب، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنعام: ٩٣، يخاطبون أرواح الكفار عند إخراجها بهذا.

[1] انظر تفسير الطبري، (٢١/٤٦٦).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ملائكة الرحمة وملائكة العذاب:

- جاء في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا أنه لما تاب وكان في طريقه إلى الأرض الصالح أهلها التي دله عليها العالم ليعبد الله فيها (حتى إذا نصف الطريق، أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا، مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة)[1]

- وجاء قصة الرجل الذين كان يداين الناس فيتجاوز عن قوله -صلى الله عليه وسلم-: (تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، قالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال: كنت آمر فتياني أن ينظروا ويتجاوزوا عن الموسر، قال: قال: فتجاوزوا عنه)[2].

وجه الدلالة:

في هاتين القصتين دلالة على ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وإضافة قبض الروح إليهم على اعتبار أنهم يأخذونها من ملك الموت بعد أن يقبضها ويتولونها بعده.

وقد جاءت النصوص بإضافة التوفي تارة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾الزمر: ٤٢، وإضافته إلى ملك الموت تارة، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ السجدة: ١١،

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٤).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

وتارة بإضافته إلى الملائكة، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الأنعام: ٦١، وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ محمد: ٢٧

(ولا تعارض بين الآيات، والإضافة في هذه الآيات إلى كل بحسبه؛ فالله هو الذي قضى بالموت وقدره؛ فهو بقضائه وقدره وأمره، فأضيف إليه التوفي لأجل ذلك، وملك الموت يتولى قبضها واستخراجها من البدن، ثم تأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ويتولونها بعده؛ فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه)[1].

وقد دل حديث البراء بن عازب الطويل أن ملك الموت هو الذي يتولى قبض الأرواح، فإذا قبضها أخذتها منه الملائكة ولم يدعوها في يديه طرفة عين، وأن العبد المؤمن تنزل له ملائكة الرحمة حال موته، وأما العبد الفاجر فتتنزل له ملائكة العذاب.

فعن البراء بن عازب –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط[2] من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت –عليه السلام–، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فذلك قوله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الأنعام: ٦١، إلى أن قال: (وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود

---

[1] انظر شرح الطحاوية ،(ص٣٨٤)، و تفسير القرطبي، (٧/٧).

[2] (الحنوط): هو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة. (النهاية، ١/٤٥٠).

الوجوه، معهم المسوح[1]، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ". قال: " فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود[2] من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض)[3].

[1] (المسوح): كساء خشن. (انظر التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري، ص١٥٢).

[2] (السفود) عود من حديد ينظم فيه اللحم ليشوى. (المعجم الوسيط، ص٤٣٢).

[3] رواه أحمد في مسنده، (٣٠/٤٩٩)، رقم (١٨٥٣٤)، وأبو داود، رقم (٤٧٥٣)، في السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، (ص١٥٩).

المبحث السادس: الإيمان بالملك الموكل بالسحاب.

أولا: بيان أن الرعد ملك من أعوان ميكائيل وهو موكل بالسحاب:

(ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب، كما يشاء الرب جل جلاله)[١].

فمن أعوانه من الملائكة من هو موكل بالسحاب، قال تعالى: ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴿٢﴾ ﴾ الصافات: ٢، (أي الملائكة التي تزجر السحاب يسوقونه إلي حيث شاء الله ، والزجر يعني السوق)[٢].

وعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: قال: أقبلت يهود إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: (ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق[٣] من نار يسوقها بها حيث شاء الله) قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: (زجره للسحاب حتى تنتهي حيث أمرت) قالوا: صدقت)[٤].

---

[١] البداية والنهاية، (١/١٠٥).

[٢] انظر تفسير الطبري، (٢١/٥٥٧)، وتفسير ابن كثير، (٧/٥).

[٣] (مخاريق): جمع مخراق، وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا، أراد أنه آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه. (النهاية: ٢/٢٦).

[٤] رواه الترمذي، رقم (٣١١٧)، في التفسير، باب ومن سورة الرعد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (١/٦٦٥)، رقم (٣٥٥٣).

ثانيا: دلالة القصص النبوي على الملك الموكل بالسحاب:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (بينا رجل في فلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته، فقال له : يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان - للاسم الذي سمع في السحابة - فقال له: يا عبد الله لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان - لاسمك - فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثا، وأرد فيها ثلثه)[١].

وجه الدلالة:

ففي هذا الحديث دلالة على الملك الموكل بالسحاب، وأنه قد يؤمر بأن يسقي زرع رجل واحد دون من سواه.

[١] تقدم تخريجه، (ص٣٨).

المبحث السابع: بيان أن من أعمال الملائكة أنهم سفراء الله إلى خلقه.

أولا: بيان ما ورد من وصف الملائكة أنهم سفرة:

قال تعالى عن الملائكة: ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ عبس: ١٥.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة)[1]

فجاءت النصوص بوصف الملائكة بأنهم سفرة، ومن معاني السفرة أنهم الوسطاء بين الله وخلقه[2]، فجبريل -عليه السلام- واسطة بين الله وبين الخلق في النزول بالوحي، (والكتبة من الملائكة الذين يكتبون ما يعمل الإنسان ويبلغونه إلى الله -عز وجل-)[3] هم وسطاء بين الله وبين خلقه).

---

[1] رواه البخاري، رقم (٤٩٣٧)، في تفسير سورة عبس، ومسلم رقم (٧٩٨) في صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه.

[2] انظر تفسير الطبري، (٢٢١/٢٤).

[3] تفسير جزء عم، لابن عثيمين، (ص٦٢).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن من أعمال الملائكة أنهم سفراء الله إلى خلقه:

جاءت القصص النبوي تدل على أن الملائكة سفراء الله إلى خلقه، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[١].

وجه الدلالة:

أن الملَك هنا في هذا الحديث كان واسطة وسفيرا مرسلا لإبلاغ هذا القول، يحمل معه البشارة لهذا الرجل بمحبة الله له.

[١] تقدم تخريجه، (ص٤١).

المبحث الثامن: بيان أنه ليس كل من جاءه ملك فهو رسول أو نبي.

أولا: ليس كل من جاءه ملك فهو رسول أو نبي:

ليس كل من جاءه ملك يعد رسولاً أو نبياً، فالله قد أرسل جبريل إلى مريم، قال تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ ﴾ مريم: ١٧ – ١٩

وقال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ ﴾ آل عمران: ٤٥

قال ابن حجر –رحمه الله– : (وقال القاضي عياض[١] الجمهور على خلافه –أي على خلاف نبوة مريم–، وذكر النووي في الأذكار عن إمام الحرمين[٢] أنه نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية[٣]، ونسبه في شرح المهذب لجماعة، وجاء عن الحسن البصري ليس في النساء نبية ولا في الجن)[٤].

---

[١] هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي المذهب ، كان إمام وقته في الحديث التفسير والفقه والأصول واللغة، من تصانيفه: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المدارك ، ولد سنة ٤٩٦هـ، وتوفي سنة ٥٤٤هـ. (انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ٢/٤٦).

[٢] هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري، الشافعي، إمام الحرمين، من مصنفاته: غياث الأمم، والعقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، والبرهان في أصول الفقه، ، ولد سنة ٤١٩ هـ، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ. (انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ٥/١٦٥).

[٣] انظر الأذكار، للنووي، (ص١١٩).

[٤] فتح الباري، (٦/٤٧٤).

كما أرسله إلى أم إسماعيل عندما نفد الماء والطعام منها، فبحث بعقبه حتى ظهر الماء، وذلك في قصة حفر زمزم[1][2]، وأمثلة ذلك في السنة كثيرة.

[1] رواه البخاري، رقم (٣٣٦٥)،في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾.

[2] انظر عالم الملائكة الأبرار، (ص٤٢).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أنه ليس كل من جاءه ملك فهو رسول أو نبي:

- جاء في قصة الرجل الذي أحبه الله لحبه لأخيه: (أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[1].

والشاهد هو قوله: (فأرصد الله له على مدرجته ملكا).

- وجاء في قصة الأبرص والأقرع والأعمى أن الله (أراد أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا......)[2].

وجه الدلالة:

هاتان القصتان تدلان على أنه ليس كل من جاءه ملك فهو رسول أو نبي، ففي القصة الأولى كانت مهمة الملك تبشير هذا الرجل بمحبة الله له، فكان رسولا من الله إليه بهذه البشارة، ولم يرد أن هذا الرجل نبي أو رسول، أو أوحي إليه بوحي وكلف بتبليغه، وفي القصة الثانية كانت مهمة الملك اختبار هؤلاء الثلاثة وامتحانهم، وفي الأخير أبلغ الأعمى بمهمته التي أرسل بها إليهم فقال: (أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك)[3].

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤١).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[3] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

المبحث التاسع: بيان أن من أعمال الملائكة ابتلاء بني آدم واختبارهم.

جاءت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ببيان أن الملائكة من أعمالهم ابتلاء بني آدم واختبارهم.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ ﴾ البقرة: ١٠٢

قال ابن جرير الطبري –رحمه الله-: (وتأويل ذلك: وما يعلم الملكان أحدا من الناس الذي أنزل عليهما من التفريق بين المرء وزوجه، حتى يقولا له: إنما نحن بلاء وفتنة لبني آدم، فلا تكفر بربك)[1].

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية أن من أعمال الملائكة ابتلاء بني آدم واختبارهم:

جاء في قصة الأبرص والأقرع والأعمى أن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال:

(إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس. فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لونا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل -أو قال: البقر شك الراوى-، فأعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس. فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطي

[1] تفسير الطبري، (٢/٤٤٠).

بقرة حاملا، وقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر الناس. فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: أي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرا أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأني أعرفك، ألم تك أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله؟!، فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر!! فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفرى؟. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله ما أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضى الله عنك، وسخط على صاحبيك)[1][2].

وجه الدلالة:

بين النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الله أراد أن يختبر هؤلاء الثلاثة، فبعث إليهم ملكا، وأعطاهم الله على يدي هذا الملك من نعمه، فأزال عنهم ما كانوا يكرهونه، وأعطاهم ما يحبونه، وزيادة، فما كان من الأول والثاني إلا أنهما نسبا النعم التي حصلت لهما لغير الله، فكانا جاحدين، ناكرين لنعمة الله تعالى، فاستحقا بفعلهما سخط الله عليهما.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[2] ذكرت القصة هنا بطولها دون اختصار لأنها توضح ابتلاء الله تعالى لهؤلاء الثلاثة على يدي هذا الملك.

إلا أن الثالث كان شاكرا لنعمة الله عليه، متذكرا لها، متحدثا بها، مقرا، ومعترفا لله بها، فاستحق رضا الله عليه.

فدل هذا الحديث أن من أعمال الملائكة التي قد يكلفون بها ابتلاء بني آدم واختبارهم.

المبحث العاشر: بيان قدرة الملائكة على التشكل في صورة البشر.

أولا: بيان الأدلة من الكتاب والسنة على قدرة الملائكة على التشكل في صورة البشر:

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَـٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ مريم: ١٦ – ١٧.

وقال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الذاريات: ٢٤ – ٢٧.

قال ابن كثير –رحمه الله– : (وقوله: ﴿ قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ ﴾: وذلك أن الملائكة وهم: جبريل وإسرافيل وميكائيل قدموا عليه في صور شبان حسان عليهم مهابة عظيمة؛ ولهذا قال: ﴿ قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ ﴾.)[1]

وجاء في حديث جبريل الطويل أن عمر –رضي الله عنه– قال: (بينما نحن عند –رسول الله صلى الله عليه وسلم– ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه....) إلى أن قال: (ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: (يا عمر أتدري من السائل؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))[2].

---

[1] تفسير ابن كثير، (٧/٣٩٢).

[2] رواه مسلم، رقم (٨)، في الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

وكان جبريل –عليه السلام– يأتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في صورة الصحابي دحية الكلبي[1]، فعن سلمان[2] –رضي الله عنه– قال: وأنبئت أن جبريل عليه السلام، أتى نبي الله – صلى الله عليه وسلم– وعنده أم سلمة، قال: فجعل يتحدث، ثم قام فقال نبي الله –صلى الله عليه وسلم– لأم سلمة: (من هذا؟) أو كما قال: قالت: هذا دحية، قال: فقالت أم سلمة: ايم الله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة نبي الله –صلى الله عليه وسلم– يخبر خبر جبريل)[3].

[1] هو الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي، ، أول مشاهده الخندق ، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته، وعاش إلى خلافة معاوية. (انظر الإصابة، ٣٢١/٢).

[2] هو الصحابي الجليل سلمان أبو عبد الله الفارسي، ويقال له سلمان ابن الإسلام، وسلمان الخير، أصله من رامهرمز، وقيل من أصبهان، وكان قد سمع بأن النبي –صلى الله عليه وسلم– سيبعث، فخرج في طلب ذلك، فأسر وبيع بالمدينة، فاشتغل بالرق، حتى كان أول مشاهده الخندق، وشهد بقية المشاهد ، مات سنة ٣٣هـ. (انظر الإصابة، ١١٨/٣).

[3] رواه البخاري، رقم (٤٩٨٠)، في فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما أنزل، ومسلم، رقم (٢٤٥١)، في فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة رضي الله عنها.

ثانيا: دلالة القصص النبوي على قدرة الملائكة على التشكل في صورة البشر:

- جاء في قصة الرجل الذي قتل مائة نفس أنه (أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا، مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة)[1].

الشاهد: (فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم)

وجه الدلالة: أن الملك الذي جاء ليحكم بين الملائكة المتخاصمين جاءهم في صورة رجل؛ وهذا يدل على قدرة الملائكة على التشكل في صورة البشر.

قال النووي –رحمه الله–: (وأما قياس الملائكة ما بين القريتين، وحكم الملك الذي جعلوه بينهم بذلك؛ فهذا محمول على أن الله تعالى أمرهم عند اشتباه أمره عليهم واختلافهم فيه أن يحكموا رجلا ممن يمر بهم، فمر الملك في صورة رجل فحكم بذلك)[2].

- وفي قصة الأبرص والأقرع والأعمى (أن الله أراد أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا.......) (ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري.....) (وأتى الأقرع في صورته وهيئته....)، (وأتى الأعمى في صورته وهيئته....)[3].

وجه الدلالة:

الملك أتى الأبرص في صورته أي في الصورة التي كان عليها لما اجتمع به وهو أبرص ليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة، وكذلك أتى الأقرع والأعمى في صورتهما التي كانا عليها لما اجتمع بهم في أول مرة.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٤).

[2] شرح النووي لمسلم، (١٧/٨٤).

[3] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على قدرة الملائكة على التشكل في صورة البشر، (والبحث عن كيفية ذلك التمثيل بحث ليس وراءه تحصيل، والواجب التصديق بما جاء في ذلك، ومن أنكر وجود الملائكة والجن وتمثلهم في الصور فقد كفر)[1].

---

[1] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (٦/١٧٢).

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أن التوراة والإنجيل نزلا من عند الله نورا وهداية.

المبحث الثاني: بيان أن شريعة القرآن ناسخة لجميع الشرائع، وأن جميع الأنبياء اتفقوا على أصل الدين؛ وهو التوحيد.

المبحث الثالث: بيان أن الكتب السماوية السابقة قد أصابها التحريف والتبديل.

المبحث الرابع: بيان أن أهل الجاه من الفساق هم مصدر تحريف الدين غالبا.

المبحث الخامس: بيان أن بعض أهل الكتاب بقوا على الدين الحق لحين بعثة النبي–صلى الله عليه وسلم–.

المبحث السادس: بيان السبب الذي أدى بالنصارى الأوائل إلى الرهبنة، واعتزال مجتمعاتهم.

المبحث السابع: بيان أن الرهبانية بدعة منكرة.

المبحث الأول: بيان أن التوراة والإنجيل نزلا من عند الله نورا وهداية:

الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله أصل من أصول هذا الدين، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان العبد إلا به، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾البقرة: ٢٨٥.

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ البقرة: ١٧٧.

وقال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ البقرة: ١٣٦

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ النساء: ١٣٦.

وقد جاء في حديث جبريل الطويل: قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[١].

ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري، والإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجبا على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها، وأن جميعها يصدق بعضها بعضا لا يكذبه، وأن نَسْخَ الكتب الأولى بعضها ببعض حق،

[١] رواه مسلم، رقم (٨)، في الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة.

ثم الإيمان بكتب الله عز وجل يجب إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل[1]، ومما فصل الله فيه من الكتب المنزلة، وأخبر الله عنها أنه أنزلها للناس نورا وهداية التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ٣ – ٤، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ المائدة: ٤٤، وقال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ المائدة: ٤٦.

فالتوراة هي الكتاب الذي أنزله الله على نبيه موسى –عليه السلام–. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ القصص: ٤٣.

وفي حديث احتجاج آدم وموسى وفيه: (فقال آدم لموسى: أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، وخط لك التوراة بيده)[2] .

والإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله على نبيه عيسى –عليه السلام–، وقد أنزله الله مصدقا للتوراة وموافقا لها. قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ المائدة: ٤٦.

---

[1] انظر معارج القبول، (٢/٦٧٢).

[2] رواه البخاري، رقم (٦٦١٤)، في القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، ومسلم رقم (٢٦٥٢) في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن التوراة والإنجيل نزلا من عند الله نورا وهداية:

دلت قصة الرهبانية عند النصارى على أن التوراة والإنجيل نزلا من عند الله نورا وهداية، فجاء فيها أنه (كانت ملوك بعد عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة قيل لملوكهم: ما نجد شتما أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤، وهؤلاء الآيات مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم، فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها)[1].

الشاهد : أن التوراة فيها قول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤.

وجه الدلالة:

هذه القصة دلت على أن التوراة والإنجيل نزلا من عند الله نورا وهداية، حيث أمر الله فيهما بالتحاكم إلى ما أنزل، ونهى عن الحكم بغير ما أنزل، وهذا يدل على أن الله أنزل في التوراة والإنجيل أحكاما وشرائع يتحاكم إليها الناس في دينهم ودنياهم؛ كانت هذه الأحكام والشرائع بمثابة الهدى والنور للعباد؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤، وقال: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المائدة: ٤٦ – ٤٧ ، فكان الحكم بما أنزل الله في التوراة والإنجيل من الأخذ بهذا الهدى والنور الذي جعلهما الله فيهما.

المبحث الثاني: بيان أن شريعة القرآن ناسخة لجميع الشرائع، وأن جميع الأنبياء اتفقوا على أصل الدين، وهو التوحيد.

تتفق الكتب السماوية في المصدر الذي جاءت من عنده؛ فهي كلها منزلة من عند الله على أنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾آل عمران: ١ – ٤.

كما تتفق الكتب السماوية في الغاية التي من أجلها أنزلها الله، فالله –عز وجل– أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب للأمر بعبادة الله وحده، والكفر بكل معبود سواه، وهذا هو دين الإسلام الذي دعا إليه كل الأنبياء –عليهم السلام–، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥ ﴾ الأنبياء: ٢٥ ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾آل عمران: ١٩، وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٣١ ﴾ البقرة: ١٣١، وقال موسى لقومه: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ۝٨٤ ﴾ يونس: ٨٤، وقال الحواريون لعيسى: ﴿ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢ ﴾ آل عمران: ٥٢.

وكذلك اتفقت الكتب السماوية في كل مسائل العقيدة كالإيمان بالغيب والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر، لأن هذه العقائد من باب الأخبار، ومعلوم أن الأخبار لا يدخلها النسخ؛ وإنما يدخل النسخ في الأحكام، وقد اختلفت الكتب السماوية في باب الأحكام والتشريعات، فلكل أمة شرعها الخاص بها، كما قال تعالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾المائدة: ٤٨، فالاختلاف إنما يكون في تفاصيل الشريعة وأحكامها، فقد يفرض الله على أمة من العبادات ما لا يفرضه على غيرها، وقد يحرم على أمة شيئا ويحله لأمة أخرى، كما قد تختلف بعض العبادات

في كيفياتها وشروطها من شريعة أمة إلى شريعة أمة أخرى، وقد جاء في الحديث: (والأنبياء إخوة لعلات[1]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[2]

قال ابن حجر: (ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع)[3]، وقال ابن كثير في معنى الحديث: (أي: القدر المشترك بينهم وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾المائدة: ٤٨)[4]

(وقد أجمعت الأمة على أن شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- قد نسخت ما خالفها من شرائع الأنبياء قبله)[5].

[1] (إخوة لعلات): إذا كان الإخوة لأب واحد، وأمهات شتى كانوا أبناء علات، وإذا كانوا لأم واحدة وآباء شتى، فهم أبناء أخياف، وإذا كان لأب واحد، وأم واحدة، فهم أعيان. (جامع الأصول، ٥٢٣/٨).

[2] رواه البخاري، رقم (٣٤٤٣)، في أحاديث الانبياء، باب قول الله ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ مريم: ١٦ ، ومسلم، رقم (٢٣٦٥٩)، في الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام.

[3] فتح الباري، (٤٨٩/٦).

[4] تفسير ابن كثير، (١٧٨/٧).

[5] روضة الناظر وجنة المناظر، (٢٢٩/١).

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على اتفاق الشرائع السماوية على أصل الدين، وعلى أن شريعة محمد –صلى الله عليه وسلم– هي الشريعة الناسخة لما قبلها من الشرائع:

دلت قصة أصحاب الأخدود على أن الغاية من دينهم وشريعتهم هو إفراد الله بالعبادة، والكفر بكل معبود سوى الله –عز وجل–، ولاشك أن هذه هي الغاية التي من أجلها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، لذلك كانت الشرائع قاطبة متفقة على هذا الأصل العظيم.

وقد اتضح هذا جليا في قصة أصحاب الأخدود، فالملك الطاغية كان يدعي لنفسه الألوهية والربوبية من دون الله، لكن موقف الغلام من ذلك أنه كان حريصا على تعبيد الناس لله وحده دون غيره، فجاءه جليس الملك الذي عمي وكان قد جمع له هدايا كثيرة، فقال له: (ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن به، فشفاه الله، فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ ، قال: ربي وربك الله، فأخذه، فلم يزل يعذبه...)[1]

فدعاه الغلام إلى الإيمان بالله وحده، وكذلك دعا الملك إلى هذا، بل إنه دل الملك على الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها قتله؛ حتى تكون للناس برهانا ودليلا على ربوبية الله وحده، وأنه وحده المستحق للعبادة.

وقد دلت قصة الرهبانية عند النصارى على وجوب إيمان أهل الكتاب بالرسول –صلى الله عليه وسلم– وبشريعته التي جعلها الله الشريعة الخاتمة الناسخة لكافة الشرائع قبلها، فقد جاء فيها: (فلما بُعِث النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يبق منهم إلا قليل، انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره، فآمنوا به وصدقوه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ الحديد: ٢٨:

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٧).

أجرين، بإيمانهم بعيسى عليه السلام، وبالتوارة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وتصديقهم)[1]

ففي قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ الحديد: ٢٨ خطاب لمؤمني أهل الكتاب، وأمرهم بالإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وبشريعته، والإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وبشريعته يقتضي نسخ جميع الشرائع التي كانت قبله، والالتزام بشريعته، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني)[2].

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

[2] رواه أحمد في مسنده، رقم (١٥١٥٦)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، (٦٣/١)، رقم (١٧٧).

المبحث الثالث: بيان أن الكتب السماوية السابقة قد أصابها التحريف والتبديل.

التحريف لغة: التغيير والتبديل، وتحريف الكلام عن مواضعه: تغييره.[1]

وقد أخبر الله –عز وجل– عن وقوع التحريف والتبديل للكتب السماوية من الأمم الماضية في غير موضع من كتابه، وأخبر عن جرمهم وشنيع فعلهم الذي استحقوا به غضبه وعقابه، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ البقرة: ٧٥. فهذا فيه دلالة على أنهم غيروا وبدلوا عن إصرار وعلم.

قال الطبري –رحمه الله–: (يحرفونه: أي يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه إلى غيره، فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا وأنه بخلاف ما حرفوه إليه، فقال: ﴿ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ البقرة: ٧٥ ، يعني: من بعد ما عقلوا تأويله؛ وهم يعلمون أي يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون)[2].

وقوله عز وجل: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٧٩.

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ آل عمران: ٧٨ ، فهذا فيه دلالة على أنهم أدخلوا في كلام الله ما ليس منه، وافتروا على الله الكذب بأن نسبوا إليه سبحانه ما لم يقله وهم يعلمون ذلك.

---

[1] انظر مختار الصحاح، (ص٧٠).

[2] تفسير الطبري، (٢/٢٤٩).

وقوله عز وجل: ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنعام: ٩١ ، وهذا فيه دلالة على أنهم أخفوا وكتموا كثيرا مما علموا أنه من عند الله.

وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ المائدة: ١٣. وفي هذه الآية دلالة واضحة على التحريف.[1]

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل:

قد دلت قصة الرهبانية عند النصارى على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: (كانت ملوك بعد عيسى بن مريم –عليه الصلاة والسلام– بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة قيل لملوكهم: ما نجد شتما أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤ ، وهؤلاء الآيات مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم، فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها)[2].

وجه الدلالة:

دلت القصة على تبديل الملوك للدين وتحريفهم له، وتغييرهم للتوراة والإنجيل، حتى إنهم لم يرتضوا أحدا يخالفهم فيما فعلوا من التبديل والتغيير، فاضطهدوا كل من بقي على دينه الحق، وأبعدوه.

---

[1] انظر دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، (ص٩٤-٩٥).

[2] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

وقد سبق كلام ابن القيم -رحمه الله- في كيفية التحريف الذي وقع في الكتب السابقة، وأنه جاء بخمسة طرق)[1].

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية —رحمه الله- الإجماع على وقوع التحريف في الكتب السابقة في ترجمتها، وفي تفسيرها، وشرحها، وتأويلها، وإنما كان الخلاف بين الناس في وقوع التحريف في ألفاظها، فقال —رحمه الله-: (وأهل الكتاب اليهود والنصارى مع المسلمين متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها؛ إما عمدا وإما خطأ: في ترجمتها، وفي تفسيرها، وشرحها، وتأويلها؛ وإنما تنازع الناس هل وقع التحريف في بعض ألفاظها)[2].

(وقد اختلف أقوال الناس فى التوراة التى بأيديهم: هل هى مبدلة، أم التبديل والتحريف وقع فى التأويل دون التنزيل؟ على ثلاثة أقوال طرفين، ووسط.

فأفرطت طائفة وزعمت أنها كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة. ليست التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وتعرض هؤلاء لتناقضها وتكذيب بعضها لبعض:

وغلا بعضهم. فجوز الاستجمار بها من البول.

وقابلهم طائفة أخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام، فقالوا: بل التبديل وقع فى التأويل، لا فى التنزيل، وهذا مذهب أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، حيث قال: (يحرفون: يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل، ولكنهم يحرفونه، يتأولونه على غير تأويله)[3]

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (مراد البخاري بقوله: (يتأولونه) أنهم يحرفون المراد بضرب من التأويل، كما لو كانت الكلمة بالعبرانية تحتمل معنيين قريب وبعيد، وكان المراد القريب؛ فإنهم يحملونها على البعيد، ونحو ذلك)[4].

ومن حجة هؤلاء: أن التوراة قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها، وانتشرت جنوبا وشمالا. ولا يعلم عدد نسخها إلا الله تعالى. ومن الممتنع أن يقع التواطؤ على التبديل والتغيير فى جميع تلك

---

[1] تقدم الكلام عنه ص١٩٥.

[2] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (١٢٣/٥).

[3] صحيح البخاري، (١٦٠/٩).

[4] فتح الباري، (٥٢٦/١٣).

النسخ. بحيث لا يبقى فى الأرض نسخة إلا مبدلة مغيرة. والتغيير على منهاج واحد. وهذا مما يحيله العقل، ويشهد ببطلانه.

وتوسطت طائفة ثالثة. وقالوا: قد زيد فيها، وغير ألفاظ يسيرة، ولكن أكثرها باق على ما أنزل عليه. والتبديل فى يسير منها جدا، وممن اختار هذا القول ابن تيمية فى كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[1])[2]، فلم يصب التحريف كل نسخ التوراة والإنجيل، بل بقي بين أيدي بعض الأحبار والرهبان نسخ من التوراة والإنجيل على الحالة التي أنزلتا عليها.

---

[1] انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (٢/٤٢١-٤٢٢).

[2] إغاثة اللهفان، لابن القيم، بتصرف، (٢/٣٥١-٣٥٤).

المبحث الرابع: بيان أن أهل الجاه من الفساق هم مصدر تحريف الدين غالبا.

لقد جرت عادة الأمم أن أكثر من كان سببا في إضلالهم وانحرافهم عن سبيل الله إنما هم الفساق من أهل الجاه والملوك والجبارون، حيث إنهم يبذلون ما في وسعهم وطاقتهم لإبعاد الناس عن طريق الحق، وتزيين الباطل لهم، وإقناعهم بأنه هو الحق، بل وإلزامهم به، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٦، (يخبر تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة ويستأصلها بالعذاب أمر مترفيها أمرا قدريا ففسقوا فيها واشتد طغيانهم، { فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ } أي: كلمة العذاب التي لا مرد لها { فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا })[١].

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن الحكام وأهل الجاه من الفساق هم مصدر تحريف الدين غالبا:

لقد كان لملوك أهل الكتاب وحكامهم الذين وقع منهم التغيير في أحكام الشريعة دور بارز في تحريف الدين والكتب السماوية، إذ أنهم اتخذوا الدين وسيلة لتوطيد ملكهم وتثبيته من خلال خداع الناس بأن شخصية الحاكم شخصية مقدسة لا يحق لأحد أن يعترض عليه مهما فعل، ومن اعترض عليه فكأنما اعترض على إرادة الله واختياره، وعاونهم في ذلك علماء السوء الذين بدلوا وغيروا في التوراة والإنجيل رغبة في إرضاء حكامهم وأن ينالوا نصيبا مما عندهم من متاع الدنيا الزائل، كما قال تعالى حاكيا عنهم: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٧٩، ولم يكتف هؤلاء الحكام بمن معهم من علماء السوء الذين زينوا لهم سوء أعمالهم، وحرفوا الدين من أجلهم، بل نقموا على من كان على الحق من

---

[١] تفسير السعدي، (ص٤٥٥).

أهل الكتاب ممن لم يبدل ويغير في دينه كما بدلوا هم وغيروا، وراحوا يحاولون أن يردوهم عن الحق الذي هم عليه، أو أن يكون جزاءهم القتل والإبعاد، فقد جاء في قصة الرهبانية عند النصارى أن ابن عباس –رضي الله عنهما– ، قال: (كانت ملوك بعد عيسى بن مريم –عليه الصلاة والسلام– بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة قيل لملوكهم: ما نجد شتما أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة: ٤٤، وهؤلاء الآيات مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم، فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها)[١].

وكان من أبرز الحكام الذين كان لهم دور بارز في تحريف النصرانية؛ الإمبراطور قسطنطين، حيث أنه لما اعتنق النصرانية ساند ودعم القائلين بألوهية المسيح، واضطهد من كان على الحق من علماء النصارى وحاربهم وحارب مقولتهم، وكان له اليد الطولى في إنشاء المجامع النصرانية التي كانت تشكل فيها العقيدة النصرانية المحرفة وتصاغ، وذلك لتعميمها وإلزام العامة بها، فالنصارى: يجوزون لأكابرهم أن ينسخوا شرع الله بآرائهم، كما قال ابن تيمية –رحمه الله–: (فالنصارى تضع لهم عقائدهم وشرائعهم أكابرهم بعد المسيح، كما وضع لهم الثلاثمائة وثمانية عشر الذين كانوا في زمن قسطنطين الملك الأمانة التي اتفقوا عليها، ولعنوا من خالفها من الأريوسية وغيرهم، وفيها أمور لم ينزل الله بها كتابا، بل تخالف ما أنزله الله من الكتب مع مخالفتها للعقل الصريح)[٢]

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

[٢] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (١/٣٤١).

المبحث الخامس: بيان أن بعض أهل الكتاب بقوا على الدين الحق لحين بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم–.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ آل عمران: ١٦٤، (في هذه الآية إشارة إلى ما كان الناس عليه قبل إنزال هذا الكتاب من الضلال، فإن الله نظر حينئذ إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب؛ تمسكوا بدينهم الذي لم يبدل ولم يغير، وكانوا قليلا جدا، وأولئك البقايا الذين كانوا متمسكين بدين المسيح قبل مبعث محمد –صلى الله عليه وسلم– كانوا على دين الله تعالى ماتوا – أو أكثرهم – قبل مبعثه –صلى الله عليه وسلم–، فأما عامة أهل الكتاب، فكانوا قد بدلوا كتبهم، وغيروها وحرفوها، وأدخلوا في دينهم ما ليس منه؛ فضلوا وأضلوا، وأما غير أهل الكتاب فكانوا على ضلال بين؛ فالأميون أهل شرك يعبدون الأوثان، والمجوس يعبدون النيران، ويقولون بإلهين اثنين، وكذلك غيرهم من أهل الأرض؛ منهم من كان يعبد النجوم، ومنهم من كان يعبد الشمس أو القمر، فهدى الله المؤمنين بإرسال محمد –صلى الله عليه وسلم– إلى ما جاء به من الهدى والدين الحق، وأظهر الله دينه حتى بلغ مشارق الأرض ومغاربها)[١].

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية أن بعض أهل الكتاب بقوا على الدين الحق لحين بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–:

لقد دلت قصة الرهبانية عند النصارى على أنه وجد من أهل الكتاب من لم يبدل ولم يغير في دينه حتى مبعث النبي –صلى الله عليه وسلم–، ودل على ذلك قول ابن عباس فيها: (فلما بُعِث النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يبق منهم إلا قليل، انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره، فآمنوا به وصدقوه)[٢].

---

[١] انظر اقتضاء الصرط المستقيم، (١/٧٤–٧٥)، ولطائف المعارف، لابن رجب، (ص٨٥).

[٢] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

وجه الدلالة:

فيه دلالة على أن أهل الكتاب الذين بقوا على الحق حتى بعث النبي –صلى الله عليه وسلم– كانوا قليلين، وهؤلاء هم البقايا الذين عناهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بقوله: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)[1].

(لقد بدل كثير من النصارى كثيرا من دين المسيح –عليه السلام– بعد رفعه بقليل من الزمان، وصاروا يبدلون شيئا بعد شيء، وتبقى فيهم طائفة متمسكة بدين الحق إلى أن بعث الله محمدا –صلى الله عليه وسلم–، وقد بقي من أولئك الذين على الدين الحق طائفة قليلة)[2]، كما جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)[3].

وأولئك البقايا الذين عناهم الرسول –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث كانوا متمسكين بدين المسيح الحق قبل بعثة محمد –صلى الله عليه وسلم–.

ومن أمثلة أهل الكتاب الذين بقوا على الدين الحق قبل بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– ورقة بن نوفل، فقد جاء في حديث بدء الوحي: (فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا[4]، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

---

[1] رواه مسلم، رقم (٢٨٦٥)، في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

[2] انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (١٥/٣).

[3] تقدم تخريجه في نفس الصفحة.

[4] (ليتني فيها جذعا): أي يا ليتني كنت شابا عند ظهورها، حتى أبالغ في نصرتها وحمايتها. (النهاية: ٢٥٠/١).

(أو مخرجي هم)، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب[1] ورقة أن توفي)[2].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا تسبوا ورقة بن نوفل، فإني قد رأيت له جنة أو جنتين)[3].

(وقد أدرك سلمان الفارسي -وكان قد تنصر بعد أن كان مجوسيا- طائفة ممن كانوا متبعين لدين المسيح -عليه السلام- واحدا بالموصل وآخر بنصيبين وآخر بعمورية.

وكل منهم يخبره بأنه لم يبق على دين المسيح -عليه السلام- إلا قليل إلى أن قال له آخرهم: لم يبق عليه أحد، وأخبره أنه يبعث نبي بدين إبراهيم من جهة الحجاز فكان ذلك سبب هجرة سلمان إليه وإيمانه به)[4].

ومن أمثلة هؤلاء كذلك زيد بن عمرو بن نوفيل[5]، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- الوحي، فقدمت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- سفرة، فأبى أن

---

[1] (لم ينشب): أي: لم يلبث. (جامع الأصول، ١١٢/٨).

[2] رواه البخاري، رقم (٣)، في بدء الوحي، ومسلم، رقم(٢٥٢)، في الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

[3] رواه الحاكم في المستدرك، (٦٦٦/٢)، رقم (٤٢١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم(٧٣٢٠).

[4] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (١٦/٣-١٧)، وقصة سلمان الفارسي رواها أحمد في مسنده، رقم (٢٣٧٣٧)، (١٤٠/٣٩)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٨٩٤)، (٥٥٥/٢-٥٦٠).

[5] هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي، ابن عم عمر بن الخطاب، وهو أحد الحكماء، لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها. ورحل إلى الشام باحثا عن عبادات أهلها، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم. وجاهر بعداء الأوثان، فتألب عليه جمع من قريش، فأخرجوه من مكة، وكان لا يدخلها إلا سرا، رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل النبوة، وسئل عنه بعدها فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده. توفي قبل البعثة بخمس سنين. (انظر سير أعلام النبلاء، ٧٦/١-٨٢).

يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم[1]، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء ماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له)[2].

وقد مات زيد بن عمرو بن نفيل قبل الإسلام على الحنيفية السمحة، فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل وهو مسند ظهره إلى الكعبة وهو يقول: (ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري) وكان يقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم قالت: وذكره النبي – صلى الله عليه وسلم– فقال: (يبعث يوم القيامة أمة وحده بيني وبين عيسى)[3].

---

[1] (الأنصاب): جمع نصب، بضم الصاد وسكونها: وهو حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية، ويتخذونه صنما فيعبدونه. (انظر النهاية: ٥/٦٠).

[2] رواه البخاري، رقم (٣٨٢٦)، في مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نوفيل.

[3] رواه النسائي في الكبرى، في كتاب المناقب، (٧/٣٢٤)، رقم (٨١٣١)، ورواه الطبراني في الكبير، (٢٤/٨٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٤١٦): ورجاله رجال الصحيح.

المبحث السادس: بيان السبب الذي أدى بالنصارى الأوائل إلى الرهبنة، واعتزال مجتمعاتهم.

(الرهبانية أصلها من الرهبة؛ أي: الخوف، وكانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها، حتى إن منهم من كان يخصى نفسه، ويضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك من أنواع التعذيب)[1].

وهذا هو المعنى الذي استقرت عليه الرهبانية عند النصارى، ولقد أوضحوا ذلك في كتبهم، ومما جاء في بعض كتبهم عن معنى الرهبانية: (إنها العزلة الفردية التامة، وإغراق الراهب في ضروب الزهد، والمبالغة في التقشف وتعذيب الجسد والصوم، والابتعاد عن ضجيج الحياة، والحرمان من لذيذ العيش، ولبس خشن الثياب، والتبتل وعدم الزواج، والعكوف على العبادة)[2].

إلا أنه ينبغي التفريق بين الرهبانية التي تقوم على اعتزال الناس، والمبالغة في التقشف وتعذيب الجسد ، والتبتل وعدم الزواج، -وهذه هي الرهبانية التي ابتدعها النصارى، ولم يأمرهم الله بها، على نحو ما سنبينه إن شاء الله في المبحث القادم من حكم الرهبانية عند النصارى- وبين السبب الذي أدى بالنصارى الأوائل إلى اعتزال مجتمعاتهم، فلم يكن اعتزال هؤلاء لمجتمعاتهم لقصد التعبد بالعزلة والتقشف وترك الزواج، وإنما كان سبب اعتزالهم وخروجهم إلى الوديان وقمم الجبال والصحاري هو الفرار بدينهم، والهروب من أذى حكامهم الذين قاموا باضطهادهم وتعذيبهم لكي يردوهم عن دينهم، وقد أشاد القرآن بموقف الفتية أصحاب الكهف الذين خرجوا من أرضهم فارين بدينهم إلى أحد الكهوف، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم

---

[1] انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢/٢٨٠-٢٨١).

[2] الرهبنة الديرية في مصر، لرؤوف حبيب، (ص ٣٧).

بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ١٥ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٢٠ ﴾ الكهف: ٩ – ٢٠،

(فيخبر تعالى عن أولئك الفتية، الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منه فلجؤوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، وقد ذكر بعض أهل التفسير أن سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى، وكان لهم ملك عابد وثن، دعاهم إلى عبادة الأصنام، فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم، أو يقتلهم، فاستخفوا منه في الكهف)[1].

---

[1] انظر تفسير الطبري، (١٧/٧٠٥).

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على السبب الذي أدى بالنصارى الأوائل إلى اعتزال مجتمعاتهم:

قد جاء في قصة الرهبانية عند النصارى بيان السبب الذي أدى بالنصارى الأوائل إلى اعتزال مجتمعاتهم، (كانت ملوك بعد عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة قيل لملوكهم: ما نجد شتما أشد من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤، وهؤلاء الآيات مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم، فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دورا في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحترث البقول فلا نرد عليكم، ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحديد: ٢٧، والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دورا كما اتخذ فلان، وهم على شركهم، لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا به)[1].

وجه الدلالة:

هذه القصة فيها بيان السبب الذي دعا هؤلاء المؤمنين لترك ديارهم واعتزال قومهم والخروج إلى الفيافي والكهوف والوديان، فملوكهم أرادوا قتلهم إذا لم يغيروا ما هم عليه من الدين الحق، ويبدلوا التوراة والإنجيل كما بدلها غيرهم، فعَظُم ذلك الأمر في نفوسهم، وأبوا أن يغيروا شيئا من

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

الحق الذي هم عليه، فعرضوا على ملوكهم أن يغادروا ديارهم إلى الأماكن البعيدة النائية، خوفًا على دينهم من الفتنة وطمعًا في حياة آمنة تمكنهم من الانقطاع للعبادة، ففعلوا ذلك، إلا أن الناس بعد ذلك بعد أن أصابهم التبديل والانحراف في دينهم أخذوا في تقليدهم وسعوا إلى أن يفعلوا مثل فعلتهم، ولكنهم غيروا وجهتهم وغالوا فيما ذهبوا إليه في رهبانيتهم، فعذبوا أنفسهم بالامتناع عن الطعام والشراب والملبس والنكاح والنظافة، كما ربط بعضهم نفسه بالسلاسل، وهكذا أخرجوا الرهبانية عن جوهرها الذي وجدت من أجله، فيقول سبحانه تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَـآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحديد: ٢٧.

المبحث السابع: بيان أن الرهبانية بدعة منكرة.

أولا: بيان أن الرهبانية لم تشرع للنصارى، وأن شريعة القرآن أكدت منعها:

سبق في المبحث الماضي بيان معنى الرهبانية، وأنها تقوم على اعتزال الناس، والمبالغة في التقشف وتعذيب الجسد ، والتبتل وعدم الزواج، -وهذه هي الرهبانية التي بين الله تعالى أنها من ابتداع النصارى، ولم يأمرهم الله بها، قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحديد: ٢٧.

وقد أخطأ أناس وأساءوا الفهم لهذه الآية، فقد توهموا أن الرهبانية معطوفة على رأفة ورحمة، فتكون الرهبانية مما جعله الله مشروعا لهم ، ولا شك أن هذا خطأ، (لأن هذه الرهبانية لم تكن مما شرع الله لهم فلا يستقيم كونها مفعولا لجعلنا، ولأن الرهبانية عمل لا يتعلق بالقلوب وفعل جعلنا مقيد ب في قلوب الذين اتبعوه فتكون مفعولاته مقيدة بذلك)[1].

(وللناس في قوله: " ورهبانية " قولان.

أحدهما: أنها منصوبة ب " ابتدعوها " على الاشتغال. إما بنفس الفعل المذكور – على قول الكوفيين – وإما بمقدر محذوف مفسر بهذا المذكور – على قول البصريين – أي: وابتدعوا رهبانية[2].

---

[1] التحرير والتنوير، (٢٧/٤٢٣).

[2] انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، (ص٧٥١)، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (١٢٨/٢).

وعلى هذا القول فلا تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة والرحمة، فالوقوف التام عند قوله: ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ الحديد: ٢٧ ثم يبتدئ: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ الحديد: ٢٧ أي: لم نشرعها لهم. بل هم ابتدعوها من عند أنفسهم، ولم نكتبها عليهم.

والقول الثاني: أنها معطوفة على الرأفة والرحمة، فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة، ويكون هذا جعلا خلقيا كونيا، والجعل الكوني يتناول الخير والشر كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ القصص: ٤١ وعلى هذا القول فلا مدح للرهبانية بجعلها في القلوب فثبت على التقديرين أنه ليس في القرآن مدح للرهبانية)[1]، (فإن كان المراد هو الجعل الشرعي الديني لا الجعل الكوني القدري لم تدخل الرهبانية في ذلك، وإن كان المراد الجعل الخلقي الكوني فلا مدح للرهبانية في ذلك)[2].

وفي قوله: ﴿ مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ الحديد: ٢٧ ، الاستثناء هنا في الآية منقطع، ونظير هذا في القرآن كثير، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ النساء: ٢٩ وقوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ الدخان: ٥٦، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ الانشقاق: ٢٠ ــ ٢٥.

فيكون معنى قوله: ﴿ مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ الحديد: ٢٧ (أي لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، لم نكتب عليهم الرهبانية، بل هم ابتدعوها

---

[1] انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (٢/١٨٩-١٩١)، وانظر مدارج السالكين، (٢/٦٠).
[2] الجواب الصحيح، (٢/١٩٤).

ومع ابتداعهم إياها فما رعوها حق رعايتها، وكل بدعة ضلالة فهم مذمومون على ابتداع الرهبانية وعلى أنهم لم يرعوها حق رعايتها.)[1].

(ثم قال تعالى: ﴿ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحديد: ٢٧.

وهم الذين آمنوا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وكثير منهم فاسقون، ولو أريد الذين آمنوا بالمسيح أيضا فالمراد من اتبعه على دينه الذي لم يبدل، وإلا فكلهم يقولون أنهم مؤمنون بالمسيح، وبكل حال فلم يمدح سبحانه إلا من اتبع المسيح على دينه الذي لم يبدل ومن آمن بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، ولم يمدح النصارى الذين بدلوا دين المسيح ولا الذين لم يؤمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم-)[2].

(ولما نهى الله عن التشبه بهؤلاء الذين قست قلوبهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحديد: ١٦ ، وذكر أيضا في آخر السورة حال الذين ابتدعوا الرهبانية، فما رعوها حق رعايتها، فعقبها بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحديد: ٢٨ - ٢٩ ، فإن الإيمان بالرسول: تصديقه وطاعته وإتباع شريعته، وفي ذلك مخالفة للرهبانية، لأنه لم يبعث بها، بل نهى عنها، وأخبر أن من اتبعه: كان له أجران)[3].

وقد صرح النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن

---

[1] المصدر السابق، (١٦٩/٢).

[2] المصدر السابق، (١٩٣/٢).

[3] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، (ص٢٩٥).

قوما شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ الحديد: ٢٧)[1].

(ففيه نهي النبي -صلى الله عليه وسلم- عن التشدد في الدين بالزيادة على المشروع.

والتشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب، ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم، ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه، في الطيبات. وعلل ذلك بأن الذين شددوا على أنفسهم من النصارى، شدد الله عليهم لذلك، حتى آل الأمر إلى ما هم عليه من الرهبانية المبتدعة.

وفي هذا تنبيه على كراهة النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما عليه النصارى من الرهبانية المبتدعة)[2].

وقد أحل الله الطيبات لعباده، كما استنكر من بعض الناس تحريمهم زينة الحياة الدنيا التي أباحها لهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ المائدة: ٨٧.

وقد جاء عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وفي رواية لمسلم: (لا آكل اللحم)، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليهم، فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله

---

[1] رواه أبو داود في سننه، رقم (٤٩٠٤)، في الأدب، باب في الحسد، وقال ابن تيمية -رحمه الله- في (اقتضاء الصراط المستقيم) (١/ ٢٩٨): له شواهد في الصحيح، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، رقم (٦٢٣٢) ، ثم تراجع وصححه، انظر (جلباب المرأة المسلمة)، (ص٢٠).

[2] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، (ص٣٢٢-٣٢٣).

وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1].

(والأحاديث الموافقة لهذا كثيرة في بيان أن سنته التي هي الاقتصاد في العبادة، وفي ترك الشهوات؛ خير من رهبانية النصارى، التي هي ترك عامة الشهوات من النكاح وغيره، والغلو في العبادات صوما وصلاة)[2].

---

[1] رواه البخاري، رقم (٥٠٦٣)، في النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم، رقم (١٤٠١)، في النكاح، باب باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

[2] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، (ص٣٢٥).

ثانيا: دلالة قصص النبوي عن الأمم الماضية على أن الرهبانية بدعة منكرة:

جاء في قصة الرهبانية عند النصارى: (قالوا: نتعبد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دورا كما اتخذ فلان، وهم على شركهم، لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا به)[1].

وجه الدلالة:

دل هذا النص على أن النصارى ابتدعوا الرهبانية من قبل أنفسهم، وأن الله لم يشرعها لهم، وأنهم فعلوها تقليدا لمن اعتزلوا أقوامهم فرارا بدينهم لما أوذوا واضطهدوا، وأنهم لما قلدوهم في ذلك ألزموا أنفسهم بتلك الرهبانية، ومع ذلك فلم يراعوها حق رعايتها، فهم مذمومون على ابتداع الرهبانية وعلى أنهم لم يرعوها حق رعايتها، وياليتهم قلدوا من قلدوا من أوائل النصارى أتباع عيسى في إيمانهم وما هم عليه من الحق، ولكنهم تركوا ما كانوا عليه من إيمان وتوحيد، وبقوا على شركهم، ولم يأخذوا منهم إلا تلك الرهبانية المنكرة.

وهنا ينبغي التنبه بأنه قد سبق الاستدلال بهذا النص على الهجرة المحمودة في الباب الأول في مبحث بعنوان: (بيان مشروعية الهجرة حين لا يجد المرء سبيلا لإقامة دينه)[2].

والنص يدل على كلا الأمرين؛ فقد دل على الهجرة المحمودة في فعل النصارى الأوائل الذين خيروا بين القتل أو متابعة حكامهم في التبديل والتغيير لكتاب الله، ولكنهم اختاروا أمرا ثالثا وهو اعتزال قومهم لما رأوا أنه لا سبيل لهم لإقامة دينهم الحق بين قومهم، ولا شك أن هذه الهجرة هجرة شرعية محمودة كما سبق بيانه في ذلك المبحث.

أما وجه الاستدلال بهذه القصة في هذا المبحث فهو على الرهبانية المذمومة التي وقع فيها أناس اعتنقوا النصرانية، ولكنهم لم يكونوا على ما كان عليه الأوائل، فقد تغافلوا عن السبب الذي اضطر الأوائل لاعتزال أقوامهم، فاعتزلوا أقوامهم من دون سبب، وقالوا: نتعبد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دورا كما اتخذ فلان، وهم على شركهم، لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا به.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

[2] انظر (ص١٨٤).

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفرق بين الآيات والمعجزات التي يؤيد الله تعالى بها أنبيائه ورسله، وبين كرامات الأولياء.

المبحث الثاني: بيان نماذج من كرامات الأولياء؛ والتي جاء ذكرها في القصص النبوي.

المبحث الثالث: بيان عظم ثواب من اتبع رسالة محمد-صلى الله عليه وسلم- ؛ وخاصة أهل الكتاب.

المبحث الأول: الفرق بين الآيات والمعجزات التي يؤيد الله تعالى بها رسله وبين كرامات الأولياء.

جعل الله لكل نبي من الأنبياء أدلة وبراهين على صدق نبوته، ومن هذه الأدلة المعجزات التي يجريها الله على أيدي أنبيائه ورسله من الأمور الخارقة للعادة، وهي التي سماها الله تعالى الآيات والبراهين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ المائدة: ٣٢، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ يونس: ٧٤

(يعني: بالآيات الواضحة والحجج البينة على حقيقة ما أرسلوا به إليهم، وصحة ما دعوهم إليه من الإيمان بهم، وأداء فرائض الله عليهم)[1].

قال ابن تيمية –رحمه الله–: (والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم– كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسميها من يسميها من النظار معجزات، وتسمى (دلائل النبوة) و (أعلام النبوة) .

وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ الآية و البينة والبرهان)[2].

و(اسم " المعجزة " يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره – ويسمونها: الآيات – لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل " المعجزة " للنبي و" الكرامة " للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة)[3].

---

[1] تفسير الطبري، (٢٤٢/١٠).

[2] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (٤١٢/٥).

[3] مجموع الفتاوى، (٣١١/١١-٣١٢).

والكرامة (أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم)[1] .

(وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة، ودلت الوقائع قديما وحديثا على وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لهدي أنبيائهم)[2]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا الفرق بين المعجزة والكرامة في النقاط التالية:

- (أن المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة، بخلاف الكرامة.
- أن الكرامة كالمعجزة، تدل أعظم دلالة على كمال قدرة الله، ونفوذ مشيئته، وأنه فعال لما يريد، وأن له فوق هذه السنن والأسباب المعتادة سننا أخرى لا يقع عليها علم البشر، ولا تدركها أعمالهم.
- أن وقوع كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعتهم لأنبيائهم، وسيرهم على هديهم.[3]
- أن كرامات الأولياء هي البشرى التي عجلها الله لهم في الدنيا؛ فإن المراد بالبشرى كل أمر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن جملة ذلك الكرامات)[4] .
- (الكرامة تدل على الولاية، لكنها لا تدل على العصمة، فكرامات الصالحين لا تدل على أنهم معصومون كالأنبياء، بل يجوز عليهم الغلط مع ثبوت كراماتهم)[5]، كما أن الكرامة لا تدل على تفضيل صاحبها على غيره، فالاستقامة أفضل كرامة، ولذلك كانت الأمور الخارقة في التابعين أكثر منها في الصحابة[6].

---

[1] لوامع الأنوار البهية، (٣٩٢/٢).

[2] شرح الواسطية، لمحمد خليل هراس، ص (٢٥٣) .

[3] وانظر النبوات، (١٤٣/١).

[4] انظر شرح الواسطية، لمحمد خليل هراس ، ص(٢٥٤).

[5] انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (٤١٩/٢)، والنبوات، (١٤٣/١).

[6] انظر مجموع الفتاوى، (٣٢١/١١)، ومدارج السالكين، (١٠٦/٢).

- (الكرامة لا تدل على وجوب طاعة صاحبها، فالنبي تجب طاعته مطلقا، بينما لا تجب طاعة الولي مطلقا، إلا فيما دل عليه دليل شرعي واضح)[1]، قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: (وكل من خالف شيئا مما جاء به الرسول، مقلدا في ذلك لمن يظن أنه ولي لله، فإنه بنى أمره على أنه ولي الله، وان ولي الله لا يخالف في شيء، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله، كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك؟!)[2]
- (أن الكرامة تكون بحسب حاجة الولي، فتكون معونة له على أمر ديني أو دنيوي، وأما المعجزة فإنها لا تكون إلا لحاجة الخلق وهدايتهم)[3].

وليس كل خارق للعادة كرامة، فقد يكون من الأحوال الشيطانية؛ كما قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: (وتجد كثيرا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليا لله أنه قد صدر عنه مكاشفه في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة؛ مثل أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها، أو يمشي على الماء أحيانا، أو يملأ إبريقا من الهواء، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب، أو يختفي أحيانا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه، فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق لهم، أو بحال غائب لهم أو مريض، أو نحو ذلك من الأمور، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي الله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وموافقته لأمره ونهيه.

وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة –وإن كان قد يكون صاحبها وليا لله– فقد يكون عدوا لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار، والمشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل

---

[1] انظر النبوات، (١٤٣/١).

[2] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص(٧٨).

[3] انظر شرح الواسطية، لمحمد خليل هراس، ص(٢٥٤).

من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي الله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم، وأفعالهم، وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة، وشرائع الإسلام الظاهرة.

مثال ذلك: أن الأمور المذكورة وأمثالها، قد توجد في أشخاص، ويكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة، بل يكون ملابسا للنجاسات، معاشرا للكلاب، يأوي إلى الحمامات، والقمامين، والمقابر، والمزابل، رائحته خبيثة، لا يتطهر الطهارة الشرعية، ولا يتنظف ...)[١].

---

[١] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص (٧٨-٧٩).

المبحث الثاني: بيان نماذج من كرامات الأولياء التي جاء ذكرها في القصص النبوي عن الأمم الماضية:

لقد تضمن القصص النبوي عن الأمم الماضية الكثير من كرامات الأولياء، ومن ذلك ما ورد في القصص الآتية:

القصة الأولى: قصة الثلاثة الذين انحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم فتحة الغار فدعوا ربهم بصالح أعمالهم حتى انفرجت الصخرة وخرجوا يمشون.[1]

وجه الدلالة:

فالله –عز وجل– استجاب دعاء هؤلاء الثلاثة، وتوسلهم بأعمالهم الصالحة التي جعلوها بين يدي دعائهم، فانزاحت الصخرة العظيمة –التي ما كان لهم أن يستطيعوا تحريكها، ولا يوجد من يغيثهم منها– وخرجوا يمشون.

القصة الثانية: قصة السحابة التي أمرت أن تسقي حديقة الرجل الصالح[2].

وجه الدلالة:

كرامة هذا الرجل أن الله سخر له السحاب ليسقي حديقته، كما مهد للماء الطريق ليصل إلى حديقته.

القصة الثالثة والرابعة: قصة جريج العابد، والمتكلم في المهد الذي دعا الله ألا يجعله كالجبار[3].

وجه الدلالة:

هذا الحديث ذكر فيه عدد من الكرامات لعدد من الأولياء، فأولها كانت لنبي الله عيسى –عليه السلام– بأن تكلم في المهد، وهذه كانت معجزة من معجزاته –عليه السلام–، وكرامة لأمه حيث أن في كلامه وهو في المهد تبرئة لها مما اتهمت به من اقتراف الفاحشة.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٣).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٨).

[3] تقدم تخريجه، (ص٤٣).

ثم الكرامة الثانية كانت لجريج لما اتهمته المرأة البغي بالفاحشة وصدقها الناس، فأنطق الله الصبي الذي في المهد، فقال أمام الناس بأن أباه هو الراعي.

وأما الغلام الثالث الذي تكلم في المهد، فكان في كلامه كرامة له، وكرامة للمرأة التي اتهمت بالسرقة والزنى، فكان في نطقه تبرئة لها.

القصة الخامسة: قصة الرجل الذي استلف ألف دينار[١].

وجه الدلالة:

الكرامة هنا لهذا الرجل المقترض، حيث استجاب الله له في حفظ المال وإيصاله لصاحبه، فالله تولى حفظ هذه الخشبة التي تحمل المال في جوفها حتى وصلت بالمال إلى يد صاحبه، فهو الذي وجه الرياح وأمواج البحر كي تحمل الخشبة إلى مدينة صاحب المال، وهو الذي أخرج صاحب المال في ساعة وصول الخشبة، وأوجد فيه الدافع لالتقاطها ثم نشرها حتى وجد المال والصحيفة بداخلها.

القصة السادسة: قصة أصحاب الأخدود[٢].

وجه الدلالة:

وهذه القصة اشتملت على عدد من الكرامات التي أجراها الله على يد هذا الغلام، فقد استجاب الله له في قتل الدابة التي عجز عنها الناس، وأجرى على يديه إبراء الأكمه والأبرص، ومداواة المرضى، واستجاب الله دعاءه وخلصه من القتل ومن أعوان الملك الذين أمرهم بقتله، وجعل الملك لا يستطيع حيلة إلى قتله إلا بالطريقة التي دله عليها الغلام، والتي فيها إقرار بربوبية الله –عز وجل.

كذلك جاء في القصة كرامة للمرأة التي تقاعست عن الوقوع في النار، فقد ثبتها الله بإنطاق صبيها الذي قال لها: يا أمه اصبري فإنك على الحق.

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٣١).

[٢] تقدم تخريجه، (ص٢٧).

القصة السابعة: قصة الرجل الذي أحبه الله لحبه لأخيه[1].

وجه الدلالة:

الكرامة هنا أن الله أرسل إلى هذا الرجل الذي أراد زيارة أخ له في قرية أخرى ملكا ليخبره أن الله يحبه كما أحب هو أخاه.

[1] تقدم تخريجه، (ص٤١).

المبحث الثالث: بيان عظم ثواب من اتبع رسالة محمد –صلى الله عليه وسلم–؛وخاصة أهل الكتاب:

بين الله تعالى في كتابه عظم ثواب من اتبع رسالة محمد –صلى الله عليه وسلم– من أهل الكتاب في عدد من الآيات، قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ المائدة: ٨٢ – ٨٥.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٩.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ القصص: ٥٢ – ٥٥

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على عظم ثواب من اتبع رسالة محمد —صلى الله عليه وسلم-؛وخاصة أهل الكتاب:

كما دلت قصة الرهبانية عند النصارى على عظم ثواب من اتبع رسالة محمد —صلى الله عليه وسلم-؛ وخاصة أهل الكتاب، فجاء فيها: (فلما بُعِث النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يبق منهم إلا قليل، انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من ديره، فآمنوا به وصدقوه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ الحديد: ٢٨: أجرين، بإيمانهم بعيسى عليه السلام، وبالتوارة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وتصديقهم)[١].

وجه الدلالة:

بينت هذه القصة عظم ثواب من اتبع رسالة محمد —صلى الله عليه وسلم- من أهل الكتاب، فقد دلت على أن من آمن منهم بمحمد —صلى الله عليه وسلم- له أجران، أجر بإيمانه بعيسى -عليه السلام-، وبالتوارة والإنجيل، وأجر بإيمانه بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وتصديقه له.

فقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ الحديد: ٢٨

المعنى: (يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، خافوا الله بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، وآمنوا برسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-، وقوله: ﴿ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ ، يعطكم ضعفين من الأجر، لإيمانكم بعيسى -صلى الله عليه وسلم-، والأنبياء قبل محمد -صلى الله عليه وسلم-، ثم إيمانكم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- حين بعث نبيا)[٢].

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٤٥).

[٢] تفسير الطبري، (٢٣/٢٠٧-٢٠٨).

وعن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه–، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي –صلى الله عليه وسلم– فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها، فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران)[١].

[١] رواه البخاري، رقم(٣٠١١)، في الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، ومسلم، رقم (١٥٤)، في الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته.

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الموت وقبض الروح.

المبحث الثاني: ثبوت عذاب القبر.

المبحث الثالث: من علامات الساعة تكليم السباع للإنس.

المبحث الرابع: قدرة الله على البعث والإحياء بعد الموت.

المبحث الخامس: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما موجودتان الآن.

المبحث الأول: الموت وقبض الروح.

أولا: بيان حقيقة الروح، وأن الموت يكون بمفارقة الروح للبدن:

(الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف؛ وإنما هو مفارقة الروح للبدن، وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار)[1]، فالإنسان عبارة عن روح وبدن، وموت الإنسان إنما يكون بمفارقة الروح للبدن، (والأرواح مخلوقة بلا شك وهي لا تعدم ولا تفنى؛ ولكن موتها مفارقة الأبدان وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان)[2].

أما عن حقيقة الروح فقد ذكر ابن القيم –رحمه الله– بعدما ساق أقوال الناس في حقيقة الروح: (أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح، وهذا القول هو الصواب في المسألة وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة)[3].

وذكر ابن القيم –رحمه الله– مسألة أن الروح هل تموت أم الموت للبدن وحده، فقال –رحمه الله– : (اختلف الناس في هذا، فقالت طائفة: تموت الروح وتذوق الموت؛ لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت، قالوا: وقد دلت الأدلة على أنه لا يقبى إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الرحمن: ٢٦ - ٢٧ ، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ

[1] انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، (ص١١١).

[2] مجموع الفتاوى، (٤/٢٧٩).

[3] (الروح، ص١٧٨-١٧٩).

﴿ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾القصص: ٨٨ ، قالوا وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت، قالوا: وقد قال تعالى عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ غافر: ١١ فالموتة الأولى هذه المشهودة وهي للبدن والأخرى للروح.

وقال آخرون لا تموت الأرواح فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠ هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم، وقد ذاقت الموت.

والصواب أن يقال موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهى لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب)[١].

فتبين من هذا النقل مستقر الارواح بعد مفارقتها للأبدان، (فأرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار؛ تنعم أرواح المؤمنين وتعذب أرواح الكافرين إلى أن تعاد إلى الأبدان)[٢].

---

[١] الروح، (ص٣٤).

[٢] مجموع الفتاوى، (٤/٣١١).

ثانيا: نصوص القصص النبوي عن الأمم الماضية التي ذكر فيها الموت وقبض الأرواح:

جاء ذكر الموت في أكثر من موضع في القصص النبوي عن الأمم الماضية، ومن ذلك:

- قصة الرجل الذي قتل مائة نفس: (فانطلق حتى إذا نصف الطريق، أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب) [١].
- قصة الذي خرجت به قرحة فقتل نفسه: (إن رجلا ممن كان قبلكم خرجت به قرحة، فلما آذته انتزع سهما من كنانته فنكأها، فلم يرقأ الدم حتى مات، قال ربكم: «قد حرمت عليه الجنة») [٢].
- قصة الرجل الذي أمر أولاده بحرقه إذا مات: (كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت، قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله، لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات فُعِل به ذلك) [٣].
- قصة المتألي على الله: (كان في بني إسرائيل رجلان متواخيان، أحدهما مذنب، والآخر في العبادة مجتهد، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوما على ذنب، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبا؟ فقال له: والله، لا يغفر الله لك - أو قال: لا يدخلك الجنة - فقبض الله أرواحهما) [٤].

وجه الدلالة:

هذه النصوص تدل بمجموعها على أن الموت يكون بخروج الروح من البدن؛ كما سبق بيانه في بداية المبحث.

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٢٣).

[٢] تقدم تخريجه، (ص٣٢).

[٣] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

[٤] تقدم تخريجه، (ص٣٤).

المبحث الثاني: ثبوت عذاب القبر:

أولا: بيان ثبوت عذاب القبر ونعيمه بالكتاب والسنة والإجماع:

فمن الكتاب:

أورد البخاري –رحمه الله– في كتاب الجنائز[1]، باب ما جاء في عذاب القبر، وساق في الترجمة قوله تعالى: ﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ ﴾ الأنعام: ٩٣ ، وقوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾ التوبة: ١٠١ . وقوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر: ٤٥ - ٤٦.

فالآية الأولى التي ذكرها البخاري تدل على تعذيب الملائكة للكفار وهم في حال الاحتضار[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾ التوبة: ١٠١ أي: (سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين، إحداهما في الدنيا، والأخرى في القبر)[3]، (ثم يرد هؤلاء المنافقون، بعد تعذيب الله إياهم مرتين، إلى عذاب عظيم، وذلك عذاب جهنم)[4].

وقوله تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر: ٤٥ - ٤٦ ، قال القرطبي

---

[1] صحيح البخاري، (٢/٩٧).

[2] انظر تفسير ابن كثير، (٣/٢٧١)، وفتح الباري، (٣/٢٣٣).

[3] تفسير الطبري، (١٤/٤٤١).

[4] المصدر نفسه، (١٤/٤٤٥).

–رحمه الله–: (والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ. احتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾ ما دامت الدنيا. كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل[1] ومحمد بن كعب[2] كلهم قال: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر: ٤٥ ـ ٤٦ [3].

وأما ما جاء من السنة (فقد تواترت الأخبار عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا)[4].

ومما ورد في السنة ما يلي:

-عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: دخل علي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعندي امرأة من اليهود، وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وقال: (إنما تفتن يهود) قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله –

---

[1] هو مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي، من أعلام المفسرين، كان متروك الحديث، من مصنفاته: نوادر التفسير، ومتشابه القرآن، والناسخ والمنسوخ، وتوفي سنة ١٥٠هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٧/٢٠١).

[2] هو الإمام، العلامة، محمد بن كعب بن حيان بن سليم القرظي، من التابعين، من أعلام المفسرين، اختلف في سنة وفاته، فقيل ١٠٨هـ، وقيل ١١٨هـ، وقيل غيرذلك. (انظر سير أعلام النبلاء، ٥/٦٥).

[3] تفسير القرطبي، (١٥/٣١٩).

[4] شرح الطحاوية، (ص٣٩٥).

صلى الله عليه وسلم-: (هل شعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور؟) قالت عائشة: (فسمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد يستعيذ من عذاب القبر)[1].

- وعن قتادة، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنه حدثهم: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد -صلى الله عليه وسلم-، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا - قال قتادة: وذكر لنا: أنه يفسح له في قبره، سبعون ذراعا، ويملأ عليه خضرا، إلى يوم يبعثون، ثم رجع إلى حديث أنس - قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)[2].

-وعن ابن عباس —رضي الله عنهما- قال: مر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على قبرين فقال: (أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله)، قال فدعا بعسيب[3] رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال: (لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا)[4].

وأما دليل الإجماع، فقد نقل ابن تيمية -رحمه الله- الإجماع على ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وأنه لم يخالف فيه إلا قليل من أهل البدع، قال —رحمه الله-: (مذهب سائر المسلمين بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى، وقيام الناس من قبورهم، والثواب والعقاب هناك، وإثبات الثواب

---

[1] رواه البخاري، رقم (١٣٧٢)، في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم، رقم (١٢٣)، في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

[2] رواه البخاري، رقم (١٣٧٤)، في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم، رقم (٢٨٧٠)، في الجنة وصفة نعيمه وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

[3] (العسيب): أي جريدة من النخل. وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص. (النهاية، ٢٣٤/٣).

[4] رواه البخاري، رقم (١٣٧٨)، في الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، ومسلم رقم (٢٩٢) في الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

والعقاب في البرزخ –ما بين الموت إلى يوم القيامة–، هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة؛ وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع)[1].

---

[1] مجموع الفتاوى، (٢٦٢/٤).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على ثبوت عذاب القبر:

قصة الرجل التكبر الذي خسف الله به الأرض، وفيها: (إن رجلا ممن كان قبلكم يتبختر في حلة، تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)[1].

وجه الدلالة:

الحديث فيه دلالة على ثبوت عذاب القبر، وعلى أن عذاب القبر منه ما يدوم ويستمر، ومن ذلك عذاب هذا الرجل المتكبر في قبره، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة، والنوع الثاني منه إلى مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب[2].

كما دل الحديث على وقوع عذاب القبر على الروح والجسد جميعا، قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: (العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل به، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن)[3].

(وأرواح المؤمنين في الجنة؛ وإن كانت مع ذلك قد تعاد إلى البدن؛ كما أنها تكون في البدن ويعرج بها إلى السماء كما في حال النوم. أما كونها في الجنة ففيه أحاديث عامة؛ وقد نص على ذلك أحمد وغيره من العلماء)[4]، فمن ذلك ما جاء عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (إنما

---

[1] تقدم تخريجه، (٣٩).

[2] انظر الروح، لابن القيم، (ص٨٩).

[3] مجموع الفتاوى، (٢٨٢/٤).

[4] المصدر نفسه، (٤٤٧/٥).

نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه)[1] فأخبر أنه يعلق في شجر الجنة حتى يرجع إلى جسده -يعني في النشأة الآخرة-، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن الميت إذا وضع في قبره ....، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورا، ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسرورا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا، وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدأ منه، فتجعل نسمته في النسم الطيب وهي طير يعلق في شجر الجنة)[2] فالروح كما يدل عليه الحديث تعاد إلى الجسد بعد الرحلة إلى السماء، ثم تسأل، ثم تكون طيرا يعلق بشجر الجنة إلى أن يبعث العباد، ومع كونها في الجنة فإنه يبقى لها تعلق بالجسد، كحال الإنسان في النوم، فإنها تجول في ملكوت السماوات والأرض، مع أن لها تعلقا بالجسد، وفقه هذا مبني على معرفة أن الروح مخالفة للأجساد وللمعهود من حال المخلوقات الدنيوية، فهي تتصل بالبدن متى شاء الله تعالى، وهي في تلك بمنزلة نزول الملك، وظهور الشعاع في الأرض، وانتباه النائم[3].

---

[1] رواه أحمد في مسنده، (٥٧/٢٥)، رقم (١٥٥٧٨)، والنسائي، رقم (٢٠٧٣)، في الجنائز، باب أرواح المؤمنين، وابن ماجه ، رقم (٤٢٧١)، في الزهد، باب ذكر القبر والبلى، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٤٦٨/١)، رقم (٢٣٧٣).

[2] رواه ابن حبان في صحيحه، رقم (٣١٠٣)، في الصلاة، فصل في احوال الميت في قبره، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، (٩٥/٥).

[3] انظر مجموع الفتاوى، (٤٤٨/٥-٤٤٩)، و(٣٦٥/٢٤)، والقيامة الصغرى للأشقر، ص(١٠٦).

المبحث الثالث: من علامات الساعة تكليم السباع للإنس.

أولا: ما جاء في تكليم السباع والجمادات للإنس وأن ذلك من أشراط الساعة:

من علامات الساعة تكليم السباع للإنسان، وكذلك الجمادات، وتكلم بعض أجزاء الإنسان وإخبارها للإنسان بما أحدثه أهله بعده.

فعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (والذي نفسي بيده؛ لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عَذَبَةُ سوطه[١]، وشراك نعله، وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده)[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: (جاء ذئب إلى راعي غنم، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، حتى انتزعها منه. قال: فصعد الذئب على تل، فأقعى واستذفر[٣]، فقال: عمدتَ إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته مني، فقال الرجل: تالله؛ إن رأيت كاليوم ذئبا يتكلم! قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين[٤] يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم! وكان الرجل يهوديا، فجاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، فأسلم، وأخبره، فصدقه النبي –صلى الله عليه وسلم–، ثم قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)[٥].

---

[١] (عذبة سوطه): السير المعلق في طرفه. (جامع الأصول، ٣٩٣/١٠).

[٢] رواه أحمد في مسنده، (٣١٥/١٨)، رقم (١١٧٩٢) ، والترمذي، رقم (٢١٨١)، في الفتن، باب ما جاء في كلام السباع، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٧٠٨٣).

[٣] (استذفر) أي: اشتد عزمه على الأمر، وصلب له. (انظر المعجم الوسيط، ٣١٢/١).

[٤] (الحرتان): المدينة بين حرتين عظيمتين، والحرة، هي الأرض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها. (انظر النهاية: ٢٧٤/٤).

[٥] رواه أحمد في مسنده، (٤٢٥/١٣)، رقم (٨٠٦٣)، وصححه الألباني في المشكاة، (١٦٦٦/٣)، رقم (٥٩٢٧).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية من الدلالة على وقوع تكليم السباع للإنس:

قصة البقرة التي كلمت راكبها، والذئب الذي كلم الراعي والتي جاء فيها: (بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث) فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم، فقال: (فإني أومن بهذا، أنا وأبو بكر، وعمر، -وما هما ثم- وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب، فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب هذا: استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري)[1].

وجه الدلالة:

هذه القصة التي حدَّث بها النبي -صلى الله عليه وسلم- تختلف عن قصة الرجل اليهودي الذي كلمه الذئب والتي سبق ذكرها، فإن قصة اليهودي قد وقعت في حياته -صلى الله عليه وسلم- ، بينما هذه القصة التي تكلمت فيها البقرة، وتكلم فيها الذئب إنما هي قصة يحدث بها النبي -صلى الله عليه وسلم- عما وقع في الأمم الماضية، وهي تؤيد ما وقع من تكليم الذئب لهذا الرجل اليهودي في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد فطن لهذا الفرق السلف -رحمهم الله-، فقد خرج البخاري -رحمه الله- هذه القصة في صحيحه في كتاب الأنبياء، في باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

قال النووي -رحمه الله-: (رُوِيَ السَّبُعِ بضم الباء وإسكانها، والأكثرون على الضم، قال القاضي: الرواية بالضم، وقال بعض أهل اللغة: هي ساكنة، وَجَعْلُهُ اسما للموضع الذي عنده المحشر يوم القيامة، أي من لها يوم القيامة، وأنكر بعض أهل اللغة أن يكون هذا اسما ليوم القيامة، وقال بعض أهل اللغة يقال سَبَّعْتُ الْأَسَدَ إذا دَعَوْتَهُ، فالمعنى على هذا من لها يوم الفزع، ويوم القيامة يوم الفزع، ويحتمل أن يكون المراد من لها يوم الإهمال من أَسَبَعْتَ الرَّجُلَ أَهْمَلْتَهُ، وقال بعضهم: يوم السبْع بالإسكان عيد كان لهم في الجاهلية يشتغلون فيه بلعبهم فيأكل الذئب

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٦).

غنمهم، وقال الداودي[1]: يوم السَّبُعِ أي يوم يطردك عنها السَّبُع وبقيتُ أنا لها لا راعي لها غيري لفرارك منه فأفعل فيها ما أشاء، هذا كلام القاضي، وقال ابن الأعرابي[2]: هو بالإسكان أي يوم القيامة أو يوم الذعر، وأنكر عليه آخرون هذا، لقوله يوم لا راعي لها غيري، ويوم القيامة لا يكون الذئب راعيها ولا له بها تعلق[3]، والأصح ما قاله آخرون وسبقت الإشارة إليه من أنها عند الفتن حين تتركها الناس هملا لا راعي لها نهبة للسباع، فجعل السبع لها راعيا أي منفردا بها وتكون بضم الباء والله أعلم)[4].

---

[1] هو أحمد بن نصر الداودي الأسدي، من أئمة المالكية بالمغرب، ألف كتابه النامي في شرح الموطأ، والواعي في الفقه، والنصحية في شرح البخاري، والإيضاح في الرد على القدرية وغير ذلك، وتوفي بتلمسان سنة ٤٠٢هـ. (انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ١/١٦٥-١٦٦).

[2] هو محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، من أكابر أئمة اللغة، من أهل الكوفة، له تصانيف كثيرة، منها: أسماء الخيل وفرسانها، وتاريخ القبائل، والنوادر في الأدب، وتفسير الأمثال، وشعر الأخطل، توفي سنة ٢٣٠هـ. (انظر معجم الأدباء، ٦/٢٥٣٠-٢٥٣٤).

[3] انظر تهذيب اللغة، (٢/٢٧٠)، ولسان العرب، (٨/١٤٨)، والقاموس المحيط، (ص٧٢٦).

[4] شرح صحيح مسلم، للنووي، (١٥/١٥٧).

المبحث الرابع: قدرة الله على البعث والإحياء بعد الموت.

أولا:حكم الإيمان بالبعث وأدلته:

(البعث هو المعاد، وقيام الأرواح والأجساد، يوم القيامة)[1] للحساب والجزاء، و(المعاد الجسماني حق واقع، وصدق صادق، دل عليه النقل الصحيح، ولم يمنعه العقل، فوجب الإيمان به، والتصديق بموجبه، لأنه جاء في السماع الصحيح المنقول، ودل عليه عند الجمهور صريح المعقول، وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ يس: ٧٩ ، إلى غير ذلك من النصوص القرآنية القطعية والأحاديث الساطعة النبوية)[2].

(ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى)[3]، (وقد أنكره الطبائعيون[4] والدهرية[5] والملحدة وفيه تكذيب للنقل الصريح والعقل الصحيح على ما قرره المحققون من أهل الملة)[6]، (وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث فلا إيمان له ولا شهادة، وعلى تكفير من أنكر ذلك)[7]

---

[1] تفسير اين كثير، (٣٤٧/٥).

[2] لوامع الأنوار البهية، (١٥٧/٢).

[3] الروح، لابن القيم، (ص٥٢).

[4] (الطبائعيون): طائفة من الفلاسفة تنكر وجود الصانع، وتقول بأن الطبيعة هي الموجدة لهذا العالم. (انظر الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، لآمال بنت عبد العزيز العمرو، ص٣٩٥).

[5] (الدهرية): طائفة من الفلاسفة قائلة بقدم العالم، وإنكار الصانع، وقالوا إن العالم دائم، لم يزل ولا يزال. (انظر بيان تلبيس الجهمية ، (٣٧٧/١)، ودرء التعارض، (١٠٣/٨).

[6] لوامع الأنوار البهية، (١٥٧/٢).

[7] انظر التمهيد، لابن عبد البر، و الفصل في الملل والاهواء والنحل، (٦٦/٤).

وقد تعددت طرائق القرآن في إثبات البعث والرد على منكريه[1]، فمن ذلك ما يلي:

أولا: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ الحج: ٥ – ٧، وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ يس: ٧٨ – ٧٩.

ثانيا: الاستدلال بخلق السموات والأرض على إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩٨ – ٩٩.

ثالثا: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

---

[1] انظر مجموع الفتاوى، (٩/٢٢٤)، والحياة الآخرة، لغالب العواجي، (٢/٧٩)، ومنهج القرآن في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، لمنظور محمد رمضان، (ص٣٣).

الأعـــراف: ٥٧، وقـــال تعـــالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ فصلت: ٣٩.

رابعا: الاستدلال بوقائع حصل فيها الإحياء بعد الموت وشوهدت في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٩، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٠، وقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٣، ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٥٥ – ٥٦، ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ البقرة: ٧٢ – ٧٣.

خامسا: الاستدلال بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنـون: ١١٥، وقـال تعـالى: ﴿ أَيَحْسَبُ

﴿ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ القيامة: ٣٦ ــ ٤٠.

وأما النصوص التي جاءت من السنة في إثبات البعث والنشور فهي كثيرة جدا، فمن ذلك ما جاء عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني، كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد[1]، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كُفْئًا أحد)[2].

وعن حذيفة بن اليمان —رضي الله عنه– قال: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا أوى إلى فراشه، قال: (باسمك أموت وأحيا) وإذا قام قال: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[3].

عن أبي هريرة —رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (ما بين النفختين أربعون) قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت[4]، (ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون، كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة)[5].

---

[1] (الصمد): هو السيد الذي انتهى إليه السؤدد. وقيل هو الدائم الباقي. وقيل هو الذي لا جوف له. وقيل الذي يصمد في الحوائج إليه: أي يقصد. (النهاية: ٥٢/٣).

[2] رواه البخاري، رقم (٤٩٧٤)، في في تفسير سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴿١﴾ ﴾.

[3] رواه البخاري، رقم (٦٣١٢)، في الدعوات، باب ما يقول إذا نام.

[4] (أبيت): أي: أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوما أو سنة أو شهرا بل الذي أجزم به أنها أربعون. (شرح النووي على صحيح مسلم، ٩١/١٨).

[5] رواه البخاري، رقم (٤٩٣٥)، في التفسير، باب ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ **النبأ: ١٨**: زمرا، ومسلم رقم (٢٩٥٥) في الفتن، باب ما بين النفختين.

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على قدرة الله على البعث والإحياء بعد الموت:

جاء في قصة الرجل الذي أمر أولاده بحرقه إذا مات أن الله تعالى قال للأرض (اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك فغفر له بذلك)[1].

وجه الدلالة:

في هذا الحديث دلالة واضحة على قدرة الله على إحياء الموتى، ورد أرواحهم إلى أجسادهم، ولو كانت أجسادهم قد تقطعت وتمزقت وتفرقت في قاع البحار، أو بطون الحيوانات، أو تحولت إلى رماد أو تراب، كما قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ مريم: ٩٣ – ٩٥.

فقد بينت القصة قدرة الله تعالى على بعث هذا الرجل، بعد تمزق أجزائه وتفرقها، فجمعها الله تعالى، وبعث صاحبها.

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

المبحث الخامس: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما موجودتان الآن:

أولا: بيان أن الجنة والنار موجودتان الآن[1]:

(اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا[2]، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث، لأنها تصير معطلة مددا متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم)[3].

ومن أدلة الكتاب على أن الجنة والنار موجودتان الآن:

قوله تعالى عن الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣، ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ الحديد: ٢١، وعن النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ آل عمران: ١٣١، ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ ﴾ النبأ: ٢١ – ٢٢.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ النجم: ١٣ - ١٥ ، (وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى. كما في الصحيحين، من حديث أنس -رضي الله عنه- في قصة الإسراء، وفي آخره: (ثم انطلق

---

[1] انظر شرح الطحاوية، لابن أبي العز، (٤٢٠-٤٢٢).

[2] انظر الملل والنحل، (١/٤٥، ٧٣).

[3] المصدر نفسه، لابن أبي العز، (ص٤٢٠).

بي جبرائيل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك)[1] [2].وقد عقد البخاري –رحمه الله– في صحيحه باباً قال فيه: (باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة)[3]، وساق في هذا الباب أحاديث تدل على أن الجنة مخلوقة موجودة الآن، وعقد بابا آخر في صحيحه قال فيه: (باب صفة النار وأنها مخلوقة)[4]، وساق في هذا الباب أحاديث تدل على أن النار مخلوقة موجودة الآن، ومن النصوص التي ذكرها رحمه الله– في هذا الباب والتي تدل على أن الجنة والنار موجودتان الآن ما يلي:

عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إذا مات أحدكم، فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار)[5].

عن عمران بن حصين[6] –رضي الله عنه–، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)[1]، وقوله (اطلعت في الجنة) فإنه يدل على أنها موجودة حالة اطلاعه)[2].

---

[1] رواه البخاري، رقم (٣٣٤٢)، في أحاديث الأنبياء، باب ذكر إدريس –عليه السلام–، ومسلم، رقم (٢٦٣)، في الإيمان، باب الإسراء برسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى السماوات، وفرض الصلوات.

[2] شرح الطحاوية، لابن أبي العز، (ص٤٢١).

[3] صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، (٤/١١٦).

[4] المصدر نفسه، كتاب بدء الخلق، (٤/١٢٠).

[5] رواه البخاري، رقم (٣٢٤٠)، في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم، رقم (٢٨٦٦)، في صفة القيامة والجنة والنار، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

[6] هو عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي، صحابي جليل، روى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– عدة أحاديث، وكان إسلامه عام خيبر، وغزا عدة غزوات، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، أسلم قديما هو وأبوه وأخته، وكان ينزل ببلاد قومه، ثم تحول إلى البصرة إلى أن مات بها سنة اثنتين وخمسين، وقيل سنة ثلاث. (انظر الإصابة، ٤/٥٨٦).

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: بينا نحن عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، إذ قال: (بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته، فوليت مدبرا، فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله)[٣]

(قوله: (رأيتني في الجنة) وهذا وإن كان مناما لكن رؤيا الأنبياء حق، ومن ثم أعمل حكم غيرة عمر، حتى امتنع من دخول القصر)[٤].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: قال الله: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)[٥].

وعن أبي سعيد –رضي الله عنه– قال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم)[٦].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير)[١].

---

[١] رواه البخاري، رقم (٣٢٤١)، في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم، رقم (٢٧٣٧)، في الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء.

[٢] فتح الباري، (٣٢٣/٦).

[٣] رواه البخاري، رقم (٣٢٤٢)، في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم، رقم (٢٣٩٦)، في الفضائل، باب من فضائل عمر –رضي الله تعالى عنه–.

[٤] فتح الباري، (٣٢٣/٦).

[٥] رواه البخاري، رقم (٣٢٤٤)، في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ومسلم، رقم (٢٨٢٤)، في الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

[٦] رواه البخاري، رقم (٣٢٥٩)، في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ومسلم، رقم (٦١٥)، في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة، ويناله الحر في طريقه.

قال ابن حجر –رحمه الله– عن هذين الحديثين: (وهذه الأحاديث من أقوى الأدلة على ما ذهب إليه الجمهور من أن جهنم موجودة الآن)[٢].

وهناك نصوص أخرى صحيحة صريحة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن غير التي استدل بها البخاري –رحمه الله– في هذا الباب، فمنها:

ما جاء عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل –عليه السلام– إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فرجع، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: اذهب إليها فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فنظر إليها، فإذا هي قد حفت بالمكاره، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. قال: اذهب فانظر إلى النار وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضا، فرجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد. فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع فانظر إليها. فنظر إليها فإذا هي قد حفت بالشهوات، فرجع وقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها)[٣].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر –رحمه الله– عن هذا الحديث أنه أصرح من الأحاديث التي ذكرها البخاري في هذا الباب[٤].

وعن كعب بن مالك الأنصاري[١] – وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم – كان يحدث أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه)[٢]، وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة.

---

[١] رواه البخاري، رقم (٣٢٦٠)، في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، ومسلم، رقم (٦١٧)، في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة، ويناله الحر في طريقه.

[٢] فتح الباري، (٦/٣٣٣).

[٣] رواه أحمد في المسند، (١٤/١٢٥)، رقم (٨٣٩٨)، وأبو داود، رقم (٤٧٤٤)، في السنة، باب في خلق الجنة والنار، وصححه الالباني في صحيح الجامع، (٢/٩٢٦)، رقم (٥٢١٠).

[٤] انظر فتح الباري، (٦/٣٢٠).

وعن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–، قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فصلى، قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت، قال: (إني رأيت الجنة، أو أريت الجنة، فتناولت منها عنقودا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر كاليوم منظرا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء) قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: (بكفرهن) قيل: يكفرن بالله؟ قال: (يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط)[٣].

---

[١] هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاري السلمي الخزرجي، كان شاعرا مشهورا، وشهد العقبة وبايع بها وتخلّف عن بدر وشهد أحدا وما بعدها، وتخلّف في تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، مات بالشام في خلافة معاوية. (انظر الإصابة، ٥/٤٥٦–٤٥٧).

[٢] رواه أحمد في مسنده، (٢٥/٥٧)، رقم (١٥٥٧٨)، والنسائي، رقم (٢٠٧٣)، في الجنائز، وابن ماجه ، رقم (٤٢٧١)، في الزهد، باب ذكر القبر والبلى، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١/٤٦٨)، رقم (٢٣٧٣).

[٣] رواه البخاري، رقم (٥١٩٧)، في النكاح، باب باب كفران العشير وهو الزوج، ومسلم، رقم (٩٠٧)، في الكسوف، باب ما عرض على النبي –صلى الله عليه وسلم– في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن:

القصة الأولى: قصة الرجل الذي أزاح عصن الشوك عن طريق المسلمين، وجاء فيها: (لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من طريق المسلمين، كانت تؤذي الناس)[1].

وفي رواية: (نزع رجل لم يعمل خيرا قط غصن شوك عن الطريق، إما كان في شجرة فقطعه وألقاه، وإما كان موضوعا فأماطه، فشكر الله له بها، فأدخله الجنة)[2].

وجه الدلالة:

في هذه القصة دلالة على أن الجنة موجودة الآن؛ وذلك لأن الله أدخلها لهذا الرجل جزاء على فعله.

-القصة الثانية: قصة المتألي على الله، وفيها أن الله قال للمذنب: (اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة: تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه، وآخرته)[3].

وجه الدلالة:

هذه القصة كذلك دلت على أن الجنة والنار موجودتان الآن، لأن الله تعالى قال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار.

-القصة الثالثة: قصة المرأة التي دخلت النار في هرة، وجاء فيها: (عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)[4]، وقد رأى النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه المرأة التي عذبت الهرة في النار، وذلك عندما رأى الجنة والنار في صلاة الكسوف، فعن أسماء بنت أبي بكر الصديق –رضي الله عنهما–: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– صلى صلاة الكسوف، فقام فأطال القيام،

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٢).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٢).

[3] تقدم تخريجه، (ص٣٤).

[4] تقدم تخريجه، (ص٣٥).

ثم ركع فأطال الركوع، ثم قام فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع، ثم سجد، فأطال السجود، ثم رفع، ثم سجد، فأطال السجود، ثم قام، فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع فأطال القيام ثم ركع، فأطال الركوع، ثم رفع، فسجد، فأطال السجود، ثم رفع، ثم سجد، فأطال السجود، ثم انصرف، فقال: (قد دنت مني الجنة، حتى لو اجترأت عليها، لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت مني النار حتى قلت: أي رب، وأنا معهم؟ فإذا امرأة – حسبت أنه قال – تخدشها هرة، قلت: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعا، لا أطعمتها، ولا أرسلتها تأكل – قال نافع: حسبت أنه قال: من خشيش – أو خشاش الأرض)[1].

وجه الدلالة:

رؤية النبي –صلى الله عليه وسلم– للجنة والنار وهو في الدنيا، ورؤيته للمرأة التي حبست الهرة في النار وهي تعذب فيه دلالة واضحة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٦).

الفصل الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالقدر

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أن العلم من مراتب الإيمان بالقدر، ونقض عقيدة الرافضة في البداء.

المبحث الثاني: بيان أن العمل سبب لدخول الجنة؛ وأنه ليس بمثابة العوض والثمن لها.

المبحث الثالث: بيان وجوب التسليم لقضاء الله وقدره.

المبحث الرابع: من منازل الإيمان الصبر على أقدار الله.

المبحث الأول: بيان أن العلم من مراتب الإيمان بالقدر، ونقض عقيدة الرافضة في البداء:

أولا: بيان مراتب الإيمان بالقدر، وأن العلم من هذه المراتب:

الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب في سؤال جبريل -عليه السلام- الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال (أي جبريل عليه السلام) : صدقت)[1].

وتحقيق الإيمان بالقدر لا يتم إلا بالإقرار بأربعة مراتب أو أركان، من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

الرابعة: خلقه لها[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد. وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه؛ بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئا إلا وهو قادر عليه. وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق

---

[1] رواه مسلم، رقم (٨)، في الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله.

[2] انظر شفاء العليل، (ص٢٩).

قبل أن يخلقهم: قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون)[1].

فالمرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر هي (الإيمان بعلم الله -عز وجل- المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته، ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب ، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ الحشر: ٢٢، وقال تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ الطلاق: ١٢، وقال تعالى: ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ الجن: ٢٨، وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ ﴾ سبأ: ٣، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ النجم: ٣٠ ، وقال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم: ٣٢، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ العنكبوت: ١٠)[2].

---

[1] مجموع الفتاوى، (٨/٤٤٩-٤٥٠).

[2] معارج القبول، (٣/٩٢٠).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أولاد المشركين فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين)[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في قوله -صلى الله عليه وسلم- في أبناء المشركين: (الله أعلم بما كانوا عاملين): (أي يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر لو بلغوا، ثم إنه جاء في حديث إسناده مقارب عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا كان يوم القيامة فإن الله يمتحنهم، ويبعث إليهم رسولاً في عرصة القيامة، فمن أجابه أدخله الجنة، ومن عصاه أدخله النار) فهنالك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه، ويجزيهم على ما ظهر من العلم، وهو إيمانهم وكفرهم، لا على مجرد العلم)[2].

وعن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: (نعم). قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: (كل يعمل لما خلق له) أو (لما يسر له)[3].

(والدليل العقلي على علمه تعالى: أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل، ولأن إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد: هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزما للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم. ولأن المخلوقات فيها من الأحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم)[4].

---

[1] رواه البخاري، رقم (٦٥٩٧)، في القدر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، ومسلم، رقم (٢٦٦٠)، في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين.

[2] مجموع الفتاوى، (٢٤٦/٤).

[3] رواه البخاري، رقم (٦٥٩٦)، في القدر، باب جف القلم على علم الله، ، ومسلم، رقم (٢٦٤٩)، في القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

[4] شرح الطحاوية، (ص٩٩).

ثانيا: نقض عقيدة الرافضة في البداء[1]:

(من أصول الشيعة الاثني عشرية القول بالبداء على الله سبحانه وتعالى حتى بالغوا في أمره، فقالوا: (ما عُبِد الله بشيء مثل البداء)[2].

ويطلق البداء في اللغة على معنيين:

المعنى الأول: (الظهور بعد الخفاء) .

ففي لسان العرب: (بدا الشيء يبدو بدواً، وبُدُوًّا، وبداءً، وبداً الأخيرة عن سيبويه: ظهر، وأبديته أنا: أظهرته)[3].

وقال ابن فارس -رحمه الله-: ((بدو) الباء والدال والواو أصل واحد، وهو ظهور الشيء. يقال: بدا الشيء يبدو: إذا ظهر، فهو باد)[4].

المعنى الثاني: (تغير الرأي عما كان عليه) .

قال ابن فارس: (تقول بَدَا لي في هذا الامر بَدَاءٌ: أي تغير رأيي عما كان عليه)[5].

وقال الجوهري: (بدا له في هذا الأمر بَدَاءً أي: نشأ له فيه رأي)[6].

---

[1] انظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد -، لناصر القفاري، (٢/٩٣٧)، و مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، (١/٣٤٤)، لناصر القفاري، والانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ل د. إبراهيم الرحيلي (٣٩_٤٣)، ومصطلحات في كتب العقائد، لمحمد الحمد، (ص٢٦١).

[2] أصول الكافي، كتاب التوحيد، باب البداء: ١/١٤٦، ابن بابويه/ التوحيد، باب البداء: ص٣٣٢، بحار الأنوار، كتاب التوحيد، باب البداء: ٤/١٠٧، (نقلا عن أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد -، لناصر القفاري).

[3] لسان العرب، (١٤/٦٥).

[4] معجم مقاييس اللغة، (١/٢١٢).

[5] المصدر نفسه، (١/٢١٢).

[6] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٦/٢٢٧٨).

وكلا المعنيين ورد في القرآن الكريم فمن الأول قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾البقرة: ٢٨٤.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ يوسف: ٣٥.

والبداء بمعنييه زعمته الشيعة وأطلقته في حق الله –عز وجل– تعالى عما يصفون.

(والبداء بمعنييه المتقدمين غير جائز على الله تعالى؛ لأنه يستلزم الجهل بالعواقب، وحدوث العلم. والله تعالى منزه عن ذلك)[1].

وسبب تعلق الشيعة و(قولهم بالبداء هو أن الاثني عشرية أشاعوا بين أتباعهم أن أئمتهم يعلمون الغيب، ولا يخفى عليهم الشيء؛ فيدعون أن الأئمة يقولون سيحدث كذا وكذا؛ فإن وقع الشيء على وفق ما قالوه _ قالوا: ألم نعلمكم أن هذا يكون؛ فنحن نعلم من قبل الله _ عز وجل _ ما علمته الأنبياء، وبيننا وبين الله _عز وجل_ مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت.

وإن وقع الشيء على خلاف ما قالوه _ قالوا لشيعتهم: بدا لله في ذلك فلم يُكَوِّنْه.

وهذا القول غاية في الخطورة؛ لأنهم بهذا المعتقد نزهوا المخلوق وهو الإمام عن الخلف في الوعد، والاختلاف في القول، والتغير في الرأي، ونشأة رأي جديد، ونسبوا ذلك إلى عالم الغيب والشهادة _ تعالى عما يقولون علواً كبيرا _.

فنزهوا المخلوق دون الخالق؛ لأن غلوهم في الأئمة لم يجعل لله _ جل شأنه _ وقاراً في قلوبهم؛ فتاهوا في ضروب الضلال)[2].

قال ابن تيمية –رحمه الله–: (فكثير من شيوخ الرافضة من يصف الله تعالى بالنقائص كما تقدم حكاية بعض ذلك، فزرارة بن أعين وأمثاله يقولون: يجوز البداء عليه وأنه يحكم بالشيء ثم يتبين

---

[1] الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، (ص٣٩).

[2] مصطلحات في العقيدة، (ص٢٦٣)، وانظر أصول مذهب الشيعة، (٩٤٣/٢)، ومسألة التقريب بين السنة والشيعة، (٣٤٥/١).

له ما لم يكن علمه فينتقض حكمه لما ظهر له من خطئه. فإذا قال مثل هؤلاء بأن الأنبياء والأئمة لا يجوز أن يخفى عليهم عاقبة فعلهم، فقد نزهوا البشر عن الخطأ مع تجويزهم الخطأ على الله، وكذلك هشام بن الحكم وزارة بن أعين وأمثالهما ممن يقول إنه يعلم ما لم يكن عالما به.
ومعلوم أن هذا من أعظم النقائص في حق الرب، فإذا قالوا مع ذلك: إن الأنبياء والأئمة لا يبدو لهم خلاف ما رأوا فقد جعلوهم لا يعلمون ما لم يكونوا يعلمونه في مثل هذا، وقالوا: بجواز ذلك في غيره)[1].

---

[1] منهاج السنة النبوية، (٢/٣٩٥).

ثالثا: بيان أن البداء الذي ورد في قصة الأبرص والأقرع والأعمى ليس معناه ما ذهبت إليه الشيعة من المعنى الباطل:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنه سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله عز وجل أن يبتليهم)[1].

اتفق أهل السنة على أن قوله (بدا لله أن يبتليهم) ليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيا لأن ذلك محال في حق الله تعالى.

ولأهل أهل السنة أقوال في بيان معنى هذه اللفظة[2]، فمن ذلك ما يلي:

الأول: (بدا لله) اي سبق في علمه.

قال ابن حجر –رحمه الله–: (بدا لله بتخفيف الدال المهملة بغير همز أي سبق في علم الله فأراد إظهاره، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيا، لأن ذلك محال في حق الله تعالى)[3]

الثاني:أن لفظة (بدا لله) من تغيير بعض الرواة وتصرفهم[4]، قال الألباني –رحمه الله–: (هذه رواية البخاري، وكأنها رواية بالمعنى فإن البداء لله مستحيل، ولذلك فسرها ابن الأثير بقوله: [أي قضى] . ويؤيده رواية مسلم [فأراد الله] . وهي رواية للبخاري فهي أصح.)[5]

الثالث: معنى لفظة (بدا لله) أي: قضى.

قال ابن الأثير: (وفي حديث الأقرع والأبرص والأعمى «بدا الله عز وجل أن يبتليهم» أي قضى بذلك، وهو معنى البداء ها هنا، لأن القضاء سابق. والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[2] حكى هذه الأقوال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، (٥٠٢/٦)، والإمام بدر الدين العيني في عمدة القاري، (٤٨/١٦).

[3] فتح الباري، (٥٠٢/٦).

[4] انظر المصدر نفسه، (٥٠٢/٦).

[5] صحيح الجامع الصغير وزياداته، (٤١١).

يعلم، وذلك على الله عز وجل غير جائز)[1].

وهذا القول هو الذي رجحه ابن حجر –رحمه الله– حيث قال: (وأولى ما يحمل عليه أن المراد قضى الله أن يبتليهم، وأما البدء الذي يراد به تغير الأمر عما كان عليه فلا)[2]

الرابع: أن ضبط الكلمة بالهمز (بدأ الله).

قال ابن الجوزي[3]: (وقد جاء في بعض ألفاظ الصحيح ولم يذكره الحميدي[4]: ((أن ثلاثة بدا الله أن يبتليهم)) كذلك رواه الخطابي وقال: معناه: قضى الله، وهو معنى البدء، لأن القضاء سابق. قال: وقد رواه بعضهم: ((بدا لله أن يبتليهم)) وهو غلط؛ لأن البداء على الله غير جائز)[5].

---

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر، (١٠٩/١).

[2] فتح الباري، (٥٠٢/٦).

[3] هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي؛ كان علامة عصره وإمام وقته، ولد سنة ٥٠٨هـ، وتوفي سنة ٥٩٧هـ، من مصنفاته: زاد المسير في علم التفسير، وتلبيس إبليس، وغريب الحديث، وصيد الخاطر. (انظر وفيات الأعيان، ١٤٠/٣-١٤٢).

[4] هو عبد الله بن الزبير الحميدي الأسدي، أحد الأئمة في الحديث، وهو شيخ البخاري، ورئيس أصحاب ابن عيينة، روى عنه البخاري ٧٥ حديثا، وذكره مسلم في مقدمة كتابه، وتوفي سنة ٢١٩هـ، وله مسند. (انظر سير أعلام النبلاء، ٦١٦/١٠-٦٢١).

[5] كشف المشكل من حديث الصحيحين، (٤٠٧/٣).

رابعا: دلالة القصص النبوي على المرتبة الثالثة من مراتب القدر وهي مشيئة الله النافذة:

المرتبة الثالثة من مراتب القدر هي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

(وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان)[1].

وقد دلت قصة الأبرص والأقرع والأعمى على هذه المرتبة في قوله —صلى الله عليه وسلم-: (إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، أراد لله عز وجل أن يبتليهم)[2].

وقد ذهب المحققون من أهل العلم إلى أن الإرادة الربانية تنقسم إلى نوعين[3]:

النوع الأول: إرادة كونية قدرية، وهي بمعنى المشيئة، ولابد من وقوعها، وعليها تحمل الإرادة المذكورة في قصة الابرص والأقرع والأعمى.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾الأنعام: ١٢٥، وقوله: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾الرعد: ١١.

النوع الثاني: إرادة شرعية دينية، وهي متعلقة بما يحبه الله ويرضاه.

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ البقرة: ١٨٥، وقوله: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ المائدة: ٦، ومن أهم ما يُفَرق به بين الإرادتين أن الإرادة الشرعية متعلقة بالمحبة، فكل ما يحبه الله ويرضاه فهو يريده، وأما الإرادة الكونية فلا يلزم منها المحبة لما يريد.

---

[1] شفاء العليل، (ص٤٣).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٠).

[3] انظر منهاج السنة النبوية، (٣/١٦-٢٠)، (٣/١٥٦-١٧٧)، وشفاء العليل، (ص٢٨٠).

فالإرادة الكونية قد تكون فيما لا يحبه الله ويرضاه كالشرور والمعاصي والكفر، فتكون في هذه الحالة مقصودة لغيرها لا لذاتها، فيحل بسببها محاب كثيرة، كالتوبة والجهاد ورفع الدرجات، وأما الإرادة الشرعية فهي مقصودة لذاتها.

كما أن الإرادة الكونية لابد من وقوعها، فهي مرادفة للمشيئة، فما شاءه الله فلابد من وقوعه، وأما الإرادة الشرعية فلا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا تقع.

وتجتمع الإرادتان معا فيما يحصل من الإيمان والعمل الصالح، فالمؤمن أراد الله إيمانه كونا وشرعا، وتنفرد الإرادتان فيما وقع من الكفر والشرور، فالله أراد إيمان الكافر شرعا، لكنه لم يرده كونا، وأراد كفر الكافر كونا ولم يرده شرعا.

المبحث الثاني: بيان أن العمل سبب لدخول الجنة، وأنه ليس بمثابة العوض والثمن لها.

أولا: بيان أن العمل سبب لدخول الجنة، وأنه ليس بمثابة العوض والثمن لها:

قال تعالى: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الأعراف: ٤٣ ، وقال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ السجدة: ١٩ ، وقال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الواقعة: ٢٢ ــ ٢٤.

ضلت القدرية في فهم هذه النصوص فجعلوها تدل على أن العمل بمثابة العوض والثمن لدخول الجنة (فأخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر، متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم، وكما يطلبه المماليك، وهؤلاء جهال ضلال، فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليه، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وهو سبحانه كما قال: (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)[1]، فالملك إذا أمر مملوكيه بأمر أمرهم لحاجته إليهم، وهم فعلوه بقوتهم التي لم يخلقها لهم، فيطالبون بجزاء ذلك، والله تعالى غني عن العالمين، فإن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم، وإن أساءوا فلها، لهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ فصلت: ٤٦)[2].

وضلت الجبرية في فهم قوله –صلى الله عليه وسلم–: (لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة) قالوا: ولا أنت؟ يا رسول الله قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة)[3]، (فآمنوا بالقدر،

---

[1] رواه مسلم، رقم (٢٥٧٧)، في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

[2] مجموع الفتاوى، (٧١/٨).

[3] رواه البخاري، رقم (٥٦٧٣)، في المرضى، باب تمني المريض الموت، ومسلم ، رقم (٢٨١٦)، في صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى.

وظنوا أن ذلك كاف في حصول المقصود، فأعرضوا عن الأسباب الشرعية والأعمال الصالحة، وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله ورسله ودينه)[1].

فضلت الجبرية والقدرية في ترتب الجزاء على الأعمال ، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة.

فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله) باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله، بل ذلك برحمة الله وفضله.

والباء التي في قوله تعالى: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الواقعة: ٢٤، ونحوها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته)[2].

---

[1] مجموع الفتاوى، (٨/٧١).

[2] شرح الطحاوية، (ص٤٤١)، ومفتاح دار السعادة، (١/٨)، ومجموع الفتاوى، (٨/٧٠-٧١).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن العمل سبب لدخول الجنة، وأنه ليس بمثابة العوض والثمن لها:

جاء في قصة المتألي على الله أن الله تعالى (قال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة: تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه، وآخرته)[1].

وجه الدلالة:

في هذا الحديث دلالة على أن دخول الجنة إنما هو برحمة الله وفضله، فقد أدخل الله الرجل المذنب الجنة برحمته، وأدخل الرجل العابد النار، وأحبط عمله، وأما العمل فإنما هو سبب لدخول الجنة، و ليس بمثابة العوض والثمن لها، (فمعلوم أن السبب لا يستقل بالحكم، فمجرد نزول المطر ليس موجبا للنبات، بل لابد من أن يخلق الله أمورا أخرى، ويدفع عنه الآفات المانعة، فيربيه بالتراب والشمس والريح، ويدفع عنه ما يفسده، فالنبات محتاج مع هذا السبب إلى فضل من الله أكبر منه.

وأما قوله -صلى الله عليه وسلم- (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) فإنه ذكره في سياق أمره لهم بالاقتصاد، فقال: (سددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخل الجنة بعمله)[2].

وقال: (إن هذا الدين يسر، وإنه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصد تبلغوا)[3].

فنفى بهذا الحديث ما قد تتوهمه النفوس من أن الجزاء من الله عز وجل على سبيل المعاوضة والمقابلة كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا، فإن الأجير يعمل لمن استأجره فيعطيه أجره بقدر عمله على طريق المعاوضة، إن زاد زاد أجرته وإن نقص نقص أجرته، وله عليه أجرة

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٤).

[2] رواه البخاري، رقم (٥٦٧٣)، في المرضى، باب تمني المريض الموت، ومسلم ، رقم (٢٨١٦)، في صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى.

[3] رواه البخاري، رقم (٣٩)، في الإيمان، باب الدين يسر.

يستحقها كما يستحق البائع الثمن، فنفى -صلى الله عليه وسلم- أن يكون جزاء الله وثوابه على سبيل المعاوضة والمقابلة والمعادلة)[1].

[1] جامع الرسائل، لابن تيمية، (١/١٤٦ـ١٤٨).

المبحث الثالث: بيان وجوب التسليم لقضاء الله وقدره:

يجب على العباد التسليم لقضاء الله وقدره وعدم الاعتراض عليه، فلا يجوز للعبد إذا نزلت به مصيبة بقدر من الله أن يعترض على فعل الله؛ فيقول: (لم ذلك يا ربي؟، أو أنا لا أستحق ذلك)، ونحو ذلك من العبارات التي فيها عدم تسليم بقضاء الله وقدره، سواء كان ذلك بقلبه أو بلسانه؛ وذلك لأن الاعتراض على القدر اعتراض على فعل الله ومشيئته، ولا شك أن أفعال الله كلها عدل ورحمة وحكمة، وله الحكمة البالغة في شرعه وخلقه وفعله، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٣، (لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من حكمه فيهم؛ لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له: لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟ (وهم يسألون) يقول جل ثناؤه: وجميع من في السماوات والأرض من عباده مسئولون عن أفعالهم، ومحاسبون على أعمالهم، وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه، لأنه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه)[1].

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على وجوب التسليم للقدر:

قد دلت قصة الرجل الذي وضع الصدقة في غير موضعها على ضرورة التسليم لقدر الله وعدم الاعتراض عليه، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه–: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على سارق، فقال: اللهم لك الحمد على سارق، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق، وزانية، وغني، فأتي، فقيل له: أما

---

[1] تفسير الطبري، (١٨/٤٢٥).

صدقتك على سارق: فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية: فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني: فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله)[1].

وجه الدلالة:

هذا الرجل الذي وضع الصدقة في غير موضعها وهو لا يعلم (سَلَّم ، وفوض، ورضي بقضاء الله، فحمد الله على تلك الحال؛ لأنه المحمود على جميع الحال لا يحمد على المكروه سواه)[2].

قال النووي –رحمه الله– في شرحه لهذا الحديث: (فيه بركة التسليم والرضا، وذم التضجر بالقضاء؛ كما قال بعض السلف: لا تقطع الخدمة ولو ظهر لك عدم القبول)[3].

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٧).

[2] فتح الباري، (٣/٢٩٠).

[3] شرح النووي على مسلم، (٣/٢٩١).

المبحث الرابع: من منازل الإيمان الصبر على أقدار الله.

الصبر على أقدار الله المؤلمة من منازل الإيمان، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١١

(أي: أما أصاب من مصيبة إلا عن قدره ومشيئته، ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدىً في قلبه ويقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه)[١].

وعن الأعمش[٢] أنه قال في معنى هذه الآية: (هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم ذلك ويرضى)[٣].

والصبر على أقدار الله المؤلمة يكون بحبس النفس عن الجزع والتسخط، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الثياب ونحوهما[٤]، وهو واجب باتفاق العلماء[٥]، قال -صلى الله عليه وسلم-: (ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية)[٦].

---

[١] انظر تفسير ابن كثير، (١٦١/٨).

[٢] هو سليمان بن مهران الأسدي مولاهم، أبو محمد، الملقب بالاعمش: تابعي، مشهور، أصله من بلاد الري، كان رأسا في العلم النافع والعمل الصالح، ومنشأه ووفاته في الكوفة، توفي سنة ١٤٨هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٢٢٦/٦-٢٤٨).

[٣] رواه ابن جرير في تفسيره، (٤٢١/٢٣)، وصححه سليمان التميمي في التيسير، (ص٤٤٢).

[٤] انظر عدة الصابرين ، (ص١٥)، ومدارج السالكين، (١٥٥/٢).

[٥] انظر مدارج السالكين، (١٥١/٢).

[٦] رواه البخاري، رقم (١٢٩٤)، في الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، ومسلم، رقم، (١٠٣)، في الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب.

دلالة القصص النبوي على وجوب الصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة:

قد ورد في القصص النبوي عن الأمم الماضية ما يدل على وجوب الصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة، فعن جندب بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينا فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة)[1].

وجه الدلالة:

في هذا الحديث دلالة على وجوب الصبر على المصائب التي يبتلى بها العبد، فقد ابتلي هذا الرجل بجرح في بدنه؛ فلم يصبر وأيس من رحمة الله تعالى وشفائه، ولم يصبر على ألمه رجاء ثوابه، فأخذ سكينا فقتل بها نفسه، فحرم الله عليه الجنة، وهذا يدل على وجوب الصبر وتحريم الجزع.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٢).

الباب الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالأسماء والأحكام والصحابة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالأسماء والأحكام.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالصحابة.

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالأسماء والأحكام

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان.

المبحث الثاني: بيان أن الإيمان يزيد وينقص.

المبحث الثالث: بيان ما جاء من التفاضل في الإيمان.

المبحث الرابع: بيان حكم مرتكب الكبيرة.

المبحث الخامس: بيان أن الجهل من موانع التكفير.

المبحث السادس: بيان أن الخطأ من موانع التكفير.

المبحث السابع: حكم إنفاذ نصوص الوعد والوعيد.

المبحث الأول: بيان أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان.

أولا: بيان حقيقة الإيمان وأن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان:

ذهب عامة أهل السنة إلى أن الإيمان قول وعمل، وأن العمل يدخل في مسمى الإيمان.

قال الإمام البغوي[١] –رحمه الله-: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان .. وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة)[٢].

وقال الحافظ ابن عبد البر –رحمه الله-: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا...)[٣].

وروى الإمام اللالكائي[٤] عن الإمام البخاري قوله: (كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب عمن قال: الإيمان قول)[٥]

قال ابن تيمية –رحمه الله-: (وكان من مضى من سلفنا، لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان والإيمان من العمل)[٦]، ومقصودهم بأن الإيمان قول وعمل هو قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح.

---

[١] هو الحسين بن مسعود بن محمد البغوي: فقيه، محدث، مفسر، نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان، ولد سنة ٤٣٦هـ، ومن مصنفاته: (التهذيب) في فقه الشافعية، و(شرح السنة) في الحديث، و (لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير، وتوفي سنة ٥١٠هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ١٩-٤٣٩-٤٤٢).

[٢] شرح السنة، (١/٣٨-٣٩).

[٣] التمهيد، (٩/٢٣٨).

[٤] هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي: من فقهاء الشافعية، توفي سنة ٤١٨هـ، من مصنفاته: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، وكتاب في السنن، وأسماء رجال الصحيحين، وكرامات أولياء الله. (انظر سير أعلام النبلاء، ١٧/٤١٩-٤٢٠).

[٥] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (٥/٩٥٩).

[٦] الإيمان، (ص٢٣٢).

فقول القلب هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، وقول اللسان هو نطقه للشهادتين، وإقراره بلوازمها، وعمل القلب هو نيته وإخلاصه وانقياده وتوكله ومحبته وخوفه ورجاؤه، وعمل الجوارح هو فعل الطاعات التي شرعها الله، وتجنب المحرمات.

قال ابن تيمية —رحمه الله-: (الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق القلب وإقراره ومعرفته، ويقال لهذا: قول القلب، قال الجنيد بن محمد[١]: التوحيد قول القلب، والتوكل عمل القلب، فلا بد فيه من قول القلب وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولا بد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها جزءا من الإيمان ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن ضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب)[٢])[٣]

وقد تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان، إلا أنهم اتفقوا على إدخال العمل في مسمى الإيمان، وقد حصر شيخ الإسلام عباراتهم المستعملة في أربع، قال —رحمه الله-: (فتارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح...... والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأي أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان،

---

[١] هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، ولد: سنة نيف وعشرين ومائتين، كان من الصوفية الأوائل، وتفقه على أبي ثور، وسمع من: السري السقطي ، وتوفي سنة ٢٩٧هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٦٦/١٤).

[٢] رواه البخاري، رقم (٥٢)، في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ومسلم، رقم (١٥٩٩)، في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

[٣] مجموع الفتاوى، (١٨٦/٧-١٨٧).

وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما سئل سَهْل بن عبد الله التَّسْتُرِي عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة)[1].

وقد ذكر السلف –رحمهم الله– أدلة كثيرة من الكتاب والسنة على أن العمل من الإيمان، وقد حصر الإمام الآجري[2] –رحمه الله– أدلة القرآن على ذلك في ستة وخمسين موضعا، حيث قال: (اعلموا رحمنا الله وإياكم يا أهل القرآن، ويا أهل العلم، ويا أهل السنن والآثار، ويا معشر من فقههم الله تعالى في الدين، بعلم الحلال والحرام أنكم إن تدبرتم القرآن، كما أمركم الله تعالى علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله: العمل، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة، والنجاة من النار، إلا الإيمان والعمل الصالح وقرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده، حتى ضم إليه العمل الصالح، الذي قد وفقهم له، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقا بقلبه، وناطقا بلسانه، وعاملا بجوارحه لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه، وجده كما ذكرت، واعلموا رحمنا الله تعالى وإياكم أني قد تصفحت القرآن فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعا من كتاب الله عز وجل.......)[3].

---

[1] الإيمان، (ص١٣٧-١٣٨).

[2] هو محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري، فقيه شافعي محدث، توفي فيها ٣٦٠هـ، له تصانيف كثيرة، منها: كتاب الشريعة، وأخبار عمر بن عبد العزيز، وأخلاق حملة القرآن، وأخلاق العلماء. (انظر سير أعلام النبلاء، ١٦/١٣٣-١٣٦).

[3] الشريعة، (٢/٦١٦).

ومن أبرز أدلة القرآن على أن الأعمال من الإيمان: تسميته تعالى للصلاة إيمانا في قوله سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣ ﴾ البقرة: ١٤٣، (وإنما نزلت في الذين توفوا من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهم على الصلاة إلى بيت المقدس، فسئل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ فنزلت هذه الآية.

فأي شاهد يلتمس على أن الصلاة من الإيمان بعد هذه الآية؟)[1]

كذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤ ﴾ الأنفال: ٢ – ٤، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٦٥ ﴾ النساء: ٦٥

فالله تعالى أدخل أعمالهم في مسمى الإيمان في هذه الآيات، وجعلها شرطا في قبول إيمانهم؛ فلا يكون المؤمن مؤمنا حقا إلا بتلك الأعمال الصالحة[2].

ومن أبرز الأدلة التي جاءت من السنة على أن العمل جزء من الإيمان:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (الإيمان بضع وسبعون –أو بضع وستون– شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[1].

---

[1] كتاب الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام، (ص١٥).

[2] انظر مجموع الفتاوى، (٧/١٨).

فهذا الحديث أصل في دخول الأعمال في مسمى الإيمان، حيث جعل النبي –صلى الله عليه وسلم– الإيمان عبارة عن شعب، وجعل إماطة الطريق –الذي عمل من أعمال الجوارح– شعبة من هذه الشعب.

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال لوفد عبد القيس عندما سألوه عن أمور الدين؛ فأمرهم: بالإيمان بالله وحده، وقال: (أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس)[٢] .

(ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب وهو الإيمان.

وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى "الإيمان" فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال، ولم يذكر التصديق، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود)[٣].

وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل على دخول العمل في مسمى الإيمان، وما ذكرته هنا من باب التمثيل لا الحصر.

---

[١] رواه البخاري، رقم (٩)، في الإيمان، باب أمور الإيمان، ومسلم، رقم (٣٥)، في الإيمان، باب شعب الإيمان.

[٢] رواه البخاري، رقم (٥٣)، في الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، ورواه مسلم، رقم (١٧)، في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه.

[٣] شرح الطحاوية، (ص٣٣١).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على دخول الأعمال في مسمى الإيمان:

جاء في قصة الخمر أم الخبائث قوله: (فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان، وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه)[1].

الشاهد:)

وجه الدلالة:

حمله أهل السنة على أن شرب الخمر لا يجتمع مع الإيمان الكامل، ولكنه قد يجتمع مع أصل الإيمان ولا ينافيه، طالما أن صاحبه غير مستحل له[2]، فإذا كانت معصية شرب الخمر تنقص الإيمان، ولا يوصف صاحبها بالإيمان الكامل، مع كونها لا تنفي عنه أصل الإيمان، فهذا فيه دلالة على أن العمل جزء من الإيمان، لأن فعل معصية شرب الخمر ينقص الإيمان، وترك تلك المعصية احتسابا يزيد الإيمان.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٤).

[2] سيأتي بيانه في المطلب الثالث من المبحث الرابع من هذا الفصل.

المبحث الثاني: بيان أن الإيمان يزيد وينقص:

أولا: دلالة الكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه:

تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه، فمن أدلة الكتاب ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٣، وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢ ، وقوله: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ التوبة: ١٢٤، وقوله: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٢، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ الفتح: ٤، وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾المدثر: ٣١.

فهذه الآيات فيها التصريح بزيادة الإيمان، إلا أن أهل السنة كما استدلوا بها على زيادة الإيمان فإنهم استدلوا بها على نقصانه، فقد روى الإمام الآجري –رحمه الله–، أنه قيل لسفيان بن عيينة[1]

[1] هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، حافظ عصره، ولد سنة ١٠٧هـ، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، وله (الجامع) في الحديث، وكتاب في (التفسير)، وتوفي سنة ١٩٨هـ. (انظر يبر أعلام النبلاء، ٨/٤٥٤-٤٧٥).

–رحمه الله-: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: (أليس تقرءون القرآن؟ ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ آل عمران: ١٧٣، في غير موضع، قيل: ينقص؟ قال: ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص)[١].

وعقد البخاري –رحمه الله- في صحيحه باباً أسماه زيادة الإيمان ونقصانه أورد فيه عددا من هذه الآيات التي فيها التصريح بزيادة الإيمان.[٢]

قال ابن حجر –رحمه الله- عند شرحه لهذا الباب: (ثم شرع المصنف يستدل لذلك بآيات من القرآن مصرحة بالزيادة، وبثبوتها يثبت المقابل، فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة)[٣].

وقال ابن بطال[٤] –رحمه الله- عند شرحه لكتاب الإيمان من صحيح البخاري: (مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، والحجة على زيادته ونقصانه ما أورده البخارى من كتاب الله من ذكر الزيادة فى الإيمان، وبيان ذلك أنه من لم تحصل له بذلك الزيادة، فإيمانه أنقص من إيمان من حصلت له)[٥].

ومن أدلة السنة على زيادة الإيمان ونقصانه ما يلي:

عن أبي أمامة –رضي الله عنه- عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان)[٦].

عن أبي هريرة –رضي الله عنه- عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)[١].

---

[١] الشريعة، (٦٠٥/٢).

[٢] انظر صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، (١٧/١).

[٣] فتح الباري، (٤٧/١).

[٤] هو أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري، يعرف بابن النجام، من كبار المالكية، وألف شرحاً لكتاب البخاري كبيراً، كثير الفائدة، وله كتاب في الزهد والرقائق، توفي سنة ٤٤٩هـ ببلنسية. (انظر ترتيب المدارك، للقاضي عياض، ١٦٠/٨، وسير أعلام النبلاء، ٤٧/١٨).

[٥] شرح صحيح البخاري، (٥٦/١).

[٦] رواه أبو داود، رقم (٤٦٨١)، في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٥٩٦٥)، (١٠٣٤/٢).

عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان)[2].

وعن أنس –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير).

وفي رواية للبخاري: (من إيمان) مكان (من خير)[3].

---

[1] رواه أبو داود، رقم (٤٦٨٢)، في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (١٢٣٠)، (٢٦٦/١).

[2] رواه مسلم، رقم (٤٩)، في الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص.

[3] رواه البخاري، رقم (٤٤)، في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ومسلم، رقم (١٩٣)، في الإيمان، باب باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على زيادة الإيمان ونقصانه:

في قصة الخمر أم الخبائث، عن عثمان -رضي الله عنه- قال: (فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان، وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه)[1].

وجه الدلالة:

المنع من اجتماع الإيمان مع شرب الخمر في هذه القصة مثل قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)[2].

قال النووي -رحمه الله-: (فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء، ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة)[3].

فالإيمان الذي لا يجتمع مع الخمر هو الإيمان الكامل، وليس أصل الإيمان، وهذا يدل على أن المعاصي كالزنا وشرب الخمر والسرقة تنقص الإيمان، وإذا كانت المعصية تنقصه فإن الطاعة تزيده، وفي هذا دلالة على زيادة الإيمان ونقصانه.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤٤).

[2] رواه البخاري، رقم (٢٤٧٥)، في المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه، ومسلم، رقم (٥٧)، في الإيمان، باب بيان نقص الإيمان بالمعاصي.

[3] شرح النووي لصحيح مسلم، (٤١/٢).

المبحث الثالث: بيان ماجاء من التفاضل في الإيمان:

أولا: بيان أن الإيمان يكون على مراتب ثلاث، وأن الناس يتفاضلون فيه من عدة أوجه:

بينا في المبحث الماضي بأدلة الكتاب والسنة أن الإيمان يزيد وينقص، وبما أن الإيمان يزيد وينقص فأهله ليسوا فيه سواء، بل بينهم من التفاضل فيه والتفاوت الشيء العظيم، وقد ذكر أهل العلم أن الناس في الإيمان بحسب الزيادة والنقصان فيه يكونون على ثلاثة مراتب، وقد ذكر الله تعالى هذه المراتب الثلاث للإيمان في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر: ٣٢

قال الشيخ السعدي –رحمه الله–: (اشترك هؤلاء الثلاثة في أصل الإيمان، وفي اختيار الله لهم من بين الخليقة، وفي أنه من عليهم بالكتاب، وفي دخول الجنة.

وافترقوا في تكميل مراتب الإيمان، وفي مقدار الاصطفاء من الله، وميراث الكتاب، وفي منازل الجنة ودرجاتها بحسب أوصافهم)[1].

فالمرتبة الأولى للإيمان: مرتبة الظالم لنفسه، وهي مرتبة أصل الإيمان، أو مطلق الإيمان، أو الإيمان المجمل، أو مرتبة الإسلام،وهي الحد الأدنى من الإيمان الذي ينجي صاحبه من الخلود في النيران، ويدخل فيها أهل الكبائر من أمة محمد –صلى الله عليه وسلم–، ومن أسلم حديثا ولم تدخل حقائق الإيمان إلى قلبه، وهم المعنيون في قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾الحجرات: ١٤، قال الإمام أبو عبد الله محمد

[1] فوائد قرآنية، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص٦٠).

بن نصر المروزي -رحمه الله-: (الكفر ضد لأصل الإيمان، لأن للإيمان أصلا وفرعا، فلا يثبت الكفر حتى يزول أصل الإيمان الذي هو ضد الكفر)[1].

(فمطلق الإيمان هو: وصف المسلم الذي معه أصل الإيمان، الذي لا يتم إسلامه إلا به، بل لا يصح إلا به، فهذا في أدنى مراتب الدين، إذا كان مصرا على ذنب، أو تاركا لما وجب عليه مع القدرة عليه)[2]، وكذلك (عامة الناس إذا أسلموا بعد كفر أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل، ولكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئا فشيئا إن أعطاهم الله ذلك)[3].

والمرتبة الثانية للإيمان: هي مرتبة المقتصد، وهي مرتبة كمال الإيمان الواجب، ويكون صاحبها ممن أتى بالواجبات وترك الكبائر والمحرمات، وإن حصلت منه معصية بادر إلى التوبة؛ قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: (والمرتبة الثانية من مراتب الدين: مرتبة أهل الإيمان المطلق، الذين كمل إسلامهم وإيمانهم، بإتيانهم بما وجب عليهم، وتركهم ما حرمه الله عليهم، وعدم إصرارهم على الذنوب؛ فهذه هي المرتبة الثانية التي وعد الله أهلها بدخول الجنة، والنجاة من النار، كقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ الحديد: ٢١. فهؤلاء اجتمعت لهم الأعمال الظاهرة والباطنة، ففعلوا ما أوجبه الله عليهم، وتركوا ما حرم الله عليهم؛ وهم السعداء أهل الجنة)[4].

المرتبة الثالثة للإيمان: مرتبة السابق بالخيرات، وهي مرتبة كمال الإيمان المستحب، أو مرتبة الإحسان، وأهلها بالواجبات وتركوا المحرمات، وزادوا على ذلك بفعل المستحبات، واجتناب الشبهات والمكروهات، وأهل هذه المرتبة أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنهم يدخلون الجنة

---

[1] تعظيم قدر الصلاة، (٥١٢/٢).

[2] الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (٣٣٣/١).

[3] مجموع الفتاوى، (٢٧١/٧).

[4] الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (٣٣٣/١).

بغير عذاب ولا حساب، ووصفهم بقوله: (هم الذين لا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)[1] .

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– إلى هذه المراتب الثلاثة بقوله: (وهو مركب – أي الإيمان – من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصا يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة)[2] .

وأهل كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث ليسوا على درجة واحدة في الإيمان بل بينهم من التفاوت والتفاضل الشيء العظيم.

وقد ذكر ابن تيمية –رحمه الله– الأوجه التي يتفاضل بها الناس في الإيمان، فقال:

(أحدها: أن الإيمان يزيد وينقص من جهة الإجمال والتفصيل فيما أمروا به، فإنه وإن وجب على جميع الخلق الإيمان بالله ورسوله، ووجب على كل أمة التزام ما يأمر به رسولهم مجملاً، فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كل عبد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول، ما يجب على من بلغه غيره، فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها، لزمه من الإيمان المفصل بذلك ما لا يلزم غيره، ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطناً وظاهراً، ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين، مات مؤمناً بما وجب عليه من الإيمان.

الوجه الثاني: الإجمال والتفصيل فيما وقع منهم، فمن آمن بما جاء به الرسول مطلقاً فلم يكذبه قط، لكن أعرض عن معرفة أمره، ونهيه، وخبره، وطلب العلم الواجب عليه؛ فلم يعلم الواجب عليه، ولم يعمله، بل اتبع هواه، وآخر طلب علم ما أمر به فعمل به، وآخر طلب علمه، فعلمه، وآمن به ولم يعمل به وإن اشتركوا في الوجوب، لكن من طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكمل به، فهؤلاء ممن عرف ما يجب عليه والتزمه، وأقر به، لكنه لم يعمل بذلك كله.

[1] رواه البخاري، رقم (٦٥٤١)، في الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، ومسلم، رقم (٢٢٠)، في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

[2] مجموع الفتاوى، (٦٣٧/٧).

الثالث: أن العلم والتصديق نفسه، يكون بعضه أقوى من بعض، فالمعاني التي يؤمن بها الناس من معاني أسماء الرب وكلامه، يتفاضل الناس في معرفتها، أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها.

الرابع: أن التصديق المستلزم لعمل القلب، أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به

الخامس: أن أعمال القلوب، مثل محبة الله ورسوله، وخشية الله تعالى ورجائه، ونحو ذلك، هي كلها من الإيمان، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف، وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً.

السادس: أن الأعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الإيمان، والناس يتفاضلون فيها.

السابع: ذكر الإنسان بقلبه ما أمره الله به واستحضاره لذلك، بحيث لا يكون غافلاً عنه، أكمل ممن صدق به وغفل عنه، فإن الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق والذكر، والاستحضار يكمل العلم واليقين؛ ولهذا قال عمير بن حبيب من الصحابة: (إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه)[١].

الوجه الثامن: أن الإنسان قد يكون منكراً ومكذباً بأمور، لا يعلم أنها من الإيمان، ثم يتبين له بعد أنها منه، فيزداد بذلك إيمانه)[٢].

---

[١] رواه الآجري في الشريعة، (٢/٥٨٣)، وابن بطة في الإبانة (٢/٨٤٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (٥/١٠١٩).

[٢] الإيمان، لابن تيمية، بتصرف، (ص١٨٣-١٨٧).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على التفاضل في الإيمان:

جاء في قصة البقرة التي كلمت راكبها، والذئب الذي كلم الراعي أن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال: (فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، - وما هما ثم -)[1].

وجه الدلالة:

فشهد الرسول الله –صلى الله عليه وسلم- لأبي بكر وعمر بالإيمان بهذا، مع أنهما لم يكونا حاضرين في المجلس، وهذا يدل على أنهما أكمل إيمانا من غيرهما ممن كان موجودا في المجلس، فدل هذا على أن إيمان الناس يتفاضل ويتفاوت، وأن أهله ليسوا فيه سواء.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٦).

المبحث الرابع: **بيان حكم مرتكب الكبيرة**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: كل ذنب حتى الشرك فهو قابل للتوبة.

المطلب الثاني: بيان عدم قبول التوبة عند حلول العذاب، وعند الغرغرة.

المطلب الثالث: من قامت به شعبة من شعب الكفر؛ فإنه لا يزيل عنه مسمى الإسلام، ولا يستحق مسمى الإيمان المطلق.

المطلب الرابع: صاحب الكبيرة إن مات عليها دون توبة فهو تحت المشيئة.

المطلب الأول: كل ذنب حتى الشرك فهو قابل للتوبة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣

قال ابن كثير –رحمه الله– : (هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر. ولا يصح حمل هذه على غير توبة ؛ لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه)[1].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنفال: ٣٨

قال ابن كثير –رحمه الله– : (قول تعالى لنبيه –صلى الله عليه وسلم–: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ ﴾ أي: عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة،

﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ ، أي: من كفرهم، وذنوبهم وخطاياهم، كما جاء في الصحيح، من حديث أبي وائل عن ابن مسعود؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحسن في الإسلام، لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام، أخذ بالأول والآخر)[2]،

---

١ تفسير ابن كثير، (١٠٦/٧).

٢ رواه البخاري، رقم (٦٩٢١)في استتابة المرتدين، باب إثم من أشرك بالله، وعقوبته في الدنيا والآخرة ، ومسلم رقم (١٢٠) في الإيمان، باب هل يؤخذ بأعمال الجاهلية.

وفي الصحيح أيضا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما كان قبلها).[1]

وقوله: ﴿ وَإِن يَعُودُواْ ﴾ أي: يستمروا على ما هم فيه، ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم، أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة)[2].

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن الذنب وإن عظم فهو قابل للتوبة:

جاء في قصة الرجل الذي قتل مائة نفس أنه (سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟)[3]،

وجه الدلالة:

غفر الله تعالى للرجل الذي قتل مائة نفس وقبل توبته؛ على الرغم من عظيم جرمه، وشنيع فعله، ففي الحديث دلالة على أن الذنب وإن عظم فهو قابل للتوبة، لكن شريطة أن يكون ذلك في الوقت الذي تنفع فيه التوبة، وفي المطلب القادم زيادة بيان في ذلك.

كما جاء في قصة أصحاب الأخدود توبة الناس من عبادتهم للملك لما قالوا (آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام)[4].

---

[1] قال الألباني –رحمه الله– في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، (١٤١/٣)، لا أعرف له أصلا، إلى أن قال: وفي ظني أن الحديث التبس أمره على ابن كثير ومختصره بالحديث الصحيح: " إن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها " زاد في رواية: " وإن الحج يهدم ما كان قبله "، وهو مخرج في " الإرواء " (١٢٨٠).

[2] تفسير ابن كثير، (٥٥/٤).

[3] تقدم تخريجه، (٢٤).

[4] تقدم تخريجه، (ص٢٧).

وجه الدلالة: توبة الناس من الشرك الذي كانوا عليه -وهو عبادتهم لملكهم-؛ وذلك حينما عاينوا الآيات الباهرات بضعف قدرة الملك وعدم تمكنه من قتل غلام صغير، حتى دله الغلام على طريقة قتله، وكان فيها أن يقول (بسم الله رب الغلام)، ولا شك أن في ذلك دليلا ساطعا على أن الله هو ربهم ورب الغلام، فآمن الناس وتابوا وقالوا: (آمنا برب الغلام).

المطلب الثاني: بيان عدم قبول التوبة عند حلول العذاب وعند الغرغرة:

بينت النصوص أن باب التوبة مفتوح لايغلق، إلا أنه هناك زمان لا تنفع فيه التوبة صاحبها، وهذه الأزمنة ثلاثة، وهي:

الأول: إذا بلغت الروح الحلقوم، قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ النساء: ١٨

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: (إن الله – عز وجل – ليقبل توبة العبد ما لم يغرغر)[1].

قال القرطبي –رحمه الله– : (فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح، وذلك عند غرغرته بالروح، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين، فشخص من الصدر إلى الحلقوم؛ فعندها المعاينة، وعندها حضور الموت)[2].

الثاني: عند معاينة العذاب، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ غافر: ٨٤ ـ ٨٥

وقال عن فرعون: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يونس: ٩٠ ـ ٩١

[1] رواه الترمذي، رقم (٣٥٣٧) في الدعوات، وابن ماجة رقم (٤٢٥٣)، في الزهد، باب ذكر التوبة، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (٣٨٣/٣).

[2] التذكرة بأحوال الموتى والآخرة، ص٢١٢.

الثالث: طلوع الشمس من مغربها: عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله -عز وجل- يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)[1].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٨

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها) .

وفي رواية: (فإذا طلعت ورآها الناس، آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)[2]

وهذه المواطن الثلاثة لا ينفع فيها إيمان ولا توبة، فالمكذبون (حين ينزل بهم بأس الله وعقابه إذا آمنوا كان إيمانهم غير صحيح ولا مقبولا؛ لأنه إيمان ضرورة قد اضطروا إليه، وإيمان مشاهدة، وإنما الإيمان المقبول المنجي هو الإيمان الاختياري، الذي يكون إيمانا بالغيب، وذلك قبل وجود قرائن العذاب)[3]

قال القرطبي —رحمه الله- : (قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوعها من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي

---

[1] رواه مسلم، رقم (٢٧٦٠) في التوبة، باب غيرة الله تعالى.

[2] رواه البخاري، رقم (٦٥٠٦) في الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها، وفي الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، وفي الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، ومسلم رقم (١٥٧) في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، وأبو داود رقم (٤٣١٢) في الملاحم، باب أمارات الساعة.

[3] أحوال المحتضر، (ص١٠٩-١١٠)، وانظر تفسير السعدي، (٣٧٢/١).

إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت.

قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)[1] أي تبلغ روحه رأس حلقه وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعده من الجنة ومقعده من النار، فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله، وعلى هذا ينبغي أن تكون توبة كل من شاهد ذلك أو كان كالمشاهد له مردودة ما عاش، لأن علمه بالله تعالى وبنبيه -صلى الله عليه وسلم- وبوعده قد صار ضرورة)[2].

---

[1] تقدم تخريجه، ص٣٧٧.

[2] تفسير القرطبي، (١٤٦/٧-١٤٧)

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن التوبة لا تنفع عند حلول العذاب وعند الغرغرة:

دلت القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن التوبة لا تنفع عند حلول العذاب وعند الغرغرة، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما –: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (لما أغرق الله فرعون، قال: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ يونس: ٩٠) قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه، مخافة أن تدركه الرحمة.)[1]

وجه الدلالة:

في هذه القصة دلالة على أن التوبة لا تنفع عند معاينة العذاب كما تقدم، إذ أن فرعون أراد أن ينطق بكلمة التوحيد حينما أدركه الغرق، وعاين العذاب، وتحقق من الموت، فلم تنفعه توبته، بل قام جبريل بوضع الطين في فيه مخافة أن تدركه الرحمة.

قال ابن تيمية —رحمه الله– : (وأما من تاب عند معاينة الموت فهذا كفرعون الذي قال: أنا الله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يونس: ٩٠، قال الله: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ يونس: ٩١، وهذا استفهام إنكار بين به أن هذه التوبة ليست هي التوبة المقبولة المأمور بها؛ فإن استفهام الإنكار: إما بمعنى النفي إذا قابل الإخبار وإما بمعنى الذم والنهي إذا قابل الإنشاء وهذا من هذا. ومثله قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ غافر: ٨٣، ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ غافر: ٨٤، ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٨).

إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا ﴾غافر: ٨٥ الآية. بين أن التوبة بعد رؤية البأس لا تنفع وأن هذه سنة الله التي قد خلت في عباده؛ كفرعون وغيره)[1].

[1] مجموع الفتاوى، (١٨/١٩٠-١٩١).

المطلب الثالث: من قامت به شعبة من شعب الكفر فإنه لا يزيل عنه مسمى الإسلام، ولا يستحق مسمى الإيمان المطلق:

يعتقد أهل السنة أن الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، لحديث: (الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[١].

(وهذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن)[٢]، (وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيما منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى ويكون إليها أقرب.

وكذلك الكفر ذو أصل وشعب. فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان)[٣].

وقد جاء في السنة إطلاق النبي -صلى الله عليه وسلم- لفظ الكفر على بعض المعاصي؛ وذلك لأنها من شعب الكفر، فمن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)[٤].

---

[١] رواه البخاري، رقم (٩)، في الإيمان، باب أمور الإيمان، ومسلم، رقم (٣٥)، في الإيمان، باب شعب الإيمان.

[٢] فتح الباري، (٥٢/١).

[٣] الصلاة وأحكام تاركها، لابن القيم، (ص٥٥).

[٤] رواه البخاري، رقم (٤٨)، في الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ومسلم ، رقم (٦٤)، في الإيمان، باب بيان قول النبي -صلى الله عليه وسلم- سباب المسلم.

وقوله –صلى الله عليه وسلم-: (لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر)[1].

قال ابن تيمية –رحمه الله-: (وعلى هذا الأصل فبعض الناس يكون معه شعبة من شعب الكفر، ومعه إيمان أيضا، وعلى هذا ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم- في تسمية كثير من الذنوب كفرا، مع أن صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال ذرة من إيمان، فلا يخلد في النار)[2].

وكما أن شعب الإيمان منها ما يزول بزوالها الإيمان كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وكذلك شعب الكفر، فمنها ما يكفر بها صاحبها، ومنها ما لا يكفر بها.

قال ابن القيم –رحمه الله-: (وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية. وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية. فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه، كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف)[3]

والعبد قد يجتمع في حقه بعض شعب الإيمان وبعض شعب الكفر، ومن قامت به شعبة من شعب الكفر فإنه لا يزيل عنه مسمى الإسلام، ولا يستحق مسمى الإيمان المطلق، كما جاء في الحديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)[4].

---

[1] رواه البخاري، رقم (٦٧٦٨)، في الفرائض، باب من ادعى إلى غير أبيهن، ومسلم، رقم (٦٢)، في الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم.

[2] مجموع الفتاوى، (٣٥٥/٧).

[3] الصلاة وأحكام تاركها، لابن القيم، (ص٥٥-٥٦).

[4] تقدم تخريجه ص٣٦٨.

قال النووي –رحمه الله-: (فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء، ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة)[١].

وقال ابن تيمية –رحمه الله-: (وقوله –صلى الله عليه وسلم– (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...) فنفي عنه الإيمان الواجب الذي يستحق به الجنة، ولا يستلزم ذلك نفي أصل الإيمان وسائر أجزائه وشعبه، وهذا معنى قولهم: نفي كمال الإيمان لا حقيقته، أي الكمال الواجب، ليس هو الكمال المستحب ..)[٢].

---

[١] شرح النووي لصحيح مسلم، (٢/٤١).

[٢] مجموع الفتاوى، (١٢/٤٧٨).

بيان المقصود مما ورد في القصص النبوي من كون الإيمان لا يجتمع مع شرب الخمر:

ورد في قصة الخمر أم الخبائث، عن عثمان -رضي الله عنه- قال: (فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان، وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه)[١].

نفي الإيمان عن شارب الخمر لا يعني نفي أصل الإيمان عنه، وذلك لأن الناس في الإيمان بحسب الزيادة والنقصان فيه يكونون متفاوتين على مراتب[٢].

فلئن وصف شارب الخمر في هذه القصة بعدم الإيمان، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يرفع عنه أصل الإيمان، لأنه شهد بإمكانه دخول الجنة، ففي حديث أبي ذر الغفاري[٣]، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر)[٤]، قال أبو عبيد القاسم بن سلام[٥] -رحمه الله-: (إن الذي عندنا في هذا الباب كله أن

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٤٤).

[٢] انظر مبحث بيان ما جاء من التفاضل في الإيمان، ص٣٦٨.

[٣] هو الصحابي الجليل أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، يقال: أسلم بعد أربعة، فكان خامسا، ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، وتوفي بالربذة سنة ٣١هـ. (انظر الاستيعاب، ٤/١٦٥٢-١٦٥٦).

[٤] رواه البخاري، رقم (٥٨٢٧)، في اللباس، باب الثياب البيض، ومسلم، رقم (٩٤)، في باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار.

[٥] هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، من كتبه: (الغريب المصنف) في غريب الحديث، والأجناس من كلام العرب وأدب القاضي، وفضائل القرآن، والايمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، وتوفي سنة ٢٢٤هـ. (انظر الأعلام، ٥/١٧٦).

المعاصي والذنوب لا تزيل إيمانا، ولا توجب كفرا، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم)[1].

فيقال أن شارب الخمر والسارق والزاني لا يزول عنه مسمى الإسلام، ولا يستحق مسمى الإيمان المطلق، كما قال النووي -رحمه الله- في شرحه لحديث: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن": (فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء، ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة)[2].

وقال ابن تيمية —رحمه الله-: (وقوله -صلى الله عليه وسلم- (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ...) فنفى عنه الإيمان الواجب الذي يستحق به الجنة، ولا يستلزم ذلك نفي أصل الإيمان وسائر أجزائه وشعبه، وهذا معنى قولهم: نفي كمال الإيمان لا حقيقته، أي الكمال الواجب، ليس هو الكمال المستحب ..)[3].

---

[1] الإيمان، (ص٧٨).

[2] شرح النووي لصحيح مسلم، (٤١/٢).

[3] مجموع الفتاوى، (٤٧٨/١٢).

المطلب الرابع: صاحب الكبيرة إن مات عليها دون توبة فهو تحت المشيئة:

تبين من خلال المبحث الماضي أن صاحب الكبيرة لا يستحق مسمى الإيمان المطلق، ولا يُنفى عنه أصل الإيمان، بل هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

وهذا بناء على ما قرره أهل السنة في الإيمان من أنه يتجزأ ويتبعض، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما قال ابن تيمية -رحمه الله-: (وأصل قول أهل السنة الذي فارقوا به الخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة أن الإيمان يتفاضل ويتبعض؛ كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)[1])[2]

وفي هذا المبحث بيان لعقيدة أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة، فيعتقد أهل السنة أن صاحب الكبيرة إن مات عليها دون توبة فهو تحت مشيئة الله يوم القيامة، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، وأن صاحب الكبيرة إن دخل النار فإنه لا يخلد فيها ومآله إلى الجنة،

قال الإمام أحمد بن حنبل —رحمه الله- في اعتقاده الذي ذكره عنه اللالكائي: (ولا يَشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، يَرجو للصالح ويَخاف عليه، ويَخاف على المسيءِ المذنب، ويرجو له رحمة الله.

ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائبًا غير مصر عليه؛ فإن الله -عز وجل- يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك في الدنيا؛ فهو كفارة، كما جاء الخبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

ومن لقيه مصرًا غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة، فأمره إلى الله -عز وجل- إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

---

[1] رواه البخاري، رقم (٧٤٣٩)، في التوحيد، باب باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣، ومسلم، رقم (٨٣)، في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

[2] مجموع الفتاوى، (٣/٣٥٥)

ومن لقيه كافرًا عذبه ولم يغفر له)[1].

وقال الإمام الطحاوي[2] –رحمه الله– :(وأهل الكبائر من أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحكمه؛ إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء: ٤٨ ، وإن شاء عذبهم في النار بعدله. ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته؛ وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته)[3]

وقال الإمام إسماعيل الصابوني[4] –رحمه الله: (ويعتقد أهل السنة أن المؤمن إذا أذنب ذنوبًا كثيرة، صغائر وكبائر، فإنه لا يكفر بها، وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه، وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها؛ بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار)[5].

وقال الإمام البغوي –رحمه الله–: (اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئا منها، فمات قبل التوبة، لا يخلد في

---

[1] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (١/١٧٥).

[2] هو العلامة محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، الحجري ، المصري، الطحاوي، الحنفي، ولد سنة ٢٣٩هـ، من تصانيفه: شرح معاني الآثار، وبيان السنة ، وكتاب الشفعة، ومشكل الآثار، وأحكام القرآن، والمختصر في الفقه، ومناقب أبي حنيفة، وتوفي سنة ٣٢١هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ١٥/٢٧-٣٢).

[3] العقيدة الطحاوية، بتعليق الألباني، (ص٦٥-٦٦).

[4] هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني، ولد سنة ٣٧٣هـ ، ومات سنة ٤٤٩هـ، له كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث، والفصول في الأصول. (انظر الأعلام، ١/٣١٧).

[5] عقيدة السلف وأصحاب الحديث، (ص٢٧٦).

النار، كما جاء به الحديث، بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته، كما ورد في حديث عبادة بن الصامت في البيعة[1].

واختلفوا في ترك الصلاة المفروضة عمدا، فكفره بعضهم، ولم يكفره الآخرون.)[2]

وقال الإمام النووي –رحمه الله– في شرح حديث: (من كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار)[3]: (معنى الحديث أن هذا جزاؤه وقد يُجازى به وقد يعفو الله الكريم عنه، ولا يُقطَع عليه بدخول النار، وهكذا سبيل كل ما جاء من الوعيد بالنار لأصحاب الكبائر غير الكفر، فكلها يقال فيها هذا جزاؤه، وقد يُجازى وقد يُعفَى عنه، ثم إن جوزي وأدخل النار فلا يخلد فيها، بل لابد من خروجه منها بفضل الله تعالى ورحمته، ولا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، وهذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة)[4].

وقد اعتمد أهل السنة في تقرير معتقدهم في مرتكب الكبيرة في الآخرة على نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، ومن أبرز ما استدلوا به قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء: ٤٨ فجوز أن يغفر كل معصية دون الشرك بما في ذلك الكبائر.

وعن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه–: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في

---

[1] رواه البخاري، رقم (١٨)، في الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، ومسلم، رقم (١٧٠٩)، في الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها.

[2] شرح السنة، (١٠٣/١).

[3] رواه البخاري، رقم (١١٠)، في العلم، باب إثم من كذب على النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومسلم، رقم (٣)، في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

[4] شرح النووي لمسلم، (٦٨/١).

معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه)[1].

وهذا الحديث نص في أن من مات على شيء من الكبائر فهو داخل تحت مشيئة الله يوم القيامة؛ إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار)، ثم يقول الله تعالى: (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا، أو الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبة[2] في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية)[3]، وهذا الحديث يدل على أن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار إن دخلوها، بل لابد وأن يأتي عليهم وقت يخرجون فيه من النار، ويدخلون الجنة برحمة الله وعفوه، فلا يخلد في النار إلا أهل الكفران[4].

---

[1] رواه البخاري، رقم (١٨)، في الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، ومسلم، رقم (١٧٠٩)، في الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها.

[2] الحبة بالكسر: بذور البقول وحب الرياحين. وقيل هو نبت صغير ينبت في الحشيش. (انظر النهاية، ٣٢٦/١).

[3] رواه البخاري، رقم (٢٢)، في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلم، رقم (١٨٤)، في الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

[4] انظر وسطية أهل السنة بين الفرق، (ص٣٥١-٣٥٢).

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن صاحب الكبيرة إن مات عليها دون توبة فهو تحت المشيئة:

جاء في قصة المتألي على الله أن الله للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة: تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه، وآخرته)[1]

وفي رواية: (فإني قد غفرت له، وأحبطت عملك)[2].

وجه الدلالة:

جاء في هذا الحديث أن الله قبض الرجلين ثم غفر للرجل الذي كان قائما على الذنب وأدخله الجنة برحمته، ولم يذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– أن هذا الرجل تاب قبل موته، فكان هذا الحديث دليلا على أن مرتكب الكبيرة إن مات عليها بدون توبة، فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

قال النووي –رحمه الله– في شرحه لهذا الحديث: (وفيه دلالة لمذهب أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها)[3].

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٤).

[2] تقدم تخريجه، (ص٣٥).

[3] شرح النووي لمسلم، (١٦/١٧٤).

المبحث الخامس: بيان أن الجهل من موانع التكفير:

أولا: بيان أن التكفير المطلق لا يستلزم التكفير المعين، وأن الجهل من موانع التكفير:

يفرق أهل السنة بين الحكم على الفعل بأنه كفر، وبين إنزال هذا الحكم على الفاعل المعين ووصفه بالكفر، فالتكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، فليس كل من قام بعمل مكفر من الأفراد المعينين يلزم من ذلك تكفيره، بل لابد من استيفاء شروط التكفير، وانتفاء موانعه[1]،
قال ابن تيمية –رحمه الله–: (فإن نصوص الوعيد التي في الكتاب والسنة، ونصوص الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك، لا يستلزم ثبوت موجبها في حق المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع)[2].
وقال الشيخ عبد الله[3]، والشيخ إبراهيم[4] ابنا الشيخ عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان[1] –رحمهم الله– : (ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة، إذا قال قولا يكون القول به كفرا، فيقال:

---

[1] شروط تكفير المعين وموانعه هي: ١–أن يكون المعين بالغا عاقلا، ٢–أن يقع منه الكفر على وجه الاختيار. ٣–أن تبلغه الحجة التي يكفر بخلافها، ٣–ألا يكون متأولا. (انظر التكفير وضوابطه، لإبراهيم الرحيلي، ص٢٦٣).

[2] مجموع الفتاوى، (٣٧٢/١٠).

[3] هو عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة ١٢٦٥هـ، وتوفي سنة ١٣٤٠هـ، ظل في الرياض بعد هجرة آل سعود الى الكويت، وهو جد الملك فيصل بن عبد العزيز لأمه، له رسالة في الاتباع وحظر الغلو في الدين. (انظر الأعلام، ٩٩/٤).

[4] هو إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مولده سنة ١٢٨٠هـ، ووفاته سنة ١٣٢٩هـ. له رسائل وفتاوى وأجوبة على أسئلة في الدين، طبعت متفرقة، في مجاميع (الرسائل والمسائل النجدية). (انظر الأعلام، ٤٨/١).

من قال بهذا القول فهو كافر، لكن الشخص المعين، إذا قال ذلك لا يحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها)[2].

وقد جاءت في السنة بعض الشواهد العملية المقررة بأن التكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، فمن ذلك ما جاء عن الربيع بنت معوذ بن عفراء[3]، قالت: جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- فدخل حين بني علي، فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا، يضربن بالدف، ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: (دعي هذه، وقولي بالذي كنت تقولين)[4].

ولا شك أن دعوى علم الغيب لأحد غير الله كفر إلا أن الجارية لما ادعت ذلك في النبي —صلى الله عليه وسلم- اكتفى بنهيها، وهذا يدل على أن فعل الكفر لايستلزم تكفير الفاعل إلا بعد إقامة الحجة، واستيفاء شروط التكفير، وانتفاء موانعه.

ومن ذلك أيضا ما جاء عن عبد الله بن أبي أوفى[5]، قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي – صلى الله عليه وسلم-، قال: (ما هذا يا معاذ؟) قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون

---

[1] هو سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان النجدي، ولد سنة ١٢٦٨هـ، صنف كتبا ورسائل، منها: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، و الهدية السنية، ومنهاج أهل الحق والاتباع، وإرشاد الطالب إلى أهم المطالب، توفي سنة ١٣٤٩هـ. (انظر الأعلام، ٣/١٢٦).

[2] الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١٠/٤٣٢_٤٣٣).

[3] هي الربيع بنت معوذ بن عفراء، النجارية الأنصارية، صحابية من ذوات الشأن في الإسلام، بايعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيعة الرضوان، وصحبته في غزواته؛ تسقي الناس؛ وتداوي الجرحى، وتوفيت في أيام معاوية، (انظر الإصابة، ٨/١٣٢-١٣٣).

[4] رواه البخاري، رقم (٥١٤٧)، في النكاح، باب ضرب الدف في النكاح والوليمة.

[5] هو عبد الله بن علقمة (أبو أوفى) بن خالد الخزاعي الأسلمي، ويقال له: ابن أبي أوفى، له ولأبيه صحبة، شهد الحديبية وخيبر وما بعد ذلك من المشاهد، وهو آخر من بقي بالكوفة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومات بها سنة ٨٧هـ. (انظر الاستيعاب، ٢/٨٧٠).

لأساقفتهم[1] وبطارقتهم[2]، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها...)[3].

ولا شك أن السجود لغير الله كفر، ولم يكفره النبي –صلى الله عليه وسلم–، لأنه رأى من معاذ أنه يريد أن يفعل ذلك تأويلا منه بأنه جائز إذا كان من باب التحية والتعظيم، فنهاه النبي –صلى الله عليه وسلم–.

ومن نصوص الكتاب والسنة التي بينت أن الجهل مانع من موانع التكفير، قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ النساء: ١٦٥، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ الإسراء: ١٥ .ففي الآيتين دلالة على أن العذاب لا يكون إلا بعد إقامة الحجة، وقد رفع الله هذا العذاب عن الذين لا يقدرون على فهم حجته، كما جاء في الحديث: (أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في الفترة

---

[1] (أساقفة): جمع أسقف، وهو عالم رئيس من علماء النصارى ورؤسائهم، وهو اسم سرياني، ويحتمل أن يكون سمي به لخضوعه وانحنائه في عبادته. (النهاية: ٣٩٧/٢).

[2] (بطارقة): جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم. وهو ذو منصب وتقدم عندهم. (النهاية: ١٣٥/١).

[3] رواه أحمد في مسنده، (١٤٥/٣٢)، رقم (١٩٤٠٣)، وابن ماجه، رقم (١٨٥٣)، في النكاح، باب حق الزوج على المرأة، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، (١٢١/٢).

فيقول: رب، ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده، لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما)[1].

بل إن النبي –صلى الله عليه وسلم- حكم بإسلام أناس يأتون في آخر الزمان حين يندرس الإسلام، لا يعرفون من الدين إلا كلمة التوحيد، فعن حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (يدرس[2] الإسلام كما يدرس وشي الثوب[3]، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله، فنحن نقولها " فقال له صلة[4]: ما تغني عنهم: لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: (يا صلة، تنجيهم من النار) ثلاثا[5].

قال ابن تيمية –رحمه الله-: (وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات، حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما بعث الله به رسوله، ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث العهد بالإسلام،

---

[1] رواه أحمد في المسند، (٢٢٨/٢٦)، رقم (١٦٣٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٢١٢/١-٢١٣)، رقم (٨٨١).

[2] (يدرس الإسلام) من درس الرسم دروس إذا عفا وأخلق وخفيت معالمه. (انظر مقاييس اللغة، ٢٦٧/٢، والصحاح، ٩٢٧/٣).

[3] (وشي الثوب) نقشه. (انظر القاموس المحيط، ص١٣٤٣).

[4] هو صلة بن زفر العبسي ، أبو العلاء، ويقال: أبو بكر الكوفي، كوفي ثقة، روى له الجماعة، مات في ولاية مصعب بن الزبير. (انظر تهذيب الكمال، ٢٣٣/١٣-٢٣٥).

[5] رواه ابن ماجه، رقم (٤٠٤٩)، في الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١٣٤٢/٢)، رقم (٨٠٧٧)، ورواه الحاكم، (٤٢٠/٤)، رقم (٨٤٦٠).

فأنكر شيئا من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة، فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول)[1] [2].

وقد حصل من بعض الصحابة أمور قد يكفر بها صاحبها إذا قصدها ، إلا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– عذرهم لجهلهم وعدم علمهم بها، من ذلك ما جاء عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– أنها سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: فقالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله ؟ قال: (نعم)[3]

قال ابن تيمية –رحمه الله–: (وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك، ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتمه الناس كافرة، وإن كان الإقرار بذلك بعد قيام الحجة من أصول الإيمان، وإنكار علمه بكل شيء كإنكار قدرته على كل شيء ... فقد تبين أن هذا القول كفر، ولكن تكفير قائله لا يحكم به حتى يكون قد بلغه من العلم ما تقوم به عليه الحجة التي يكفر تاركها، ودلائل فساد هذا القول كثيرة في الكتاب والسنة)[4].

---

[1] مجموع الفتاوى، (١١/٤٠٧).

[2] انظر التكفير وضوابطه، لمنقذ السقار، (ص٦٧).

[3] رواه مسلم، رقم (٩٧٤)، في الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

[4] مجموع الفتاوى، (١١/٤١٢-٤١٣).

ثانيا: دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن الجهل من موانع التكفير:

جاء في قصة الرجل الذي أمر أولاده بحرقه إذا مات أنه (قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله، لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات فُعِل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك فغفر له بذلك)[1].

وجه الدلالة:

يظهر من هذا الحديث أن هذا الرجل جهل صفة من صفات الله تعالى وهي قدرته –عز وجل– بعثه وإحيائه إذا تفرقت أجزائه، فأمر أولاده إذا مات أن يحرقوه ثم يطحنوه ثم يذروه في الريح، فلما مات فُعِل به ذلك، فجمع الله أجزائه ثم بعثه، وغفر له فعله، وهذا يدل على أن الجهل من موانع التكفير، إذ لو أنه لو كفر لجهله بقدرة الله تعالى لما غفر الله له.

قال ابن قتيبة –رحمه الله–: (وهذا رجل مؤمن بالله، مقر به، خائف له، إلا أنه جهل صفة من صفاته، فظن أنه إذا أحرق وذري في الريح أنه يفوت الله تعالى، فغفر الله تعالى له بمعرفته ما بنيته، وبمخافته من عذابه جهله بهذه الصفة من صفاته)[2].

وقال ابن تيمية –رحمه الله–: (فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك، وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك)[3]

وقال أيضا –رحمه الله–: (فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك، أو شك، وأنه لا يبعثه، وكل من هذين الاعتقادين كفر يكفر من قامت عليه الحجة، لكنه كان يجهل ذلك، ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله، وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده، فخاف من عقابه، فغفر الله له بخشيته.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٣).

[2] تأويل مختلف الحديث، (ص١٨٦).

[3] مجموع الفتاوى، (٢٣١/٣).

فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالا من الرجل، فيغفر الله خطأه، أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق على قدر دينه، وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم)[١].

---

[١] الاستقامة، (١/١٦٥).

المبحث السادس: بيان أن الخطأ من موانع التكفير.

جاءت نصوص الشريعة بالعفو عن المخطيء الذي لم يتعمد الخطأ، بل أراد الصواب وقصده فصار إلى غيره، قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٥.

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾البقرة: ٢٨٦ ، وقد جاء في الحديث أن الله استجاب للمؤمنين هذا الدعاء، فقال: (قد فعلت)[١].

وعن أبي ذر الغفاري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه)[٣٢].

قال ابن رجب –رحمه الله–: (الخطأ هو أن يقصد بفعله شيئاً، فيصادف فعله غير ما قصده، مثل أن يقصد قتل كافر فصادف قتله مسلماً، والنسيان أن يكون ذاكراً الشيء فينساه عند الفعل، وكلاهما معفو عنه: يعني لا إثم فيه ... والأظهر –والله أعلم– أن الناسي والمخطئ إنما عفي عنهما، بمعنى: رفع الإثم عنهما، لأن الإثم مرتب على المقاصد والنيات، والناسي والمخطئ لا قصد لهما، فلا إثم عليهما)[٤].

---

[١] رواه مسلم، رقم (١٢٦)، في الإيمان، باب بيان قوله تعالى: {وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه} [البقرة: ٢٨٤].

[٢] رواه ابن ماجه، رقم (٢٠٤٣)، في الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١/٣٥٨)، رقم (١٧٣١).

[٣] لمزيد من أدلة العذر بالخطأ، انظر نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، لمحمد بن عبد الله الوهيبي، (١/٣٠٤).

[٤] جامع العلوم والحكم، (٢/٣٦٧-٣٦٩).

دلالة القصص النبوي عن الأمم الماضية على أن الخطأ من موانع التكفير:

دلت النصوص على عذر من أُغلق عليه فكره فتلفظ بالكفر؛ لشدة فرح أو حزن؛ وذلك لعدم إرادته حقيقة ما قال، ومن ذلك ما جاء في القصص النبوي عن الأمم الماضية من حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)[1].

قال ابن القيم –رحمه الله–: (وقد تقدم أن الذي قال لما وجد راحلته: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح، لم يكفر بذلك، وإن أتى بصريح الكفر، لكونه لم يرده)[2].

وقال–رحمه الله–: (ومن تدبر مصادر الشرع وموارده تبين له أن الشارع ألغى الألفاظ التي لم يقصد المتكلم بها معانيها، بل جرت على غير قصد منه كالنائم والناسي والسكران والجاهل والمكره والمخطئ من شدة الفرح أو الغضب أو المرض ونحوهم)[3].

ونظير هذا في السنة ما جاء على لسان آخر رجل يدخل الجنة لما قال لربه –عز وجل–: (أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ضحك حتى بدت نواجذه)[4]، وهذا القول مستقبح لا يليق أن يوجه إلى الرب العظيم، لكن يقال أن صاحبه قاله لفرط فرحه وذهوله واندهاشه بما أخبره الله به من النعيم، لذلك كان خطؤه معفو عنه لكونه لم يقصد حقيقة معناه.

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٤١-٤٢).

[2] إعلام الموقعين عن رب العالمين، (٣/٥٥).

[3] المصدر نفسه، (٣/٧٨).

[4] رواه البخاري، رقم (٦٥١٧)، في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم رقم (١٨٦)، في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجا.

ونقل النووي عن القاضي عياض أنه قال في هذا الحديث: (هذا الكلام صدر من هذا الرجل وهو غير ضابط لما قاله، لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله، فلم يضبط لسانه دهشا وفرحا، فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معناه ، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق، وهذا كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في الرجل الآخر أنه لم يضبط نفسه من الفرح، فقال: أنت عبدي وأنا ربك، والله أعلم)[١] [٢].

[١] شرح النووي على صحيح مسلم، (٣/٤٠).

[٢] انظر التكفير وضوابطه، لمنقذ السقار، (ص٧٧).

المبحث السابع: حكم إنفاذ نصوص الوعد والوعيد.

يؤمن أهل السنة بما جاء في النصوص من الوعد والوعيد، إلا أنهم لا ينزلون ما جاء في النصوص من الوعد والوعيد على المعينين إلا بعد استيفاء الشروط في حق المعين.

قال ابن تيمية –رحمه الله–: (فإنا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد والتكفير والتفسيق، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له)[1].

وقال –رحمه الله–: (وأما قول القائل: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة[2]، واحتجاجه بالحديث المذكور. فيقال له: لا ريب أن الكتاب والسنة فيهما وعد ووعيد، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ النساء: ١٠ ، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ النساء: ٢٩ ، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ النساء: ٣٠ .

ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة، والعبد عليه أن يصدق بهذا وبهذا لا يؤمن ببعض ويكفر ببعض فهؤلاء المشركون أرادوا أن يصدقوا بالوعد ويكذبوا بالوعيد.

والحرورية[3] والمعتزلة أرادوا أن يصدقوا بالوعيد دون الوعد وكلاهما أخطأ، والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بالوعد والوعيد، فكما أن ما توعد الله به العبد من العقاب قد بين سبحانه أنه

---

[1] مجموع الفتاوى، (٢٨/٥٠٠-٥٠١).

[2] رواه البخاري، رقم (٥٨٢٧)، في اللباس، باب الثياب البيض، ومسلم، رقم (٩٤)، في باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار.

[3] (الحرورية): اسم من الأسماء التي أطلقت على الخوارج الأوائل، وسموا بذلك لأنهم انحازوا إلى حروراء، ومن أهم مبادئهم: تكفير مرتكب الكبيرة، وإنكار الشفاعة في الآخرة، (انظر مقالات الإسلاميين، ١/٨٤، والملل والنحل، ١/١١٤).

بشروط بأن لا يتوب، فإن تاب تاب الله عليه، وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنوبه؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات، وبألا يشاء الله أن يغفر له ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء: ٤٨ .

فهكذا الوعد له تفسير وبيان، فمن قال بلسانه: لا إله إلا الله وكذب الرسول فهو كافر باتفاق المسلمين وكذلك إن جحد شيئا مما أنزل الله. فلا بد من الإيمان بكل ما جاء به الرسول)[١].

وعليه فالنصوص التي حكمت على فعل بعض المعاصي بالحرمان من الجنة، والخلود في النار، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ النساء: ٩٣

وقوله –صلى الله عليه وسلم- : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[٢]

ومثل حديث: (لا يدخل الجنة نمام)[٣]

(فهذه النصوص ومثلها لا يمكن حملها على إطلاقها، لورود نصوص أخرى تفيد بتحريم النار والحكم بالجنة لكل من شهد شهادة التوحيد، منها قوله –صلى الله عليه وسلم-: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار)[٤].

وقوله –صلى الله عليه وسلم-: (من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق،

---

[١] المصدر السابق، (٨/٢٧٠-٢٧١).

[٢] رواه مسلم، رقم (٩١)، في الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

[٣] رواه البخاري، رقم (٦٠٥٦)، في الادب، باب ما يكره من النميمة، ومسلم، رقم (١٠٥)، في الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة.

[٤] رواه مسلم، رقم (٢٩)، في الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار.

والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)[1])[2].

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: (ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق. قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر)[3].

وهذا هو المنهج الوسط لأهل السنة، فهم وسط بين إفراط الوعيدية الذين يحكمون بحرمان أصحاب المعاصي من الجنة، ويرون أن المعصية تخرج صاحبها من الدين وتوجب له الخلود في النار، وبين تفريط المرجئة الذين يرون أن الإيمان لا تضره معصية.

قال ابن تيمية –رحمه الله-: (والتحقيق أن يقال: الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد، كما أن ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين)[4].

---

[1] رراه البخاري، رقم (٣٤٣٥)، في الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ ، ومسلم، رقم (٢٨)، في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.

[2] التكفير وضوابطه، لمنقذ السقار، (ص٣٨).

[3] رواه البخاري، رقم (٥٨٢٧)، في اللباس، باب الثياب البيض، ومسلم، رقم (٩٤)، في باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار.

[4] مجموع الفتاوى، (١٢/٤٨٢-٤٨٣).

بيان ما جاء في القصص النبوي عن الأمم الماضية من نصوص الوعيد، وفهم أهل العلم لها:

ومن نصوص الوعيد التي أطلقت الحكم بالحرمان من الجنة على بعض المعاصي ما جاء في القصص النبوي عن الأمم الماضية من حديث جندب بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينا فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة)[1].

وقد ذكر ابن حجر -رحمه الله- أوجها في الجمع بين النصوص التي فيها أن الموحد لا يخلد في النار، وأنه لابد له من دخول الجنة، وبين هذا الحديث الذي فيه أن من قتل نفسه حُرمت عليه الجنة، فقال: (والجواب عن الثاني من أوجه: أحدها: أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافرا، ثانيها: كان كافرا في الأصل، وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره، ثالثها: أن المراد أن الجنة حرمت عليه في وقت ما، كالوقت الذي يدخل فيه السابقون، أو الوقت الذي يعذب فيه الموحدون في النار ثم يخرجون، رابعها: أن المراد جنة معينة كالفردوس مثلا، خامسها: أن ذلك ورد على سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد، سادسها: أن التقدير حرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك، سابعها: قال النووي: (يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها)[2])[3].

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٢).

[2] انظر شرح النووي على صحيح مسلم، (١٢٧/٢).

[3] فتح الباري، (٥٠٠/٦).

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالصحابة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مجمل عقيدة أهل السنة في الصحابة.

المبحث الثاني: فضل الشيخين أبي بكر وعمر، وقوة إيمانهما، وعظيم يقينهما.

المبحث الأول: مجمل عقيدة أهل السنة في الصحابة:

من أصول أهل السنة والجماعة واعتقادهم في الصحابة –رضي الله عنهم–:

– محبتهم، والدعاء لهم، والترضي عنهم، وبغض من يبغضهم، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحشر: ١٠.

–سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم–، كما وصفهم الله به في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

وطاعة للنبي –صلى الله عليه وسلم– في قوله: (لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده؛ لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)[١] .

– ويقبلون ما جاء به الكتاب أو السنة أو الإجماع، من فضائلهم ومراتبهم.

– فيفضلون من أنفق من قبل الفتح –وهو صلح الحديبية– وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل. لقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحديد: ١٠

– ويقدمون المهاجرين على الأنصار، (وقد جاء القرآن بتقديم المهاجرين على الأنصار في قوله: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ التوبة: ٢٠، وقوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

---

[١] رواه البخاري، رقم (٣٦٧٣)، في المناقب، باب قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لو كنت متخذا خليلا) ، ومسلم، رقم (٢٥٤٠)، في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة –رضي الله عنهم–.

الحشر: ٨، فجمع المهاجرون بين الوصفين: النصرة والهجرة، وهذا التفضيل إنما هو للجملة على الجملة، فلا ينافي أن في الأنصار من هو أفضل من بعض المهاجرين)[١].

– ويؤمنون: بأن الله تعالى قال لأهل بدر –وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر–: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[٢] .

– وبأنه: (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)[٣] ؛كما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم– ، بل قد رضي عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة[٤].

– ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ كالعشرة المبشرين بالجنة[٥]، وكثابت بن قيس بن شماس[٦]، وغيرهم من الصحابة.

– ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه –وغيره؛ من أن: خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر[١]، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي –رضي الله

---

[١] انظر شرح الواسطية للهراس، (ص٢٤٠).

[٢] رواه البخاري، رقم (٣٩٨٣)، في المغازي، باب فضل من شهد بدرا.

[٣] رواه مسلم، رقم (٢٤٩٦)، في فضائل الصحابة –رضي الله تعالى عنهم–، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان –رضي الله عنهم–.

[٤] رواه البخاري، رقم (٤١٥٤)، في المغازي، باب غزوة الحديبية، ومسلم، رقم (١٨٥٦)، في الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال.

[٥] عن عبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)رواه الترمذي، رقم (٣٧٤٧)، في الناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنه–، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٧١/١)، رقم (٥٠).

[٦] ثابت بن قيس بن شمّاس الأنصاري الخزرجي، كان خطيب الأنصار، أول مشاهده أحد، وشهد ما بعدها، وبشره النبي –صلى الله عليه وسلم– بالجنة في قصة شهيرة، فقال عنه: (بل هو من أهل الجنة) رواه مسلم، رقم (١١٩)، في الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله. (انظر الإصابة، ٥١١/١).

عنهم-؛ كما دلت عليه الآثار، وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر؛ أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان، وسكتوا، أو ربعوا بعلي، وقدم قوم عليا، وقوم توقفوا.

لكن استقر أمر أهل السنة على: تقديم عثمان، ثم علي.

- وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة.

- لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها: مسألة الخلافة، وذلك بأنهم يؤمنون: بأن الخليفة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي -رضي الله عنهم-، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة؛ فهو أضل من حمار أهله.

- ويحبون أهل بيت رسول الله[٢] -صلى الله عليه وسلم-، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال يوم غدير خم: (أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)[٣] .

وقال أيضا للعباس عمه؛ وقد شكا إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم؛ فقال: (والذي نفسي بيده؛ لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي)[١] .

---

[١] ومن ذلك ما جاء عن محمد بن الحنفية أنه قال: (قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين) رواه البخاري، رقم (٣٦٧١)، في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لو كنت متخذا خليلا).

[٢] القول الصحيح في المراد بآل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- هم من تحرم عليهم الصدقة، وهم أزواجه وذريته، وكل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وهم بنو هاشم بن عبد مناف؛ لأنه ولد لهاشم بن عبد مناف: شيبة، وهو عبد المطلب، وفيه العمود والشرف، ولم يبق لهاشم عقب إلا من عبد المطلب فقط. انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم، (ص١٤)، وفتح الباري، (٧/٧٨-٧٩)، وجلاء الأفهام، (ص٢١٠-٢٢٦)، وفضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، لعبد المحسن العباد البدر، ص٦.

[٣] رواه مسلم، رقم (٢٤٠٨)، في الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

وقال: (إن الله اصطفى إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[2] .

– ويتولون أزواج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمهات المؤمنين، ويقرون: بأنهن أزواجه في الآخرة.

– خصوصا خديجة أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العلية.

– والصديقة بنت الصديق التي قال فيها النبي –صلى الله عليه وسلم–: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[3] .

– وأم سلمة، وزينب، وصفية بنت حيي من ولد هارون بن عمران، وجويرية بنت الحارث ملك بني المصطلق التي كانت هي السبب في عتق السبي من قبيلتها، وسودة بنت زمعة التي كانت من أسباب الحجاب، ولما كبرت اختارت نبي الله عز وجل أن تبقى في عصمة نكاحه ووهبت يومها لعائشة تستحقه مع قسمها، وأم حبيبة ذات الهجرتين، وميمونة بنت الحارث الهلالية التي نكحها النبي – صلى الله عليه وسلم – في عمرة القضاء وهما حلالان على ما حدثت به هي والسفير بينهما ، وكلهن زوجاته في الدنيا والآخرة رضي الله عنهن.

– ويتبرؤون من:

طريقة (الروافض) الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم.

وطريقة (النواصب) ، الذين يؤذون (أهل البيت) ، بقول أو عمل.

– ويكفون عن مساويهم وما شجر بينهم –رضي الله عنهم–.

– ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم:

---

[1] رواه الترمذي، رقم (٣٧٥٨)، في المناقب، باب مناقب أبي الفضل عم النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه–، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، (ص٤٣١).

[2] رواه مسلم، رقم (٢٢٧٦)، في الفضائل، باب فضل نسب النبي –صلى الله عليه وسلم–.

[3] رواه البخاري، رقم (٣٧٦٩)، في المناقب، باب فضل عائشة –رضي الله عنها–، ومسلم، رقم (٢٤٣١)، في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين –رضي الله عنها–.

منها: ما هو كذب.

ومنها: ما قد زيد فيه ونقص، وغير عن وجهه.

والصحيح منه: هم فيه معذورون:

إما مجتهدون مصيبون.

وإما مجتهدون مخطئون.

- وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة.

- ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إنهم خير القرون)[1].

وأن (المد من أحدهم إذا تصدق به؛ كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم)[2].

- ثم إذا كان قد صدر عن أحدهم ذنب؛ فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد -صلى الله عليه وسلم- الذين هم أحق الناس بشفاعته. أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه.

- فإذا كان هذا في الذنوب المحققة؛ فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا؛ فلهم أجران، وإن أخطأوا؛ فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

- ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من: الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح.

- ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله به عليهم من الفضائل؛ علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم.

---

[1] رواه مسلم، رقم (٢٥٣٤)، في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

[2] رواه البخاري، رقم (٣٦٧٣)، في المناقب، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لو كنت متخذا خليلا)، ومسلم، رقم (٢٥٤٠)، في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة -رضي الله عنهم-.

- وأنهم هم صفوة هذه الأمة وأكملها، وأقربها إلى الحق والصواب .[1]

[1] انظر العقيدة الواسطية، (ص١١٥-١٢٥)، ومعارج القبول: (١١٢٦/٣).

المبحث الثاني: فضل الشيخين أبي بكر وعمر، وقوة إيمانهما، وعظيم يقينهما.

أولا: بيان فضل أبي بكر وعمر–رضي الله عنهما–، وأنهما أفضل هذه الأمة بعد نبيها –صلى الله عليه وسلم–.

اتفقت كلمة أهل السنة على تقديم الشيخين أبي بكر وعمر، وأنهما أول هذه الأمة في الإمامة والفضل، وقد ذكر ابن عمر –رضي الله عنهما– أن هذا كان إجماعا من الصحابة، فعن ابن عمر –رضي الله عنهما–: (كنا نخير بين الناس في زمن النبي –صلى الله عليه وسلم–، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان)[١].

وفي رواية: (كنا نقول ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– حي: أفضل أمة النبي –صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان –رضي الله عنهم– أجمعين)[٢]، وزاد في رواية: (فيسمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذلك فلا ينكره)[٣].

قال النووي –رحمه الله–: (واتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر، وقال جمهورهم: ثم عثمان، ثم علي)[٤].

وحكى مالك –رحمه الله– إجماع أهل المدينة على ذلك فقال: (ما أدركت أحدا ممن يقتدى به يشك في تقديم أبي بكر وعمر)[٥].

---

[١] رواه البخاري، رقم (٣٦٥٥)، في أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–، باب فضل أبي بكر بعد النبي –صلى الله عليه وسلم–.

[٢] رواه أبو داود، رقم (٤٦٢٨)، في السنة، باب في التفضيل، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (١٢٦/٣).

[٣] رواه الطبراني في المعجم الكبير، (٢٨٥/١٢)، رقم (١٣١٣٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٩/ ٥٨): (رجاله وثقوا وفيهم خلاف).

[٤] شرح النووي على مسلم، (١٤٨/١٥).

[٥] مجموع الفتاوى، (٤٢١/٤).

وعن عمرو بن العاص –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: (أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالا)[١].

وقد جاءت عن علي –رضي الله عنه– آثار مستفيضة تفيد تقديم أبي بكر وعمر على غيرهم، فعن محمد بن الحنفية[٢] أنه قال: (قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين)[٣].

قال ابن تيمية –رحمه الله–: (ويروى هذا عن علي بن أبي طالب من نحو ثمانين وجها وأنه كان يقوله على منبر الكوفة؛ بل قال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[٤]. فمن فضله على أبي بكر وعمر جلد بمقتضى قوله –رضي الله عنه– ثمانين سوطا. وكان سفيان يقول من فضل عليا على أبي بكر فقد أزرى بالمهاجرين؛ وما أرى أنه يصعد له إلى الله عمل وهو مقيم على ذلك)[٥].

---

[١] رواه البخاري، رقم (٣٦٦٢)، في أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–، باب قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لو كنت متخذا خليلا)، ومسلم، رقم (٢٣٨٤)، في فضائل الصحابة –رضي الله تعالى عنهم–، باب من فضائل أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–.

[٢] هو محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية، من كبار التابعين، وهو أخو الحسن والحسين، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، ينسب إليها تمييزا له عنهما، ولد بالمدينة سنة ٢١، وتوفي بها سنة ٨١هـ. (انظر سير أعلام النبلاء، ٤/١١٠–١٢٩).

[٣] رواه البخاري، رقم (٣٦٧١)، في أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–، باب قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: (لو كنت متخذا خليلا).

[٤] رواه ابن أبي عاصم في السنة، (٢/٥٧٥)، رقم (١٢١٩)، و قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى، (٢٨/ ٤٧٤): روي بأسانيد جيدة.

[٥] مجموع الفتاوى، (٤/٤٢٢).

وعن أنس -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأبي بكر وعمر: (هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين)[1].

وعن حذيفة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر، وعمر)[2].

وعن أبي قتادة[3] -رضي الله عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان في سفر فقال للناس: (فإن يطيعوا أبا بكر، وعمر يرشدوا)[4].

وعن أبي بكرة[5] -رضي الله عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال ذات يوم: (من رأى منكم رؤيا؟) فقال رجل: أنا، رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر، فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان، فرجح عمر ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[6].

---

[1] رواه الترمذي، رقم (٣٦٦٤)، في أبواب المناقب، باب مناقب أبي بكر -رضي الله عنه-، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٧١/١)، رقم (٥١).

[2] رواه الترمذي، رقم (٣٦٦٢)، في أبواب المناقب، باب مناقب أبي بكر -رضي الله عنه-، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٢٥٤/١)، رقم (١١٤٢).

[3] هو الصحابي الجليل الحارث (أو النعمان، أو عمرو) بن ربعي الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو قتادة، اشتهر بكنيته، شهد الوقائع مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ابتداء من وقعة أحد، وشهد صفين مع علي، ومات بالمدينة سنة ٥٤هـ. (انظر الإصابة، ٢٧٢/٧-٢٧٤).

[4] رواه مسلم، رقم (٦٨١)، في المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها.

[5] هو الصحابي الجليل نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، أبو بكرة، من أهل الطائف، وسكن البصرة، وأنجب أولادا لهم شهرة، وكان تدلى إلى النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- من حصن الطائف ببكرة؛ فاشتهر بأبي بكرة. (انظر الإصابة، ٣٦٩/٦).

[6] رواه أبو داود، رقم (٤٦٣٤)، في السنة، باب في الخلفاء، والترمذي، رقم (٢٢٨٨)، في الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي -صلى الله عليه وسلم- الميزان والدلو، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (١٢٧/٣).

وفي رواية: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ذات يوم (أيكم رأى رؤيا؟) فذكر معناه، ولم يذكر الكراهية، قال: فاستاء لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يعني فساءه ذلك، فقال: (خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء)[1].

والنصوص التي دلت على فضيلة الشيخين وعلى أنهما خير هذه الأمة كثيرة، وما ذكرنا إنما هو شيء قليل منها.

[1] رواه أبو داود، رقم(٤٦٣٥)، في السنة، باب في الخلفاء، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (١٢٨/٣).

ثانيا: نصوص القصص النبوي عن الأمم الماضية التي دلت على فضل الشيخين أبي بكر وعمر:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-قال: صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس، فقال: (بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث) فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم، فقال: (فإني أومن بهذا، أنا وأبو بكر، وعمر، -وما هما ثم- وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب، فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب هذا: استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري) فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم، قال: (فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، - وما هما ثم -)[1].

وجه الدلالة:

دل هذا الحديث على فضل الشيخين أبي بكر وعمر وعظيم مكانتهما، إذ أنهما لم يكونا في المجلس لما قص الرسول —صلى الله عليه وسلم- هذه القصة على أصحابه، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم- شهد لهما بالإيمان؛ لعلمه بكمال إيمانهما، وقوة يقينهما.

وهذا يدل كذلك على تقديم الشيخين على غيرهم من الصحابة؛ لأن المجلس الذي حدث فيه النبي —صلى الله عليه وسلم- بهذه القصة لم يكن فيه جميع الصحابة قطعا، بل غاب عنه بعض الصحابة كما غاب عنه الشيخان أبو بكر وعمر، إلا أن النبي —صلى الله عليه وسلم- خصهما بالذكر من بين الغائبين، وكأن في ذلك إشارة إلى أنهما أكثر هذه الأمة إيمانا بنبيها —صلى الله عليه وسلم- وبما جاء به من الحق.

وكثيرا ما كان يخصهما النبي —صلى الله عليه وسلم- بالذكر دون غيرهما من الصحابة، فعن ابن عباس —رضي الله عنهما-، قال: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس، يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٣٦).

يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت إني كنت كثيرا أسمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (ذهبت أنا وأبو بكر، وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر، وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر، وعمر)[1].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (فهذا يبين ملازمتهما للنبي -صلى الله عليه وسلم- في مدخله ومخرجه وذهابه. ولذلك قال مالك للرشيد: لما قال له: يا أبا عبد الله أخبرني عن منزلة أبي بكر وعمر: من النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ فقال: يا أمير المؤمنين منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد وفاته، فقال: شفيتني يا مالك. وهذا يبين أنه كان لهما من اختصاصهما بصحبته ومؤازرتهما له على أمره ومباطنتهما مما يعلمه بالاضطرار كل من كان عالما بأحوال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأقواله وأفعاله وسيرته مع أصحابه)[2].

---

[1] رواه البخاري، رقم (٣٦٨٥)، في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم، رقم (٢٣٨٩)، في الفضائل، باب من فضائل عمر -رضي الله تعالى عنه-.

[2] مجموع الفتاوى، (٤/٤٢٤).

الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذا البحث عن المسائل العقدية الواردة في القصص النبوي عن الأمم الماضية من خلال الكتب الستة، والذي جاء في مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب، أجمل أهم النتائج التي احتواها فيما يلي:

- القصص النبوي جزء من السنة النبوية فيكون ما فيها مصدر من مصادر تلقي العقيدة الإسلامية، والمتأمل للقصص النبوي يجد أنها اشتملت على أصول العقيدة الإسلامية، فقد دلت على أصول الإيمان الستة، وكثير من التفصيلات في كل أصل من هذه الأصول.
- إن دراسة العقيدة من خلال القصص النبوي فيه ربط بين الناحية النظرية والناحية العملية، ولا شك في الأثر التربوي المتميز عند دراسة العقيدة لما يرتبط هذا التعليم بالجانب العملي.
- وقوع الشرك في الربوبية، وأنه وجد من الملوك الجبابرة من ادعى الربوبية لنفسه من دون الله تعالى.
- من شرك الربوبية جحد النعمة، ونسبتها إلى غير الله.
- فضل كلمة التوحيد، وأنها سبب لدخول الجنة.
- الإخلاص سبب لتفريج الكربات وإزالة الشدة، وقبول الأعمال.
- جزاء الصدق في التوكل، وأن التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب.
- الخوف من الله تعالى عبادة قلبية من أجل العبادات، وهي سبب لمغفرة الذنوب.
- أنواع الصبر ثلاثة: الأول: الصبر على طاعة الله، وهو أعظم الأنواع، الثاني: الصبر عن المعاصي، الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة.

- عظيم منزلة التوبة، ولكنها لا تنفع صاحبها عند معاينة العذاب وعند الغرغرة.
- لفظ دعاء الله في القرآن والسنة يراد به دعاء العبادة، ودعاء المسألة؛ فدعاء العبادة يكون الله هو المراد به، ودعاء المسألة يكون الله هو المراد منه.
- التوسل إلى الله بالعمل الصالح سبب لقبول الدعاء.
- التألي على الله مناف لتوحيد الربوبية، ولتوحيد العبادة، فمنافاته لتوحيد الربوبية لأن الرب -جل وعلا- هو المالك لكل شيء، وليس لأحد معه تصرف ولا سلطة، فلا يجوز لمخلوق أن يحكم على خالقه بأن فلانا لا يُغفر له، وفلانا لا يدخل الجنة، ووجه كونه مناف لتوحيد العبادة أن المتألي على الله ألا يغفر لفلان، أو لا يدخله الجنة، ونحو ذلك، قد افتقد بهذا الغرور والكبر ركنا عظيما من أركان العبادة؛ لأن العبادة مبنية على الذل والخضوع، إلى جانب إساءة ظنه بالله، وتحجير فضله.
- ينقسم السحر من حيث الحكم عليه إلى قسمين:

أ: شرك وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين؛ يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور.

ب: عدوان وفسق، وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوه .

الاستعاذة والاستغاثة ينقسمان إلى قسمين:

القسم الأول: ما يقع عبادة، ويكون صرفه لغير الله شرك.

القسم الثاني: ما لا يقع عبادة، فهذا يجوز أن يوجه إلى المخلوق، بشرط أن يكون حيا حاضرا قادرا.

- وصفت آيات سورة المائدة الحكم بغير ما أنزل الله بأنه كفر وظلم وفسق، وهذه الأوصاف الثلاثة المذكورة في هذه الآيات —الكفر والظلم والفسق- ليست لموصوف واحد، وإنما لموصوفين متعددين، فهي على حسب الحكم على الشخص الذي حكم بغير ما أنزل الله.

- جعل الشرع الحكم إلى العلماء وإلى الأمراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله.

- الاستكبار عن سبيل التوحيد هو سبب هلاك أكثر الكافرين.

- مشروعية الهجرة حين لا يجد المرء سبيلا لإقامة دينه.

- كل كمال في المخلوق، وأمكن أن يتصف به الخالق، فالخالق أولى به.

- عظم وزر المبدلين لأمر الله وشرعه، والمحرفين لكلامه، وأنه قد وجد ممن ينتسب إلى هذه الأمة من وقع في ذلك.

- ثبوت صفة الكلام، والمحبة، والفرح، والرضا والسخط، والمغفرة، والرحمة، والشكر، والشفاء، والقدرة لله تعالى.

- ثبوت اسمي الشهيد، والكفيل لله تعالى.

- صفات القهر والمجد والعظمة من الصفات التي اختص الله بها نفسه، ولا يجوز للمخلوق الاتصاف بها.

- جبريل -عليه السلام- هو الملك الموكل بالوحي، و مهمته ليست قاصرة على الوحي.

- ملك الموت هو الملك الموكل بقبض الأرواح، وملائكة الرحمة وملائكة العذاب هم أعوان ملك الموت في قبض الأرواح.

- الرعد ملك من أعوان ميكائيل وهو موكل بالسحاب.

- من أعمال الملائكة أنهم سفراء الله إلى خلقه.

- ليس كل من جاءه ملك فهو رسول أو نبي.

- من أعمال الملائكة ابتلاء بني آدم واختبارهم.

- قدرة الملائكة على التشكل في صورة البشر.

- التوراة والإنجيل نزلا من عند الله نورا وهداية.

- شريعة القرآن ناسخة لجميع الشرائع، وجميع الأنبياء اتفقوا على أصل الدين، وهو التوحيد.

- الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل أصابها التحريف والتبديل.

- بعض أهل الكتاب بقوا على الدين الحق لحين بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–

- السبب الذي أدى بالنصارى الأوائل إلى الرهبنة، واعتزال مجتمعاتهم، لم يكن لقصد التعبد بالعزلة والتقشف وترك الزواج، وإنما كان سبب اعتزالهم وخروجهم إلى الوديان وقمم الجبال والصحاري هو الفرار بدينهم، والهروب من أذى حكامهم الذين قاموا باضطهادهم وتعذيبهم لكي يردوهم عن دينهم.

- الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم.
- عظم ثواب من اتبع رسالة محمد –صلى الله عليه وسلم-؛ وخاصة أهل الكتاب.
- الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف؛ وإنما هو مفارقة الروح للبدن.
- ثبوت عذاب القبر ونعيمه على الروح والجسد جميعا.
- من علامات الساعة تكليم السباع للإنس.
- قدرة الله على إحياء الموتى، ورد أرواحهم إلى أجسادهم، ولو كانت أجسادهم قد تقطعت وتمزقت وتفرقت في قاع البحار، أو بطون الحيوانات، أو تحولت إلى رماد أو تراب.
- الإيمان بالجنة والنار، وأنهما موجودتان الآن.
- تحقيق الإيمان بالقدر لا يتم إلا بالإقرار بأربعة مراتب: المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها، المرتبة الثالثة: مشيئته لها، الرابعة: خلقه لها.
- نقض عقيدة الرافضة في البداء.
- الإرادة الربانية تنقسم إلى نوعين :

النوع الأول: إرادة كونية قدرية، وهي بمعنى المشيئة، ولابد من وقوعها.

النوع الثاني: إرادة شرعية دينية، وهي متعلقة بما يحبه الله ويرضاه.

- العمل سبب لدخول الجنة، وليس بمثابة العوض والثمن لها.
- وجوب التسليم لقضاء الله وقدره.
- الإيمان الشرعي قول وعمل، والعمل يدخل في مسمى الإيمان.
- الإيمان يزيد وينقص، وأهله ليسوا فيه سواء، بل بينهم من التفاضل فيه والتفاوت الشيء العظيم.
- من قامت به شعبة من شعب الكفر فإنه لا يزيل عنه مسمى الإسلام، ولا يستحق مسمى الإيمان المطلق.
- نفي النبي –صلى الله عليه وسلم– للإيمان عن شارب الخمر والزاني والسارق لا يعني نفي أصل الإيمان عنه، وذلك لأن الناس في الإيمان بحسب الزيادة والنقصان فيه يكونون على ثلاثة مراتب:

فالمرتبة الأولى للإيمان: هي مرتبة أصل الإيمان، أو مطلق الإيمان، أو الإيمان المجمل، وهي الحد الأدنى من الإيمان الذي ينجي صاحبه من الخلود في النيران.

والمرتبة الثانية للإيمان: هي مرتبة الإيمان الواجب، أو الإيمان المفصل، أو الإيمان المطلق، أو حقيقة الإيمان، ويكون صاحبها ممن يؤدي الواجبات ويتجنب الكبائر والمنكرات، ويلتزم بكل تفاصيل الشريعة الواجبة.

المرتبة الثالثة للإيمان: مرتبة الإيمان المستحب، وهؤلاء هم الذين أتوا بالواجبات وتركوا المحرمات، ثم أتبعوا الواجبات بالنوافل وأتبعوا ترك المحرمات بترك المكروهات.

- صاحب الكبيرة إن مات عليها دون توبة فهو تحت المشيئة.
- التكفير المطلق لا يستلزم التكفير المعين، وأن الجهل والخطأ من موانع التكفير.

- يؤمن أهل السنة بما جاء في النصوص من الوعد والوعيد، إلا أنهم لا ينزلون ما جاء في النصوص من الوعد والوعيد على المعينين إلا بعد استيفاء الشروط في حق المعين.
- فضل الشيخين أبي بكر وعمر، وقوة إيمانهما، وعظيم يقينهما، وأنهما أفضل هذه الأمة بعد نبيها –صلى الله عليه وسلم–.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس

وتشتمل على ما يلي:

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الأعلام.

فهرس غريب الألفاظ.

فهرس الفرق.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الآية **الصفحة**

(سورة الفاتحة)

(سورة البقرة)

(سورة آل عمران)

(سورة النساء)

(سورة المائدة)

(سورة الأنعام)

(سورة الأعراف)

(سورة يونس)

(سورة يوسف)

(سورة هود)

(سورة الرعد)

(سورة إبراهيم)

(سورة الحجر)

(سورة النحل)

(سورة الإسراء)

(سورة الكهف)

(سورة النمل)

(سورة القصص)

(سورة العنكبوت)

(سورة الروم)

(سورة لقمان)

(سورة السجدة)

(سورة الأحزاب)

(سورة سبأ)

(سورة فاطر)

(سورة يس)

(سورة الصافات)

(سورة الزمر)

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر :٥٣ .... ٣٧٥

(سورة غافر)

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ غافر :٣ .. ١٢٠ , ٢١٨

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ غافر :٧ .... ٢٢١

﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ غافر :١١ .... ٣١٥

﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر :٤٥ - ٤٦ .... ٣١٧,٣١٨

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾غافر :٦٠ .... ١٢٨

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ غافر :٨٣ .... ٣٨١

﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ غافر :٨٤ .... ٣٨١

﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ غافر :٨٤ - ٨٥ ....٣٨٢,٣٧٨.

(سورة فصلت)

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ فصلت :١٥ ــ ١٦. .... ١٨٠

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت :٣٠.. ٢٥٥

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ فصلت :٣٩. .... ٣٢٨

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ فصلت :٤٣.. ٢١٨

(سورة الشورى)

(سورة الزخرف)

(سورة الدخان)

(سورة محمد)

(سورة الفتح)

(سورة الذاريات)

(سورة النجم)

(سورة القمر)

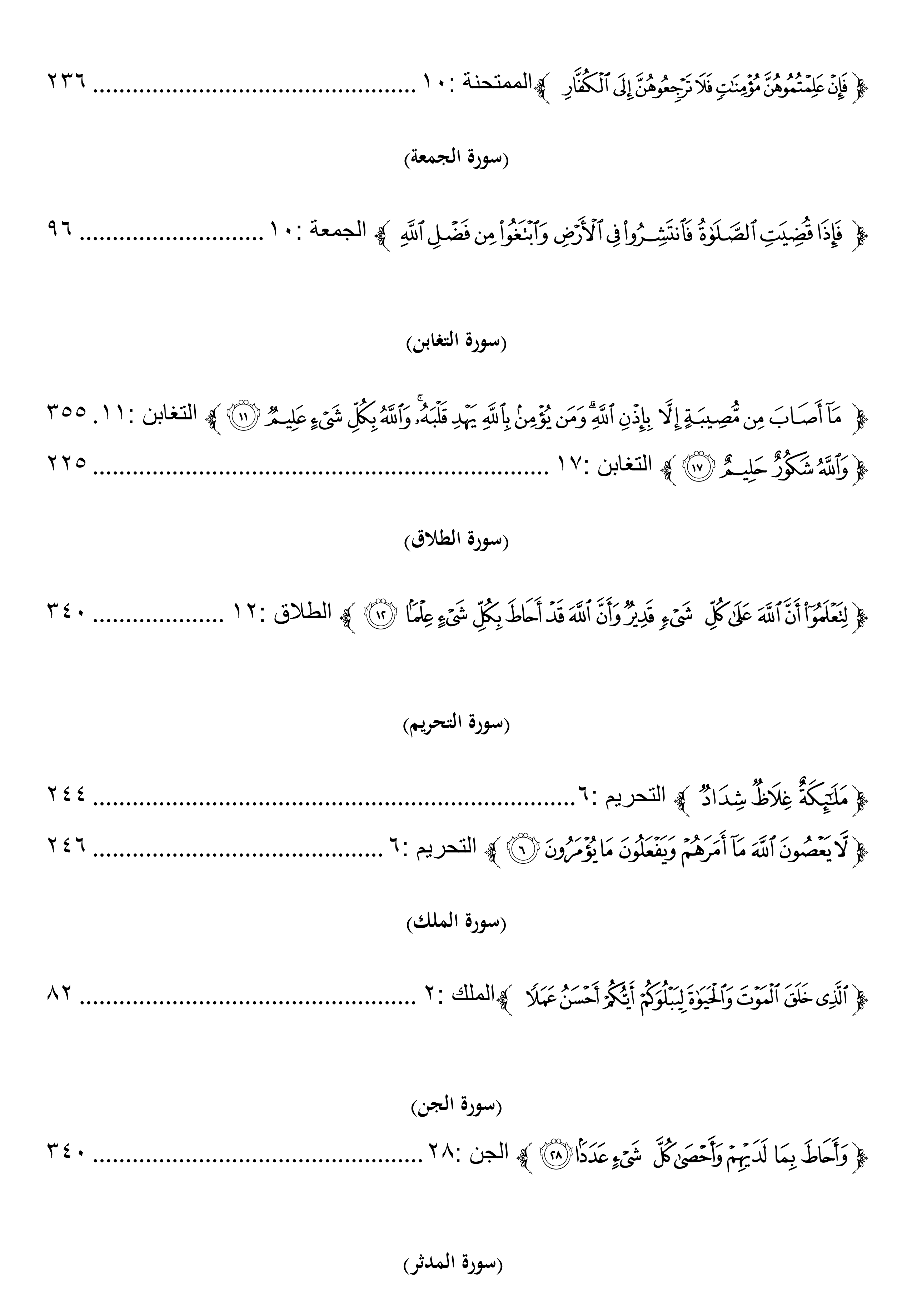
(سورة الرحمن)

(سورة الواقعة)

(سورة الحديد)

(سورة الحشر)

(سورة الممتحنة)



(سورة الجمعة)

(سورة التغابن)

(سورة الطلاق)

(سورة التحريم)

(سورة الملك)

(سورة الجن)

(سورة المدثر)

(سورة القيامة)

(سورة الإنسان)

(سورة النبأ)

(سورة النازعات)

(سورة عبس)

(سورة التكوير)

(سورة الانشقاق)

(سورة الليل)

(سورة البينة)

(سورة الزلزلة)

(سورة الماعون)

(سورة الفلق)

(سورة الناس)

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس غريب الألفاظ

فهرس الفرق

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع -

١. القرآن الكريم.

٢. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

٣. اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية — الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤. أحكام الجنائز، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٦هـ.

٥. أحوال المحتضر، لمحمد بن عبد العزيز العلي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٦. الأذكار، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، ١٤١٤هـ.

٧. الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٣هـ.

٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٩. الأسلوب، لأحمد الشايب، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ٢٠٠٣م.

١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١١. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

١٢. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية –عرض ونقد–، لناصر القفاري، الناشر: بدون، ط١، ١٤١٤هـ.

١٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الجكني الشنقيطي، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت — لبنان، ١٤١٥هـ.

١٤. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ.

١٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

١٦. الأعلام، لخير الدين الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

١٧. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٨. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ.

١٩. الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، لآمال بنت عبد العزيز العمرو، الناشر: بدون.

٢٠. الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، ل د. إبراهيم الرحيلي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٢٣هـ.

٢١. الإيمان، لابن تيمية، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط٥، ١٤١٦هـ.

٢٢. الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٣. البداية والنهاية، لابن كثير، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٤. بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٥. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٦. تاج العروس، للزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٢٧. تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، الناشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩هـ.

٢٨. التحرير الأدبي، د/ حسين علي محمد حسين، الناشر: مكتبة العبيكان، ط٥، ١٤٢٥.

٢٩. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، الناشر : الدار التونسية للنشر — تونس، ١٩٨٤م.

٣٠. التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لابن تيمية، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان — الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ.

٣١. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٢. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لأبي الفضل القاضي عياض، الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط١.

٣٣. تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، الناشر: دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط٢.

٣٤. تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦.

٣٥. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٦. تغليق التعليق على صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان — الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٧. تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ.

٣٨. تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٩. تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٠. تفسير الفاتحة والبقرة، لابن عثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤١. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون — بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٢. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية — القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٤٣. تفسير جزء عم، لمحمد بن صالح العثيمين، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٤٤. التكفير وضوابطه، لمنقذ بن محمود السقار، الناشر: رابطة العالم الإسلامي.

٤٥. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، لأبي هلال العسكري، المحقق: الدكتور عزة حسن، الناشر: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٦م.

٤٦. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ، الناشر: دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ.

٤٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية — المغرب، ١٣٨٧هـ.

٤٨. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين الملطي العسقلاني، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر.

٤٩. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج للمزي، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٥٠. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥١. التوسل، أنواعه وأحكامه، لمحمد ناصر الدين الألباني، المحقق: محمد عيد العباسي، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٢. التوصل إلى حقيقة التوسل، لمحمد نسيب الرفاعي، الناشر: دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ.

٥٣. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ.

٥٤. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط١.

٥٥. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٦. جامع الرسائل، لابن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء – الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٧. جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ.

٥٨. جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة – الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٥٩. جلباب المرأة المسلمة، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٣.

٦٠. جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٦١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ.

٦٢. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة – المغرب، ط١، ١٤١٨هـ.

٦٣. حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن قاسم، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٦٤. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لقوام السنة الأصبهاني، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية – السعودية / الرياض، ط٢، ١٤١٩.

٦٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله مهران الأصبهاني، الناشر: السعادة ، ١٣٩٤هـ.

٦٦. الحياة الآخرة، غالب عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية، ط٢، ١٤٢١هـ.

٦٧. خطبة الحاجة التي كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يعلمها أصحابه، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦٨. الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد علي الحلبي، الناشر: دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٩. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ.

٧٠. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٧١. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ.

٧٢. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة،

٧٣. ذيل طبقات الحفاظ، لجلال الدين السيوطي، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية.

٧٤. ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٧٥. الرد على الأخنائي قاضي المالكية، لابن تيمية، المحقق: الداني بن منير آل زهوي، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٧٦. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، لعبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، المحقق: د. محمد با كريم با عبد الله، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٧٧. الرهبنة الديرية في مصر، لرؤوف حبيب، الناشر :مكتبة المحبة – مصر، ١٩٧٨ م.

٧٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٧٩. الروح، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٠. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.

٨١. روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٨٢. رياض الصالحين، ليحيى بن شرف النووي، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ.

٨٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.

٨٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.

٨٥. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٨٦. السنة، لأبي بكر ابن أبي عاصم، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي — بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٨٧. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٨٨. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت.

٨٩. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي — مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.

٩٠. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٩١. سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية — حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٩٢. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ.

٩٣. شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الناشر: دار الثقافة العربية.

٩٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، حققه: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٩٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ.

٩٦. شرح الأربعين النووية، لمحمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار الثريا للنشر.

٩٧. شرح التبصرة والتذكرة (١ / ١٩٨-١٩٩) ، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ.

٩٨. شرح السنة، للبغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٩٩. شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، المحقق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، ط١، ١٤٢٥.

١٠٠. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨ هـ.

١٠١. شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، المحقق: سعد فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤١٩هـ.

١٠٢. شرح العقيدة الواسطية، لمحمد خليل هراس، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، ط٣، ١٤١٥هـ.

١٠٣. شرح ألفية ابن مالك، لابن عقيل، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ.

١٠٤. الشريعة، للآجري، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن – الرياض / السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٠٥. شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٠٦. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ.

١٠٧. شهادة أن لا إله إلا الله، ل د.صالح السندي، الناشر: دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٢هـ.

١٠٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

١٠٩. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

١١٠. صحيح الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

١١١. صحيح القصص النبوي، د/ عمر سليمان الأشقر، الناشر: دار النفائس، الأردن، ط٨، ١٤٣٠هـ.

١١٢. صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

١١٣. صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١١٤. صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

١١٥. صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١١٦. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.

١١٧. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، محمد أمان الجامي، الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

١١٨. صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: الدرر السنية – دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ.

١١٩. صفة النفاق وذم المنافقين، لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفِرْيابِي، شرحه وحققه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن المصري الأثري، الناشر: دار الصحابة للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٢٠. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٢١. صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، لمحمد بشير السهسواني، الناشر: المطبعة السلفية — ومكتبتها، ط٣، ١٤١٠هـ.

١٢٢. ضعيف سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

١٢٣. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت.

١٢٤. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٢٥. طبقات الشافعية، لتقي الدين ابن قاضي شهبة، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٢٦. طبقات المفسرين، لجلال الدين السيوطي، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ.

١٢٧. طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، ، ط٢، ١٣٩٤هـ.

١٢٨. طريقك إلى الإخلاص والفقه في الدين، لعبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: دار الاندلس الخضراء، ط١، ١٤٢١هـ.

١٢٩. عالم الملائكة الأبرار، لعمر بن سليمان الأشقر، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٣٠. عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٠٩هـ.

١٣١. عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي إسماعيل الصابوني، تحقيق: د/ ناصر بن عبد الرحمن الجديع، الناشر: دار العاصمة، الرياض، ١٤١٥هـ.

١٣٢. العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر الوراق الطحاوي، تعليق الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٣٣. العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، لابن تيمية، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف – الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٣٤. العقيدة للإمام أحمد، برواية أبي بكر الخلال، المحقق: عبد العزيز عز الدين السيروان، الناشر: دار قتيبة – دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٣٥. غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

١٣٦. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٣٧. فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع – الرياض.

١٣٨. فتح الباري لابن رجب الحنبلي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين — القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.

١٣٩. فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

١٤٠. فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

١٤١. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط٧، ١٣٧٧هـ.

١٤٢. الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، الناشر: دار الآفاق الجديدة — بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

١٤٣. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ.

١٤٤. الفصل في الملل والاهواء والنحل، لابن حزم، الناشر: مكتبة الخانجي — القاهرة.

١٤٥. فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، لعبد المحسن العباد البدر، الناشر: دار ابن الأثير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٤٦. فقه الأسماء الحسنى، ل د/ عبد الرزاق البدر، الناشر: بدون، ط٢، ١٤٣٠هـ.

١٤٧. فوائد قرآنية، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، الناشر: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط: الأولى ١٣٨٩هـ.

١٤٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للحافظ المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى — مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

١٤٩. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: مكتبة الفرقان — عجمان، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٥٠. القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ.

١٥١. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، لعبد الكريم خطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

١٥٢. القواعد الحسان لتفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٥٣. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للعثيمين، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٢١هـ.

١٥٤. القول السديد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٥٥. القول المفيد على كتاب التوحيد، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٥٦. القيامة الصغرى، لعمر سليمان الأشقر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٤، ١٤١١هـ.

١٥٧. الكافية الشافية، لابن قيم الجوزية، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ.

١٥٨. كتاب التوحيد، وإثبات صفات الرب –عز وجل-، لابن خزيمة، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية – الرياض، ط٥، ١٤١٤هـ.

١٥٩. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

١٦٠. لسان العرب، لابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٦١. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب الحنبلي، الناشر: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٦٢. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١٦٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، ١٤١٤هـ.

١٦٤. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.

١٦٥. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام (الجزء الثالث)، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٦٦. محاضرات في الإيمان بالملائكة، د/ محمد بن عبد الرحمن الجهني، الناشر: بدون، ط١، ١٤٣١هـ.

١٦٧. مختار الصحاح، لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ.

١٦٨. مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، لعبد العزيز السلمان، الناشر: بدون، ط١٢.

١٦٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

١٧٠. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، لناصر القفاري، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٨هـ.

١٧١. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

١٧٢. مسند أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

١٧٣. مسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١.

١٧٤. مسند الشاشي، المحقق: د. محفوظ الرحمن زين الله، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ.

١٧٥. مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط١، ١٣٩٢هـ.

١٧٦. مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي — بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

١٧٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، الناشر: المكتبة العلمية — بيروت.

١٧٨. مصطلحات في كتب العقائد، لمحمد إبراهيم الحمد، الناشر: درا بن خزيمة، ط١.

١٧٩. معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم — الدمام، ط١، ١٤١٠هـ.

١٨٠. معالم السنن، للخطابي، الناشر: المطبعة العلمية — حلب، ط١، ١٣٥١هـ.

١٨١. معاني القرآن،لأبي جعفر النحاس، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٨٢. معجم الأدباء، لياقوت الحموي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

١٨٣. المعجم الكبير، للطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢.

١٨٤. معجم المناهي اللفظية، لبكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ.

١٨٥. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

١٨٦. المعلم بفوائد مسلم، لمحمد بن علي بن عمر التميمي المازري، المحقق: محمد الشاذلي النيفر، الناشر: بيت الحكمة، تونس، ط٢، ١٩٨٧م.

١٨٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، المحقق: مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

١٨٨. المغني، لابن قدامة المقدسي، الناشر: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

١٨٩. المغني، لابن قدامة المقدسي، الناشر: مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

١٩٠. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١٩١. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٧هـ.

١٩٢. المفيد في مهمات التوحيد، ل د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي، الناشر: دار الاعلام، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٩٣. مقاصد المكلفين، لعمر سليمان الأشقر، الناشر: مكتبة الفلاح- الكويت، ط١، ١٤٠١هـ.

١٩٤. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٩٥. الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.

١٩٦. منزلة السنة في الإسلام، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: الدار السلفية – الكويت، ط٤، ١٤٠٤هـ.

١٩٧. منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ، الناشر: دار الهداية للطبع والنشر والترجمة.

١٩٨. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٩٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ليحيى بن شرف الدين النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٠٠. منهج القرآن الكريم في إثبات عقيدة البعث بعد الموت، لمنظور بن محمد رمضان، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٢٠١. الموطأ، للإمام مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ.

٢٠٢. النبوات، لابن تيمية، المحقق: د. عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٠٣. النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر العسقلاني، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٠٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٠٥. نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، لمحمد بن عبد الله الوهيبي، الناشر: دار المسلم/ السعودية.

٢٠٦. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، المحقق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٠٧. وسطية أهل السنة بين الفرق، لمحمد با كريم محمد با عبد الله، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٠٨. وفيات الأعيان، لشمس الدين ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات

المحتويات